



يوسف السباعي

رقائق

للخبر الأول

الناشر

مكتبة الختاجي
ومكتبة المشي ببغداد

المجلة

أطباء

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٧
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥١
الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

نائب عزرائيل

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٧
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٢
الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

اثنتا عشرة امرأة

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٨
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٠
الطبعة الثالثة
سنة ١٩٥٢
الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

خبايا الصدور

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٨
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥١
الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

يا أمة ضحكت

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٨
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٠
الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

اثنا عشر رجلا

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٩
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥١
الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

أرض النفاق

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٩
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٢
الناشر : مكتبة النهضة
طبع في مطبعة السعادة الكبرى

الناشر : دار الفكر العربي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى ١٩٤٩
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥١
و الثالثة ١٩٥٤
في موكب الهوى

الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى ٤٩
و الثانية ٥٣
من العالم المجهول

الناشر : دار الفكر العربي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى
سنة ١٩٥٠
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥١
هذه النفوس

الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى ١٩٥٠
الطبعة الثانية ١٩٥٢
الطبعة الثالثة
سنة ١٩٥٤
إني راحلة

الناشر : دار الفكر العربي
طبع في مطبعة الاعتماد
الطبعة الأولى ١٩٥٠
الطبعة الثانية ١٩٥٢
مبكي العشاق

الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى
سنة ١٩٥٠
بين أبو الريش
وجنيئة ناميش

الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى
سنة ١٩٥١
أغنيات

الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى
سنة ١٩٥١
أم رتيبة

الناشر : دار الفكر العربي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى
سنة ١٩٥١
هذا هو الحب

الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى
سنة ١٩٥١
صور طبق الأصل

الناشر : مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الطبعة الأولى ٥٣
الطبعة الثانية ٥٤
بين الأطلال

الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢	{	السقامات
الناشر : دار الفكر العربي طبع في مطبعة الاعتماد	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢	{	سَمَار الليالي
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢	{	الشيخ زعرب
الناشر : دار الفكر العربي طبع في مطبعة الاعتماد	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢	{	نفحة من الإيمان
الناشر : نادي القصة طبع في مطبعة روز اليوسف	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢	{	وراء الستار
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢	{	ست نساء وسنة رجال
الناشر : دار الفكر العربي طبع في شركة فن الطباعة	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢	{	هذه الحياة
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣	{	البحث عن جسد
الناشر : مكتبة النهضة المصرية طبع في شركة فن الطباعة	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣	{	جمعية قتل الزوجات
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣	{	فديتك يا ليلي
الناشر : نادي القصة طبع في مطبعة روز اليوسف	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣	{	ليلة خمرة
الناشر : دار الفكر العربي طبع في مطبعة الاعتماد	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣	{	همسة غابرة
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{	الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥	{	رد قلبي

مفرد الطبع والتمثيل محفوظة للمؤلف

للموت

إلى سلاح الفرسان .

بخيوله وعربات ودباباته وجنوده وضباطه وقواده
وشهيدائه ومحاربيه القداماء .

إلى سلاح « النصر أو الموت »

أهدى قطعة من حياته ... وحياة مصر .

بروف الباعى

obeikandi.com

مقدمة

أشعر وأنا أقدم هذه القصة براحة من رفع عنه عبئاً أثقل كاهله
وأنقض ظهره.

لقد بدأت كتابتها في أول هذا العام (١٩٥٤) وختمتها في آخره . .
ولست أزعم أنى قضيت العام كله في كتابتها ، فقد تخلته أعباء أخرى كالكتابة
للسينما وتحرير مجلة الرسالة الجديدة . . ومختلف شئون العمل والحياة التي تأخذ
بتلايب كل إنسان .

ومع ذلك . . ورغم عدم تفرغى لها طول العام . . ورغم ما تخلل كتابتها
من مختلف المشاغل . فإنى أستطيع أن أجزم أنى لم أنقطع عن التفكير فيها لحظة
واحدة . . وأنها ألحت على ذهنى إلحاحاً . . دفعها إلى أن تشاركنى حياتى . .
ودفعنى إلى أن أشاركها حياتها . وملأنى إحساساً مفرطاً بأبطالها . . حتى باتت
تربطنى بهم صلات الأدميين وبت أشعر لهم بالحب والبغضاء والإعجاب والثناء ،
وأحزن لأحزانهم وأفرح لأفراحهم .

وأذكر أنى جلست ذات مرة على المائدة ومعى بعض المدعوين من الأقرباء
ولحمت فى يد إحداهن أسورة ذهبية عريضة مشغولة بنقوش دقيقة كأنها
« التنتنة » وأعجبتنى الأسورة ولكنى وجدت أنها لا تناسب اليد الممتلئة التى حملتها
ووجدتنى أتخيل مكانها يداً أخرى . . دقيقة جميلة . . للخلوقة تلح على ذهنى . .
وتملك مشاعرى . . هى « أنجى » بطله « رد قلبى » .

وهكذا استطاعت الخلوقة الوهمية أن تغلب على كل المخلوقات الحية
وأن تلح على مشاعرى حتى تخرج نفسها من نطاق أوراقى إلى نطاق حياتى .
وقد يرى الناس فى قولى هذا نوعاً من جنون « الكتاب » ولكن ماذا

تراهم .. قائلون .. إذا عرفوا أكثر من هذا .. أننى خلال العام الذى كتبت فيه القصة .. كنت أرى كتابتها أهم ما فى حياتى .. وأن كل عمل يجب أن يتضامل إلى جوارها حتى أتهى منها ، وإننى لم أكن أخشى فى أوقات المرض أو التفكير فى الموت إلا أن أموت قبل إتمامها . لقد كنت أخشى عليها أو ثم على زوجتى وأمى وأولادى .

قد تكون القصة لا تستحق كل هذا .. وقد يرى البعض أنه كان من الخير أن أموت فعلاً قبل إتمامها .. ومع ذلك أرانى لا أملك إلا أن أقرر واقع إحساسى لها .. ومشاعرى خلال كتابتها .

ويبدو لى أن سبب اهتمامى بهذه القصة .. هو يقينى بضرورة تسجيل الأحداث الخطيرة التى حدثت فى تاريخنا المعاصر . وثقتى بأنى - بصفتى العسكرية - أقدر الكتاب على تسجيلها بحكم خدمتى فى الجيش وإحساسى بالمشاعر التى أدت إلى حدوث هذه الأحداث التى غيرت وجه التاريخ فى مصر .

ولقد حاولت قدر ما أستطيع أن أدمج قصتى هذه فى قصة الأحداث الواقعية التى حدثت فعلاً .. حتى تبدو القصة كتلة واحدة .. ولست أدري إلى أى حد قد وفقت فى ذلك . ولا إلى أى حد قد وفقت فى القصة كلها .

ولكن الذى أدريه وأوقن منه .. هو أنى قد أدبت واجباً كنت أشعر به يلح على نفسى وألقيت عبئاً كنت أحس به يثقل كاهلى . ولا أنكر أنى أجهدت حقاً فى كتابة هذه القصة . وكل ما أرجو ألا يضيع جهدى سدى وأن أكون قد كتبت شيئاً ناجحاً

ماي الوجب



« السوبة » تبدو كأنها قوس قزح ، وقد صفت

في أرجائها الأصص التي تكدست بها الزهور

باتت

المنمقة المزركشة .

ووقف « أفندينا » أمام ركن رصت به مجموعة من

زهور « السناراريا » وأشار بعصاه قائلاً :

— هذه مجموعة جيدة . . أعتقد أنها خير ما عندنا . .

من أين لك بذرتها ؟

— لقد أحضرناها شتلة في مواجير من القناطر .

— خذ منها بذرة للموسم القادم .

وأخى « الرئيس عبد الواحد » رأسه بجنباً :

— حاضر يا أفندينا .

— ومتى تنوى نقلها إلى المعرض ؟

— في الأسبوع القادم . . لقد جاء التأخير في صالحنا . .

حتى يتم تفتح بقية الأصص . . إذ أخرها برد هذا العام

ولكن الجو قد أخذ في الدفء . . وستفتح كلها إن

خلال يومين على الأكثر .

كان الأمير اسماعيل يتفقد حدائقه الواسعة ، الخيم

بقصره الكائن وسط أراضيه في إحدى الضواحي التي تقع

على أطراف القاهرة .. فى ضحى يوم جمعة من ربيع
عام ١٩٣٣ .

وبدا الأمير أود أفندينا ، كما تعود الكل أن ينادوه ..
طويل القامة ، مهيب الطلعة ، أبيض الوجه ، أحمره ..
وقد وضع د مونوكل ، فى إحدى عينيه التى لا أظن سواها
من عيون عباد الله من غير الأمراء بمستطبعة الإمساك به
لحظة واحدة .

وقد منح الله عينيه - غير القدرة على الإمساك بالمنوكل -
قدرة على إشعاع نظرات الكبرياء والترفع والتعاضم على نمط
أصيل غير زائف ولا مفتعل . فهو بهذا الإشعاع ، والمنوكل ،
والطربوش الأحمر الطويل ، المائل على أحد جوانب رأسه ،
واللكنة الأجنبية الدخيلة على عريته ، والجل التركية
والفرنسية المتخللة حديثه بين آونة وأخرى . يبدو نموذجاً
للارستقراطية والسمو وطيب الأصل ورفعة النوع ،
كما تقاس بمقاييس ذاك الوقت ١١

وسار الأمير متمماً جولته ، يتبعه الرئيس عبدالواحد ،
رئيس بساتين القصر .. أود الباشجانينى ، بجلبابه الصوفى
الطويل الفضفاض ، وعمامة التى التف حولها الشال الأصفر
الذى يميز هذه الفئة . وكان الرجل أسمر الوجه ، بارز عظام

الوجنتين ، متين البنيان ، صلب الجسد ، ليس به ما يميزه
كثيراً عن سواه من زملائه وأبناء طبقته .

وتوقف الأمير أمام مجموعة أخرى من الأصص ،
وأشار بعصاه :

— وهذه البرميولا ليست كما يجب . . أتتوى عرضها؟
— سننتقى بعضاً منها لعمل إطار حول مجموعة السنابير .
وعاود الأمير السير يتبعه الرئيس عبد الواحد ويليها
ركب من التوابع والخواشي ، وتلفت الأمير حوله كأنما
يبحث عن شيء ، وانتقلت عدوى التلفت منه إلى بقية
الحاشية ، وبدأت على وجوههم سيماء الخيرة والارتباك ،
خشية أن يكون قد بدا للأمير نوع من التقصير في ناحية
من النواحي ، وأخيراً أفصح الأمير عما يبحث عنه فتساءل :
— أين أنجى ؟

وأسرع بالإجابة رجل أسود ، أشبهه بالآغوات ،
قد ارتدى حلة سوداء ، هو إدريس أفندي الخادم الخاص
لأفندينا فقال :

— لقد بقيت خارج السوبه ، تنزهه في الحديقة مع
مريبتها دلبار .

وبدت الصبية الصغيرة تعدو وتتواهب في الحديقة أمام

المربية العجوز ، وقطفت زهرة من زهرات الانترهينم
« حنك السبع ، وأخذت تضغط عليها بإبهامها ومصابتها
الصغيرتين ، محاولة إخافة المربية ، وهي تهتف بها ضاحكة :

— سيأكل السبع ذراعك .. أنظري كيف يفتح فمه !!

ثم انطلقت مبتعدة تعدو على البساط الأخضر حتى
وصلت إلى عربة الترولى الواقفة عند بداية القضبان ،
في منحدر الممر الضيق ، بجوار سور الحديقة الأخضر
المرتفع ، وعادت تصبح بالمربية العجوز :

— داه .. أريد أن أركب الترولى .

— ليس الآن .. إن عامله في عطلة اليوم .

— إدفعيني أنت .. أريد أن أركب الآن .

وقالت المربية تنهر الصبية :

— قلت لك ليس الآن .. أنا لا أستطيع دفعه .

— سأدفعه أنا .

— إياك .

وكان ينصت إلى المناقشة صبيان صغيران متقاربان
في السن والشبه ، قد أخفتهم عن الأبصار دروة صغيرة
من الغاب أقيمت لحماية بعض العقل والشتلات وراء
« السوبة » .

كان الصبيان هما : علي وحسين ولدا الريس عبدالواحد ،
وقد انتهز الرجل فرصة عطلتهما من المدرسة ، ومرور
الأمير على السوبة والمشتل فأحضرهما ، عله يراهما فيغدق
عليهما بعض منحه وعطاياه .

وكان حسين يتوق إلى مثل هذه الزيارات للقصر الكبير ،
ويعتبرها نزعات مستحبة ، للهو واللعب ، والاستمتاع
بالحديقة الغناء ، وبما ينفحه أهل القصر من عطايا يستطيع
أن يحجز منها شيئاً لنفسه .

كان مرحاً طموحاً مندفعاً ، علي النقيض من أخيه
الأكبر ، علي ، الهادئ الصموت المتميز برزانة تفوق كثيراً
الخمسة عشر عاماً التي بلغها من عمره .

كان ، علي ، يكره تلك الزيارات ، إذ كانت تشعره
بحقيقة موضعهم من الحياة ، وكانت تبدى له بجملاء ، البون
الشاسع بين طبقتين من عباد الله ، إحداهما في السماء
والأخرى في الأرض .

كانت تجبره علي أن ينظر إلى أعلى فيحس بمدى ضآلته
وحطة دركه وهبوط مستواه ، ولم يكن شريراً ولا حسوداً
للناس ، وربما كان أخوه أكثر منه حباً لنفسه ، ولكنه
في تلك الزيارات كان يشعر أن نفسه أعز عليه من أن يوردها

موارد الهوان ، وأنها أكرم عليه من أن يضعها موضع العطف والإحسان . حتى ولو جلب لها هذا العطف بعض الفائدة المادية ، فقد كانت الفائدة تذهب هباء ، وسط ذلك الشعور المرير بالمذلة والضعفة .

كانت نفس الصبي كبيرة . . وكان يكره لها التضاؤل أمام سادتها ، والتضاؤل كان فرضاً واجباً . . يفرضه الواقع الذي لا مفر منه إذا حدثت المواجهة . . ووقعت المقارنة ، ولذا كان الصبي يعتبر الزيارات عبثاً كبيراً . . وهماً ثقيلاً ، وكان يود في كل زيارة لو خلفه أبوه يلعب مع رفاقه ، فقد كان يحس أنه بين أنداده ، إن لم يكن خيراً منهم فهو مثلهم . كان يحب أمه وأباه ، ويحب بيتهم البسيط وحياتهم المتواضعة ، كان يعتز بكل ما حوله مادام بعيداً عن السادة من أهل القصر . . فقد كان يحس أن نفسه في داره ووسط أهله ورفاقه . . لها قيمة ، ولها معزة . . أما هناك . . فكانت نفسه العزيزة الأبيّة . . ضائعة في ضباب من الهوان والتضاؤل .

وفي هذا اليوم بالذات ، حاول جهده التملص من الذهاب مع أبيه . . فقد طافت بذهنه صورة أبيه ، مطاطم الهامة يتبع الأمير ذليلاً صاعراً ، والرجل المتورد الوجه ، الأنيق

الملابس ، ذو العين الزجاجية يتحدث من طرف أنفه
ويشير بعصاه هنا وهناك .

أجل .. إنه يمقت هذا المنظر .. ويمقت أكثر منه
أن يهرول أبوه به وبأخيه إلى الأمير فيتسائل الأمير
في لكنته :

— هذان ولدان ؟ ؟ لقد كبرا .

— في عزك يا أفندينا .

ويقبل أخوه يد الأمير ، .. ويصيح به أبوه وهو
يرى تلكؤه في التقبيل .

— قبل إيد أفندينا يا ولد .

ويود لو صاح في وجه أبيه .. إنه لن يقبل يد أحد ..
وإنه ليس « ولداً » ، ولكنه يحب أباه ويكره أن يسبب له
قطع رزقه .. فيقبل على اليد فيلثمها .

إنه يكره كل هذا ، ويكره اليد الممتدة بالورقة النقدية
إلى أبيه وصوت « أفندينا » يقدمها بقوله :

— هات شيئاً للأولاد يا شيخ عبد الواحد .

— ربنا يخلي « أفندينا » .. ربنا ما يجرمنا منك .

ويكره أكثر من كل هذا أن تكون الصبية ابنة الأمير

حاضرة لتشاهد هذا المنظر البغيض إلى نفسه . . منظر
الإحسان ، والمذلة ، والهوان .

لشدهما كان يكره أن يرى الصبية رأى العين . . وهو
الذى لم يكن هناك أحب إلى نفسه من أن يراها بعين الوهم .
كان يكره أن يراها رأى العين ، لأن الواقع يكرهه
على أن يبدو منها بحيث لا يحب لنفسه أن يبدو . . كان يكره
أن يراها مستوية على عرشها في أعلى القمة ، ويرى نفسه
بعيداً بعيداً في أسفل الحضيض ، لا يكاد يتناول إلى ترى
أقدامها .

أما بعين الوهم فكان يراها كما يريد . . ويرى نفسه
حيث يحب أن تكون . كان يضعها بجواره جنباً إلى جنب .
يسيران معاً ، الذراع في الذراع ، واليد مطبقة على اليد . .
ولم يكن يعدم في تفكيره الوسيلة المنطقية التي تقودهما إلى
مثل هذا الوضع . . من المساواة ، والتآلف . . والصدقة
والحب .

كان يحلم ويحلم . . في اليقظة . . وفي النوم . . كل أنواع
الآحلام التي تؤدي في النهاية إلى هذا التقارب بين اثنين :
أحدهما في السماء والآخر في الأرض .
فرقة تهبط إليه . . ومرة أخرى يصعد إليها .

تارة يشب حريق يودى بالقصر فيخوض هو وسط
النيران ، ويحملها بين يديه لتعيش معهم فى بيتهم المتواضع ،
وتارة أخرى يضجى ضابطاً وتقوم حرب يعود منها عودة
البطل ، فيجدها توشك على الزواج مكرهة بمن لا تحب ،
فيختطفها ، ويفر بها فى بهمة الليل إلى جزيرة نائية ، حيث
يقضيان بقية العمر ، وحيناً يضجى مخترعاً كبيراً تطبق شهرته
الآفاق ، ويحصل باختراعاته على ثروة ضخمة ، يستطيع بها
أن يبتاع ضياع أبيها وقصره ، ثم يقدم لها القصر عربوناً لحبه
ووفائه .. وحيناً آخر يصبح زعيماً لثورة يقوم بها الشعب
على السادة من أصحاب الضياع ، والحكام ، ثم ينقذها هو من
بين براثن الثوار ، ويضعها بجواره على مقعد الحكم .

كان يحلم بكل هذا .. ما جلس وحده وشرده ذهنه
إلا وهى فيه .. بوجهها الأبيض ، وعينيها الخضراوين
الصافيتين ، وشفتيها القرمزيتين ، وأنفها الدقيق ، وشعرها
الذهبي المتطاير على كتفيها .. كانت شريكة أوهامه وحبيبة
أحلامه .

أما فى الواقع .. فلم يكن هناك أكره إلى نفسه
ولا أرهب ولا أخوف .. من أن يلتقيا .. أو بوجه أدق
من أن تراه .. فستان بين ما كانت تراه منه ، وبين ما كان
يجب لها أن تراه .

واليوم قد حاول بشتى الحيل والوسائل ، أن يتخلف
عن الذهاب مع أبيه ، فادعى أن لديه من الواجبات المدرسية
ما يحتم عليه البقاء فى الدار ، ولكن أباه أنبأه أنه يمكن له
أداء هذه الواجبات بعد الظهر ، وأمره بارتداء ملابس
والاستعداد للذهاب .

وعاد مرة أخرى يدعى الممرض فنهزه أبوه قائلاً :
— « أفندينا ، سيمر اليوم على المشتل ، وأريد أن تقابله
أنت وأخوك . . . » . عليه يمنحنا شيئاً نسدد به قسط المدرسة
المستحق .

— يا أبى . . نحن لسنا وسيلة للنسول . . نحن لا نريد
إحساناً من أحد .

وأطرق الأب برأسه ، وغامت على وجهه سحابة حزن ،
وقال فى صوت خافت :

— أنا أيضاً يا بنى أكره أن أتخذكم وسيلة لذلك ،
ولكن هناك فارقاً كبيراً بين ما يجب الإنسان . . وبين
ما يجب أن يفعل . . لو تركت نفسى لما أحب لما استطعت
أن أدخلكم المدارس . . إن الحياة تضطرننا إلى فعل أشياء
كثيرة لانحبها .

— خير لنا ألا نذهب إلى المدارس من أن تريق ماء
وجهك .

— لا يابنى . . إذا كنت من أجلكم أرق ماء حياتى . .
أفلا أريق ماء وجهى ؟ ماء الوجه أرخص كثيراً من ماء
الحياة ، ولا سيما عندما يتعود الإنسان إراقته .

— أنا يأبت أفضل أن أعمل معك فى الحقائق . .
إذا كان ذهابنا إلى المدرسة سبب لك كل هذا .

— هذا كلام يسهل أن تقوله الآن ، ولكن عندما تمر
السنون وتحصل على الشهادات التى ستجعل منك موظفاً
محترماً ، ستدرك حق الإدراك أنى لم أرق ماء وجهى عبثاً ،
فارق كبير يابنى بين أن تكون ريس جناينه ، وأن تكون
مهندساً أو طبيباً أو ضابطاً .

— لا أظن هناك فى الحياة ما يستحق أن تريق من أجله
ماء وجهك .

— بل هناك ما يستحق . . إذا أرق ماء وجهى الآن
من أجلكم . . فربما استطعت أن أقيكما شر إراقته من أجل
أبنائكما ؟ ألا تجد ذلك يستحق ؟ قم يابنى وارند ملابسك .
أنت صغير . . وعندما تكبر ستعرف الحياة خيراً مما
تعرفها الآن .

ولم يجد بداً من الاستسلام ، فنهض لارتداء ملابسه
وكان أخوه قد أتم ارتداء ملابسه ، وهو فى غمرة من

الطرب والمرح ، وأقبل عليه يريه قوساً من السالك قائلًا :
— ما رأيك في هذا القوس يا علي . . سأركب له
الاستك ، وأصنع منه نبلة هائلة . . وسأصطاد بها عصافير
من الشجرة المجاورة ، للسوبة . . أتعرفها ؟ إنها ملأى
بالعصافير ؟

ولم يجبه ، علي ، فقد كانت عيناه مشبعتين على حجر ينطلونه
في دهشة شديدة وصاح بأمه يناديها :

— أم . . ماذا فعلت بالبنطلون ؟
وأتى إليه صوت أمه من الحجرة المجاورة تجيب ببساطة :
— ركب له حجرًا .

— حجرًا ؟ . ومن طلب منك أن تركبي له حجرًا ؟
— أكنت تريد الذهاب إلى دافندينا ، وبه ذلك
الدوبان الذي في حجره .

— لقد كان في موضع مختلف ، وكان يمكن أن نذهب به
للرفا فيرفيه بطريقة لا تجعل الرق ظاهرًا .

— الرفا ؟ . أديك نقود الرفا ؟؟ إلبس . . إلبس . .
أبوك لا يكاد يحدقسط المدرسة . . وتريد أن نعطي البنطلون
للرفا . . ؟ نقودك كثيرة !!

ولم تكن هناك جدوى من المناقشة ، فدرس ساقه

فى ففتحى البنطلون ، وانتهى من ارتداء ملابسه بسرعة ،
وقذف بالطربوش على رأسه .

الآمل الوحيد الذى بقى له . . هو ألا تكون هناك ،
وأن يبعدها القدر عن طريقه . . اليوم على الأقل . . حتى
يستطيع أن يدبر مسألة حجر البنطلون .

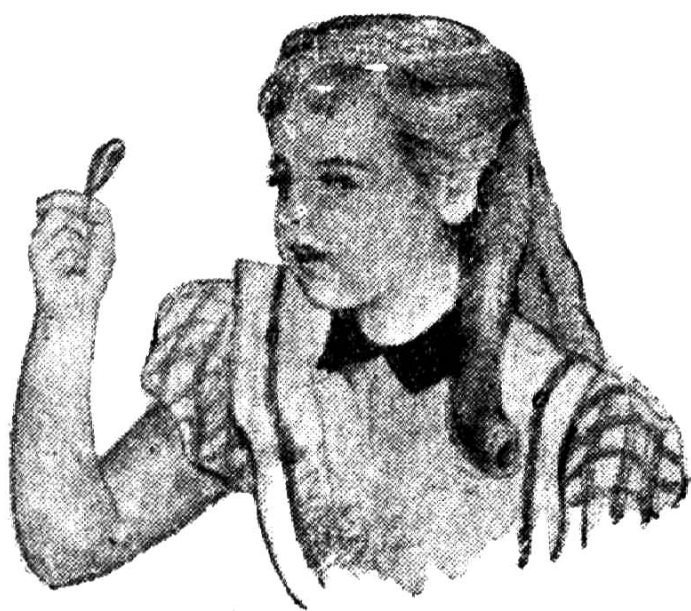
ووضع أبوه عمامته على رأسه ، ودس قدمه فى حذائه
البرتقالى ذى الاستك ، ثم سحب ولديه ، كلا فى يد ،
وأخذ يهرول من الدار المتواضعة . . الكائنة فى العزبة
بجوار الجامع ومحطة سكة الحديد ، وأخذ يخوض وسط
المزارع ، حتى وصل إلى الطريق المجاور للترعة ، ثم عبر
الكوبرى متجهاً إلى الطريق الموصل للباب الخلفى لحدائق
القصر .

ووقفت الأم الطيبة تشير له هاتفه :

— مع السلامة . . حاسب على الأولاد . . ربنا
يجعل لك فى كل خطوة سلامة .



الفراشة البيضاء



المكان في أول الأمر مأموناً . . ليس به ما ينذر
بالخطر . . إذ لم يكن هناك سوى البستانين
وصبيانهم يتشاغلون بقص الأسوار و دشقرفة، الأحواض
وسقى الأصص .

وترك الرجل صيده ، وأمرهما بعدم البعد عن السوبة
وحذرهما من إتلاف الأصص أو قطف الزهور ، ولم يكن
د على ، في حاجة إلى مثل هذه النصائح ، فقد كانت رزاقته
الطبيعية تمنعه من إتيان كل ما يدخل في باب العبث ، وكان
لديه — في هذا اليوم بالذات — سبب أهم كثيراً من الرزاقته
الطبيعية .. يمنعه .. لا من العبث والجري والبعد عن السوبة
فحسب ، بل من مجرد التحرك ، وهو حجير البنتلون الذي
أبت أمه إلا أن تبثليه به .

وهكذا وضع نفسه في ركن محدود من أركان السوبة
لا يتجاوزها ، وأخذ يتشاغل بسقى بعض الأصص ، معاوناً
العامل المكلف بسقيها ، رافضاً الانطلاق مع أخيه ، معرضاً
عن إغرائه بصيد العصافير من الشجرة الكبيرة .
وأحس د على ، بشيء من الأمن في مكانه حتى وجد أباه
يهرول خارج السوبة ، وسمع صوت د أفندينا ، يصبح

متسائلا عنه :

— أين الرئيس عبد الواحد ؟

ولم يكن صوت « أفندينا » — على مهابته ، وخشية الجميع منه — هو الذى ضيع أمنه وبدد طمأنينته ، بل صوت آخر كان — على رفته وعذوبته — آخر ما يود أن يسمع فى هذه اللحظة بالذات ، كان صوت الصبية الصغيرة تهتف بمربيتها مازحة :

— هل تستطيعين أن تقفى على قدم واحدة .. هكذا ؟ ولم يحاول أن يستمع إلى أكثر من هذا ، ولا أن يرى ما إذا كانت المربية قد استطاعت أن تقف على قدم واحدة أم لا .. فقد كان مجرد سماع الصوت ، بمثابة إنذار بخطر .. يجب عليه أن يسرع بالهروب منه .

وبدأت طلائع « أفندينا » وموكبه .

وبات من المتوقع فى أية لحظة أن تبدو الصغيرة المخيفة بين آونة وأخرى ، ويصبح هو وحجر بنطلونه ، فى متناول بصرها .

خير له إذن أن يسرع بالفرار ، قبل أن يطبق عليه الحصار ، وتقع الواقعة .. إنه يعرف أنها حقيقة لن تهجم عليه وتطرده أرضاً ترى حجر بنطلونه ، ولكنه يعرف

كذلك أن من المحتمل جداً أن تدفعه الظروف الخرقاء إلى أن يعرضه هو عليها ، فليس ببعيد أن يناديه أبوه كعادته ، لتقبيل يد الأمير ؛ وقد تكون الصبية واقفة بجوار أبيها ، أو في أى مكان آخر فتراه في إقباله وإدباره ، فتكون المذلة ويكون الهوان .

إنها قطعاً ليس لديها أية فكرة عن البنطلونات ذات الحجر المرقع ، وستسبب رؤيتها له بذلك المنظر ، احتقاراً وازدراء .. وهو لا يقتله شيء كالاحتقار والازدراء .. ولا سيما منها هي .. إن هذه الحادثة ستكون عقبة كأداء ، لا في سبيل صلته بها في الواقع ، فهو يعلم أنه ليس لها وجود في واقعه ، ولكن في أوهامه وأحلامه .. فكيف يستطيع أن يسير معها جنباً إلى جنب ، إذا ما أضحي قائداً أو زعيماً وهي مازالت تذكر حجر بنطلونه ؟

وفي سكون وضع الرشاشة بجوار الحوض ، وتسال خارج السوبة من باب خلفي صغير أفضى به إلى دروة الغاب التي وضعت بها الشتلة والعقلة لوقايتهما من الريح والصقيع . وكان المخبأ الجديد في ظاهره مأموناً ، فقد هباً له الست من جميع النواحي ، ولم يكن هناك احتمال لأن يمد الأمير زيارته إليه ، لاسيما وقد بدأ المكان أشعث مهملاً ، كوَّمت

في أنحائه أكوام من الأصص والغاب والطمى و السيلة ،
وحتى لو دخل الأمير إليه ، فما يظنه يسمح للصغيرة بتلويث
نفسها باللعب فيه .

وهكذا استقر المقام به على جذع ضخيم ملقى في أحد
الأركان ، وأخذ يرقب من وراء السوبة الركب السائر يتقدمه
الأمير بطربوشه الأحمر ، وعينه الزجاجية ، ويتبعه أبوه
مطأطأ صاغراً .

وسار الركب ينتقل من مكان إلى مكان ، والصغيرة
الخيفة ، لم تبد بعد ، حتى سمع أباهما يسأل عنها واطمأن إلى
أنها باقية في الخارج مع مربيتها ، وأن السوبة لم تعد بالمكان
الخطر ، بل إنها خير مكان يمكن أن ينهى به مهمته الثقيلة التي
جاء من أجلها وهي تقبيل يد الأمير .

واستقر به الأمر على أن يتسلل إلى داخل السوبة ،
فقد توقع أن يبحث عنه أبوه ، وعن أخيه ليقدّمها للأمير
وأخذ يتلفت حوله باحثاً عن أخيه ، حتى يصطحبه معه إلى
الداخل لكي ينفذ عن كاهله المهمة كلها .

ومن خلال فتحات الغاب أخذ يبحث عن أخيه ،
ولكن شيئاً أهم من أخيه كثيراً استأثر بمراقبته .

لقد أبصره أنجى ، على بعد من السوبة ، تعدو أمام

مربيتها كأنها الفراشة الحلوة ، وقد ارتدت بلوزة صوفية
بيضاء ، مقفلة الياقة ، وبنطلوناً من القطيفة السكجلى - سليم
الحجر بالطبع - وقد تطاير شعرها الذهبي .

وثبت بصره على الفراشة الطائرة ، بين خضرة الأرض
وزرقة السماء ، المشوبة بقطع السحاب المنفوشة المتناثرة ،
ولم يستطع بصره عنها حولا .. فقد كانت فرصة لا يجود بها
القدر كثيراً ، أن يراها دون أن تراه ، وأن يستمتع بجمالها
وسموها ، دون أن تفضح فقره وهوانه .

تلك .. هى .. هى .. بلحمها ، ودمها ، بشعرها الذهبي
وبشرتها النقية ، وتقاطيعها الدقيقة ، ووجهها الملائكى ..
ليست صورة فى ذاكرته ولا شبحاً فى تخيلاته .

لو استطاع أن يحقق فيها هكذا مدى الحياة لو استطاع
أن يجمد فى مكانه ، كتلك الأعواد من الغاب ، أو كهذه
الأفرع من الشجرة لو كان شيئاً آخر ، غير ما هو ، أى
شئ ، مهما ضؤل ، لكان له من رؤيتها نصيب أكبر .

وأبصرها وهى تعدو إلى التروالى ، وسمع مربيتها تنهاها
عنه ، وود لو استطاع أن يدفعها به .. ويعدو وإياها ..
إلى أين ؟

بعيداً ، بعيداً .. إنه قطعاً لن يصيبه تعب ولا ملل ..

أجل .. سيحملها إلى بقعة نائية ، ويعبر بها وهادأً ونجاداً ،
وسيكون هو مخلوقاً آخر غير ماهو عليه الآن .

وفي تلك اللحظة كان الأمير قد انتهى به المطاف بركبه
إلى مجموعة أصص الفوجير ، قد وضعت في غرفة زجاجية
ورفع عصاه مشيراً إلى لوح من الزجاج مكسور في أعلا
الغرفة ، وبدأت على وجهه بواذر حنق .. وصاح بالريس
عبد الواحد :

— هذا اللوح لم يركب بعد ؟

— سيركب إن شاء الله .

— لقد رأيته في المرة السابقة وانبهتك إليه !

— لقد أبلغت إبراهيم افندى .. وقال إنه سيرسل لنا
القمراتى .

وزاد الحنق بالسيد .. وهزّ عصاه في حركة عصبية
مهتداً :

— ليس لى دخل بإبراهيم افندى ، وزفت افندى ،
لقد قلت لك أنت ، أصلحه .

— حاضر يا « افندينا » .

— ما فائدة حاضر .. أنت لا تعمل شيئاً ! مفروض
في هذه السوبة أن تبقى دافئة ، واللوح المكسور يدخل

الهواء .. فيضيع الندفة ، وبتلف الزرع .. إلى أرى بعض
أوراق جافة صفراء .

— معلمش يا د أفندينا ، ، إنها ستجدد غيرها .

— مع هذا الإهمال لن تجد شيئاً .. كل شيء لديكم ..

علاجه معلمش .. أتم شعب متكاسل متراخ .. لا يعمل
بغير الكرباج .

ووجع الجميع وأحس الرئيس د عبد الواحد ، بعبء ثقيل
يهبط على كتفيه ، فتمد أدرك أن اللوح الزجاجي اللعين قد
غير دم د أفندينا ، وأفسد عليه مشروعه في استدرار عطفه
والفوز بمنحة يسد بها قسط المدرسة .

وسلم أمره لله .. ودعاه أن يفوت اليوم على خير ..
وحمد الله أن أوقف غضبته عند هذا الحد ، ولكن يبدو
أن حمده لله ، قد صدق عليه قوله د لئن شكرتم لأزيدنكم ، ،
فقد كانت غضبة الأمير لم تنمه بعد ، بل كان بها حالة تجمع
واستجمام ، عاودت الانفجار بعده ، فصاح :

— سأخصم منك يومين ، جزاء لك على إهمالك .

وأحس د عبد الواحد ، أن اليومين قد وقعا على ظهره
كأنهما سوطان .. كان يرجو أن ينعم الأمير عليه بيومين
زيادة .. وهو يشعر بأنه مظلوم .. فليس من عمله تركيب

الزجاج .. وقد أبلغ الشخص المسئول الذى يستطيع أن يصلحه .. فأهمل فى إصلاحه .. فما ذنبه هو ؟
وبدأ له أن كلمة استعطاف قد ترفع الجرائم ، فقال فى كلمات متقطعة ، وقد طأطأ إلى الأرض رأسه :
— قلت لأبراهيم افندى .

وقاطعه الأمير بصيحة غاضبة :
— لا ترد .

وتدخل إدريس ، خشية أن يجر جدل الرجل عليه مالا يحمد عقباه ، فقال :

— أسكت يا ريس عبد الواحد ، اليوم يصلح الزجاج .
وأحنى عبد الواحد رأسه فى صمت واستسلام ، داعياً الله أن يعينه ، ويصلح ما أفسده اللوح الزجاجى ، ويذهب عن الأمير غضبه .

وعاود الأمير السير متجهاً إلى مجموعة من السلبجلوسز وقد بدت فى أزهارها الشبيهة بالنفير وبألوانها المختلطة الزاهية ، ونقوشها المنمقة الدقيقة ، معجزة من معجزات الخالق .

وكان عبد الواحد قد بذل أقصى ما يستطيع من جهد وعناية فى تلك المجموعة .. واستطاع أن يقضى على حشرة

المن ، التي كانت تصيها كل عام فداوم على رشها بالنيكوتين
وأحسن لها الخلطة عند الزرع والسقيا بمنقوع السماد خلال
النمو ، وكان الرجل بستانياً بخلقته وسليقته .. يعتبر الزهور
ذريته ، ويرى في كل نبات يزرعه ولدآ له .. وكان وفيآ
لعمله ولسادته ، ولكل من حوله .. وهو يرى في النبات
حياة ، في إهمالها خيانة للأمانة وإزهاقاً للروح .

ولذا شعر ببعض الهم يرفع عن كاهله ، وهو يقبل على
مجموعة الأصص ، فقد أحس من الإقبال عليها نفراً واعتزازاً
وأحس كذلك بأنها سترد له الجميل ، وترفع عنه الجزاء الذي
أوقعه به السيد ، وتهديء من ثورته التي سببها اللوح المحطم .
ولم يخب ظن الرجل ، فقد بدأت أسارير الأمير تنفرج
وتجهمه يتبدد ، وهو يخطو مغادراً البيت الزجاجي متجهاً
إلى مجموعة الزهور .

وجأة .. وقع ما لم يكن قط في الحسبان أن يقع ..
وحدث آخر ما كان يرجى أو يتوقع أو يخطر على البال ،
بال أى إنسان في الركب ، وفي غير الركب .
لقد سمع الجميع صوت طرقة في أعلى الغرفة الزجاجية ،
وهوى بعدها لوح آخر .. تطايرت شظاياه قرب أقدام
الأمير .

كان الطارق حجراً أصاب الزجاج .

من أين ؟ وكيف ؟ ! ومن الذى تجاسر على رميه ؟
ولم يطل بهم التساؤل ، فتقدو وضع الأمر لأعينهم عندما
رأوا حسيناً بن الرئيس عبد الواحد ، يطل برأسه فى حذر
من وراء جدار السوبة ، وفى يده النبلة .

وأحس الشيخ عبد الواحد أن عمامته قد رفعها شعر
رأسه ، الذى وقف من هول الموقف ووقع المفاجأة .
انهينا .. لقد قضى عليه قضاء مبرماً ، فلا عيش له فى
القصر بعد ذلك ، ولن يجدى فى الشفاعة له سنانير ولا
سلبجلوسن .. بل ولا كل أزاهير الجنة .

ونظر إلى رأس ابنه المائل من وراء الجدار ، وكاد أن
يقول له فى مذلة ، لولا انعقاد لسانه من الخوف :
— لماذا يا بنى يا حسين ! ! ماذا فعلت بك حتى تقطع
عيشى .. الله يجازيك ؟

وكان الأمير أول من تكلم . فقد صاح فى غضب وقد
احمر وجهه :

— من هذا ؟

وهمس الرئيس عبد الواحد فى صوت يكاد لا يسمع :
— ابنى يا ، افندينا ، .

— ابنك .. وماذا يفعل هنا ؟

وارتبك الرجل ولم يعرف بهم يجيب .
وصاح : الأمير ، هادراً :

— انطق .. ماذا أتى به إلى هنا ؟

— أنا يا دافندينا ..

— ولم ؟

لم يجسر الرجل على أن يقول إنه أتى ليطلب به إحساناً
فقال :

— ليتزوه هو وأخوه .

— يتزوه ؟ .. كأن الحديقة قد أضحت متنزهاً خاصاً
لك ولأولادك ؟

— إن اليوم عطلة .. وقد ..

— عطلة ؟ ! ولابد أن يقضيا العطلة في إتلاف حديقتي
وتكسير زجاجها ؟ .. لماذا لا يقضيانها بين القاذورات التي
تعيشون فيها ؟

وكان عبد الواحد يعرف أن الأمير في غضبته لا يوقف
أذاه رجاء ، ولا يلينه استعطاف .. ولم يعد أمامه سوى
الاستسلام للحكمة الغاضبة ، تخرج من شفثيه حتى يعود إلى
بيته ، لا بقسط المدارس ، بل برزق مقطوع وعمل مفقود .

وطأ طأ الرجل برأسه ، كمن يقف في ساحة القضاء ينتظر
حكماً بالإعدام ، ولم يدر أحد ماذا ينوى الأمير قوله . .
إذ لم يكذب يفتح شفثيه حتى انبعثت من الحديدقة صرخة حادة
كان مصدرها المربية العجوز .

وأعقب الصرخة خليط من ولولة العجوز ، وصياح
الطفلة ، وانعقد الكلام على شفثى الأمير ، واندفع والجمع
وراءه إلى خارج السوبة ، ليقع بصرهم على التروالى ينحدر
مندفعاً بالصبية الصغيرة ، بعد أن فككت الرباط الذى كان
يربطه .

كانت العربى الحديدية تندفع بقوة الانحدار ، ولم يكن
هناك من سبيل لوقفها ، فقد كانت المسافة بين الجمع وبينها ،
أبعد من أن يستطيع أحد منهم اللحاق بها ، قبل أن تصل
إلى نهاية الطريق الموازى للسور ، وكان أكثر ما يخشى أن
تخرج العربى عن قضبانها عند المنحنى ، فتندفع من فتحة فى
السور إلى الطريق العام ، ومنه إلى التربة ، فإن لم تصدمها
أية عربى قادمة تنهب الطريق ، سقطت فى التربة . . وفى
أى المصيرين ، نهايتها المحتومة .

كان المصير واضحاً للأذهان ، ولم يكن فى الإمكان أن
تؤمر الصبية بأن تلقى نفسها من العربى ، فقد كان من العبث

أن يصل إلى سمعها صوت أو أمر ، في وسط صراخها
واندفاعها .

وتسمر القوم في أماكنهم ، وصرخ الأمير منادياً
الصبية ، وهو يعدو لاهثاً ووراءه الركب المشدوه .

وفي تلك اللحظة أبصر القوم شبحاً صغيراً يندفع من
الدروة ، الغاب ، المقامة في آخر السوبة والتي كانت لا تبعد
كثيراً عن طريق الترولى . .

اندفع الشبح الصغير من بين الغاب كأنه صاروخ . .
فوصل إلى قضبان الترولى في اللحظة التي أوشك أن يعبره
ووقف بجسده الصغير معترضاً طريق العربة المندفعة .
وصدمته العربة ، واندفع جسده يطوى الطريق أمامها
حاداً من سرعتها رويداً رويداً ، حتى توقف الجسد ووقفت
العربة .

ووصل الجمع المندفع إلى حيث توقفت العربة قبل أن
تصل إلى الطريق ، وهجم الأبوان كل يتحسس ولده ويرى
ما أصابه .

ووجد الأمير ابنته سليمة ، لم يمسه سوء . . ووجد
البستاني ابنه راقداً على الثرى ، معفر الوجه ، بخدوش اليدين
والركبتين ، مرضوض الساق .

ورفع الأمير ابنته يوبخها ويؤنبها على فعلتها ، ثم نظر إلى
الصبي الصغير وتساءل في دهش :

— من هذا ؟

وأجاب « عبد الواحد » .. وقد أنحنى فوق ولده يمسح
جراحه :

— ابني يا « أفندينا » .. ابني على .

ونظر الأمير إلى الرجل وولده ، نظرة ملؤها الامتنان
والتقدير ، وقال الأب :

— إنه شهم ، شجاع ، مقدام .

وأحس الأب أن ساعة النجس قد ولت ، فأجاب
والدموع تملأ عينيه :

— كتر خيرك يا « أفندينا » ..

ثم وجه القول لولده الذي جلس على الأرض مطرقاً
برأسه :

— قم يا على .. قبل يد « أفندينا » ..

ولم ينهض على ، بل استمر جالساً في مكانه .. وانتظر
الأمير أن ينهض الصبي ليأخذ يده ، حتى ينفحه بما يكافئ به
خدمته الجلى .. وأحس الأب بخرج ، فعاد يستحثه في لهجة
ناهرة :

— قم يا على . . قبل يد « افندينا » .

وأجاب الصبي وقد طأطأ برأسه :

— لا أستطيع .

وازداد الحرج بالأب ، وأصابه الغضب ، وصاح بالصبي

ثائراً وهو يجذبه من ذراعه :

— قم قلت لك .

ولم ينهض الصبي . . . وعض شفته السفلى ، وغامت على

عينيه سحابة دمع ، وأجاب في همس :

— لا أستطيع .

وانحنى الرجل على ولده وسأله :

— أبساقيك شيء ؟

وهز الصبي رأسه هامساً :

— لا .

— لم إذن لا تنهض ؟

ورمق الابن الصبية الصغيرة ، الذهبية الشعر . . وقد

وقفت ترقبه بجوار أبيها ثم همس في أذن أبيه بصوت يخنقه

البكاء :

— لا أستطيع النهوض ، حتى لا ترى حجر البنطلون .

العبير والآلات



لم يزد
« الرئيس عبد الواحد ، فى إلحاحه على الصبى ،
فقد كان يعرفه جيداً .

وأنقذ الموقف ولده الآخر الذى أقبل يعدو بعد
أن أخفى النبلة فى كوم « السبلة » ، وبعد أن أدرك أن القوم
قد شغلهم عن حسابيه ما هو أهم .

وتلقفه الرجل فأمره بتقبيل يد « أفندينا » . . وسرعان
ما تناول الصبى يد الأمير ، تناول خبير مجرب ، وقبلها
فى سهولة ويسر .

ودفع الأمير يده فى جيبه ، فأخرج بعض النقود ،
ودسها فى يد الرجل ، وهو يقول مشيراً إلى على ، الراقد
على الأرض :

— هل أصابه شيء ؟

— لا يا أفندينا . . سليمة بإذن الله ، رضوض بسيطة ،
الحمد لله على سلامة الهانم الصغيرة .

— ضمد جراحه . . وأعرضه على الطبيب إذا استدعى
الأمر ، وإذا احتجت لشيء قل لابراهيم أفندى .

— أكثر الله خيرك يا « أفندينا » . . وأبقى لنا حياتك .
وكانت « أنجى » ، تقف متعلقة بثياب المربية العجوز ،

التي أخذت تربت على رأسها في حنان قائلة :
— لقد نصحتك ألا تركبي العربية ، ولكنك لم تسمعي
النصح . . هذه عاقبة الشقاوة . . إياك أن تعودى إليها مرة
أخرى .

ولم تسمع الصبية نصيحة المربية ، فقد كان كل اهتمامها
مركزاً في الصبي الجالس على الأرض أمام العربية ، معفر
الثياب ، مخدوش الركبتين ، وقد أخفض رأسه إلى الأرض
حتى كاد يدفنه بين ركبتيه .
وبحركة لا إرادية ، اندفعت وأخذت تربت ظهره
في رفق قائلة :

— أنا متأسفة . . متأسفة جداً لأنى سببت لك كل هذا .
ولم يجب عليها ، فقد محا إحساسه بخطورة اقترابها . .
واحتمال اكتشافها بنطلونه . . كل إحساس سواه ، وكانت
رجفته من مسة يدها رجفة خوف ، أكثر منها رجفة نشوة .
وارتج عليه فلم ينبس ببنت شفة .

ولم يبد على الأمير كثير رضاء عن اقتراب ابنته من
الصبي ، وتربيتها ظهره ، ودفعه إلى الضيق بها عاملان . .
عامل الكبرياء والتعاضم المتأصل في قرارة نفسه . . السارى
في كرات دمه ، والذي يأبى عليه إلا أن يضع هؤلاء الخدم

والفلاحين في مرتبة أدنى من مرتبة البشر . . مرتبة وسط ،
بين البشر والحيوان . . أو مرتبة عليا من مراتب الحيوان ،
وفي حالة سخطه عليهم ، يكونون في أدنى مراتب الحيوان .
أما إذا أصر القانون والعرف على أن يجعلهم بشراً ،
ويعترفوا لهم بحقوق البشر . . فلا أقل من أن تكون مرتبته
هو وآله وذريته أعلى من مرتبة البشر ، مرتبة وسط بين
الآلهة والبشر ، أو في أدنى مراتب الآلهة ، وفي حالات
النشوة والغرور . . أعلى مراتب الآلهة .

ذلك هو المدافع الأول ، الذي دفع الضيق في نفسه ،
عندما رأى اقتراب ابنته ، ذات الدم الملكي من الصبي
الفلاح . . أما المدافع الثاني فهو الخوف من أن يلوثها كوم
القاذورات والحشرات والجراثيم الخفية والظاهرة ، المخزنة
في أجساد الفلاحين والسارية في ثيابهم .

ولم يكن إحساس الرجل بالضيق مفتعلاً ولا مقصوداً ،
بل هو إحساس طبيعي ، لا إرادي ، ولم يكن وحده
المسئول عن هذه الدوافع التي يتركب منها إحساسه ، نحو
هؤلاء الفلاحين . . بل كان الفلاحون أنفسهم يشاركونه
معظم المسؤولية . . كان الأصل مشوهاً ، والمرآة العاكسة
في نفسه أكثر تشويهاً .

أما المرأة ، فكانت مرآة عكستها أنانية السلطان والجبروت و سطوة الأسياد على العبيد المتوارثة من الأجيال الماضية ، والتي علمتهم جيلا بعد جيل ، أنهم أصحاب الدنيا والأرض والمال ، وأنهم أصل الخليفة ، وغيرهم من المخلوقات كالخيل والكلاب والثيران والفلاحين ، قد خلقوا لمعاونتهم في التمتع بنعم الأرض وبالكد في تقديمها لهم سهلة سائغة .

تلك هي مرآتهم . . لا تريحهم الغير إلا بهذه الصورة . . أما أصل الصورة . . فقد شوهته الحاجة والفقر والحرمان والعوز ، بمخلفاتها من جهل بسبل الصحة والحياة الطيبة ، والمظهر الحسن ، وعجز عن تحقيقها حتى لو وجدت المعرفة بها .

وشوّه أكثر من ذلك ، خالق الخضوع والخنوع ، المتوارث من الأجيال السابقة ، التي تعودت حياة العبيد جيلا بعد جيل ، وخلق الضعة والسرقة والطمع ، والخيانة والنميمة ، وغير هذا من مركبات سوء النفس ، التي خلقتها الحاجة ، والمذلة والجهل ، وانعدام وسائل تربية النفوس . تلك كانت الدوافع التي دفعت الأمير إلى الضيق باقتراب ابنته من الصبي . . ضيقاً لم يستطع إحساسه بالجميل

الذى أسداه الصبي صدره ولا مقاومته ، فصاح بالصبية :
— أنجى . . عودى إلى البيت . . خديها يا دلبار .

وتركت د أنجى ، علياً ، وعادت متباطئة إلى مربيتها ،
وعندما مرت بالريس د عبد الواحد ، الذى وقف منكس
الرأس أمام الأمير ، رفعت رأسها الصغير وتساءلت فى قلق :
— ماله لا ينهض ولا يتحدث . . أبه شىء ؟

وهزّ الرجل رأسه بالنفى وافتقر ثغره عن ابتسامة
طيبة ، وأجاب فى صوت خفيض حتى لا يسمع على :
— لا ياست هانم ليس به شىء . . إن ينظرونه هو

الذى به رقعة ! !

ومدت المربية يدها فتناولت يد الصغيرة ، وسارت
متجهة إلى القصر ، وما لبث ركب الأمير أن أخذ يتفرّق ،
وذهب كل إلى سبيله . . وعند ما اطمأن د على ، إلى خاو
المكان ، نهض تابعاً أباه وأخاه . . عائدين إلى الدار ، بعد
أن غسل ساقه ويديه ووجهه فى حوض السوبة .

وكانت إجابة الريس د عبد الواحد ، ما زالت تلاف
فى ذهن الصغيرة ، دون أن تجد لها مستقراً ، ولم تجد غير
مربيتها لتتباحث معها فى مسألة البنطلون والرقعة ، والصبي
الطيب الشجاع اللطيف الذى يأبى أن يقوم أو يتحدث .

وسألت الصبية وهي تصعد السلم الرخامى الكبير :

- ما هى الرقعة يا دأده ؟
- رقعة ؟ أية رقعة تعنين ؟
- الرقعة التى فى البنطلون ؟
- آه .. إنها قطعة من القماش توضع فى حجر البنطلون .
- وهل هى ثقيلة إلى هذا الحد ؟
- أى حد تعنين ؟
- الحد الذى يمنع المرء من النهوض ؟
- بالطبع كلا .. بلا شك .
- وهل تمنع الناس من الحديث ؟
- لا .. لا .. إنها قطعة قماش عادية .
- ولماذا يضعونها فى حجر البنطلون ؟
- لسد الخروق التى به .
- ولماذا يضعون به الخروق ؟
- إنهم لا يضعونها .. هى التى تنشأ من تلقاء نفسها ،
إذ يتآكل حجر البنطلون من كثرة الاستعمال .
- ولماذا لا يغيرونه بدلا من أن يضعوا له رقعة ؟
- لأنه ليس لديهم سواه .
- ولماذا لا يشترون سواه ؟

— لأنهم لا يملكون نقوداً .

— ولماذا لا يحصلون على النقود ؟

— لأنهم لا يستطيعون .

— ولماذا لا نعطيهم نحن ؟

— من هم ؟

— عم عبد الواحد الجنائى !!

— إنه يأخذ قدر عمله .

— ولكنه لا يستطيع أن يشتري بما يأخذ بنطلوناً

جديداً لابنه ، بدل هذا البنطلون المرقع الذى يمنعه من

النهوض والحديث .. لماذا لا نعطي للرجل ما يكفيه ؟ ما دام

عندنا نقود كثيرة .. لماذا لا يأخذ قدر حاجته ؟

— لأن حاجته غير محدودة ، ولم يكن هناك ما يجبره

على أن يلبس ابنه بنطلوناً ، ولا أن يذهب به إلى المدرسة .

يجب أن يعيش هو على قدر ماله ويجب أن يأخذ من المال

قدر عمله ؟

— وهل نأخذ نحن من المال قدر عملنا ؟ إن لدينا

النقود كثيرة .. ولكننا لانعمل شيئاً !!

— لقد عمل أجدادك الكثير فى سبيل الحصول عليها ،

ويعمل أبوك الكثير فى سبيل الاحتفاظ بها .. ولو كان

يعطى النقود للناس على قدر حاجتهم لما بقي لكم شيء . . .
إن الناس طماعون . . . لا تقف مطالبهم عند حد .

— ولكننا نستطيع أن نعطيه بنظوناً جديداً . . . إن
لدى أخى علاء بنظونات كثيرة تصلح له ، ولست أظنه
سيطمع في أكثر من واحد منها .

وكانا قد عبرا الطريقة المستطيلة ، التي قامت الأعمدة
الرخامية على جوانبها ، وفرشت في منتصفها سجادة طويلة
حمر ، وبلغا الصالة الرحبة التي سويت فيها الأرائك
الوثيرة ، والسجاجيد العجمية السميك ، وعلقت على جدرانها
الصور الزيتية الرائعة . . . وتدلّت من سقفها الثريات ذات
الشطف البلورية البراقة ، وفي مواجهة الداخل سلم نخم من
خشب الأرو ، وضع عند أوله تمثالان من البرونز
أحدهما للأمير والآخر لأبيه .

وهمت المربية والصبية بصعود الدرج متجهين إلى حجرة
الصغيرة ، عندما وقع بصرهما على علاء ، الإبن الأكبر
للأمير ، الذي يبلغ الرابعة عشر ، وقد أمسك بقطة أنجي ،
بعد أن ربطها من قدميها وساقها ، وعلقها عند آخر الصالة ،
وأمسك بقوس ركب فيها سهماً وأخذ في شد القوس .
واندفعت ، أنجي ، إليه تجذب القوس من يده صائحة :

— إياك أن تطلقه .. ألم يكفك أن ألقيت « ميمى »
من الشباك فقتلتها .

وضحك الصبي الأصفر الوجه ، الحاد التقاطيع ، ورفع
رأسه إلى الوراء ليزيح خصلة شعره الأصفر المتهدلة على
جبينه ، وأجابه وهو يجذب القوس من يدها :

— لا تخشى أيتها البلهاء .. إني لن أصيبها .. فأنا أطلق
السهم حولها .. إني أستطيع أن أدع السهم يمر بجوار
أذنيها دون أن يصيبها .. أنظري .

ولكن « أنجى » ، تعلقت بذراعه ، صائحة ، تستنجد
بمريبتها :

— دادة .. إلحقى .. سأجعل بابا يقتلك إذا قتلتها
كالأخرى .

— قلت لك لن أقتلها .. دعيني .

وقبل أن تتدخل المربية سمعت خطوات الأب تقترب
من الطريقة فترك الصبي لها القوس ، وانطلق يعدو صاعداً
السلم إلى حجراته ، ورمت « أنجى » القوس ، وأسرعت تفك
قطتها وتضمها إلى صدرها فى حنان ثم سارت تتبع مريبتها
إلى أعلى .

ودلف الأمير إلى الصلاة ، يتبعه إبراهيم أفسدى

ناظر الدائرة ، واتجه إلى باب يقع في يمين الداخل يفضى
إلى حجرة مكتبه ، حيث رصت آلاف من المجلدات
السميكة السوداء في دواليب ركبت في الجدران ، وتوسط
الحجرة مكتب أثري ثمين من طراز كوين آن ، ابتاعه من أحد
مزادات باريس منذ بضعة أعوام ، وفي مواجهة المكتب
مدفأة ، وضعت فوقها لوحة زيتية كبيرة لزوجته الراحلة .
وجلس الأمير إلى مكتبه ، ووقف الرجل الضئيل
الجسد ، المغضن الوجه ، مطأطأ الرأس أمامه ، وقد أمسك
بدوسيه محشو بالأوراق .

وقال الأمير :

— ماذا تم في التحصيل ؟

— بطيء جداً يا دافندينا .

— طبعاً .. مادمت تتبع معهم تلك الطرق اللينة المائعة ،

لقد قلت لك ألف مرة إنهم ظماعون لا ينفع معهم غير

الكرباج .. إنهم سلالة العبيد الذين أخذوا على كرايبج

الممالك .. سأعاملهم كما عاملهم أجدادي ، سأشوى ظهورهم

واحدًا واحدًا ، وأنت على رأسهم .. أيها الحيوان الثمن .

— لو تنازلنا عن بعض

وصرخ الأمير حانقاً وقد اندفع الدم إلى وجهه :

— لن أتنازل عن مليم واحد .. أنت تتآمر علىّ معهم
تريدون أن تسرقوني .

— يا أفندينا ، إن الأزمة عامة ، والمحاصيل مكدسة
في الأراضى لا تجد من يشتريها .

— سأخذها كلها .. سأستولى عليها .

— لن يفيدنا هذا .. إنها ستتلف عندنا ، ولن نستطيع
تصديرها .. إن ثمنها لا يوازي مصاريف الشحن .. لا بد لنا
من التضحية .

— أجل .. لا بد لي أن أضحي من أجل هؤلاء الكلاب
الطماعين الذين لا تجدى فيهم النعمة ، ولا ينفع المعروف ،
لواستطاعوا أن يأخذوا الأرض بلا ثمن لأخذوها .. إسمع
خفض الإيجار عشرة في المائة .. هذه المرة فقط .

وبدا التردد على وجه إبراهيم أفندى ، وتمتم ببعض
كلمات غير مفهومة فصاح به الأمير :

— ماذا تقول ؟

— أقول .. إن العشرة في المائة .. لا تكفى .. إن
« أفندينا ، ليس لديه أية فكرة عن حالتهم .. لقد خربت
بيوتهم .

— لتخرب بيوتهم .. واينذهبوا إلى الجحيم جميعاً ..

ولكن يبقى لن يخرّب . . سأسحب منهم الإيجارات جميعها
وسأزرع الأرض بنفسى ، سأطردغم حتى يعرفوا أى جميل
كنت أصنعه بهم . . لولاى لما توالوا جوعاً . . هذا القطيع من
المرضى والكسالى . . إن أى حيوان أصلح من أى آدمى
فيهم ، وأنت على رأسهم . . أنت شيخ العصابة .

— إنى يا د أفندينا ، أريد أن أعمل مافيه الصالح .
— ومن أجل ذلك تريد تخفيض الإيجار ، وتريد
سرقى ونهبي . . تريد أن تضيع أملاكى وتبدد ثروتى ،
ولكن أؤكد لك أنى لن أترك مليا واحداً ينهبه هؤلاء
الصوص . . أسمع ما أقول ؟

— أجل يا د أفندينا ، .
— أنا أكره أن يستغفلنى أحد ، ولا سيما أنت بالذات ،
إذهب الآن ، وقل لهم إنى سمحت بهذا التخفيض ، على
أن يكون الدفع خلال مدة أقصاها آخر الشهر .

— حاضر يا د أفندينا ، سأبلغهم هذا . . ولعالمهم
يستطيعون بيع المحاصيل خلال هذه الفترة .
— لبيعوا أبناءهم . . إذا لم يستطيعوا أن يبيعوا
المحاصيل . . أنا لايهمنى غير الدفع .
— أمرك يا أفندينا .

- وكيف حال الحصان ؟
- البرق ؟
- أجل .
- ما زال في الاسطبل .
- ألن يتمكن من الذهاب إلى السباق بعد غد ؟
- لقد سألت عليه ، عبد العال ، رئيس الاسطبل
- فأنبأني أنه لا يستطيع أن يقدر بالضبط ، لأن سائسه مريض .
- يجب أن تعتنوا به العناية الكافية .. لا تبخل بالصرف
- عليه حتى يشفى .. يجب أن يشفى .. أتفهم ؟
- الشفاء من الله يا أفندينا ، ولكني سأبلغه أوامركم
- وأحاول أن أحضره من بيته .
- من هو ؟
- السائس يا أفندينا ، .
- أيها الغبي .. إني أعني الحصان .. لا السائس ،
- الحصان هو الذي يجب أن يشفى .. مفهوم ؟
- مفهوم يا أفندينا .



کبریا و ضابطہ



صعدت ، أنجى ، إلى حجرتها حاملة قطنها ، وهى تضمها
إلى صدرها ، وقد أخذت تتحدث إليها وهى
تربت ظهرها برفق قائلة :

— كان سيقم لك هذا الشرير . . لا تغضبى منه يا نونا ،
إن تلك هى طبيعته . . يميل دائماً إلى الأذى . . ولا يعبأ إلا
بإرضاء نفسه . . ولكن أنت السبب فيما حدث . . ألم آمرك
بالبقاء فى الغرفة ؟ هذا جزاء الشقاوة . . كدت تموتين
بسبب الشقاوة ، أليس كذلك يا نونا ؟

— . . .

— وأنا أيضاً كدت أموت . . ألا تعرفين ماذا
حدث لى ؟

— . . .

— لقد ركبت الترولى . . واندفع يجرى بى . . وكاد
يلقى بى فى التربة . . لقد دفعه الشيطان . أجل يا نونا . . إن
الشيطان هو الذى يفعل بنا الأذى دائماً . . هكذا قالت
داده . . نصحتنى ألا أركبه فلم أستمع لنصحها . . تماماً
كما فعلت أنت معى . . وكدت أموت كما كدت تموتين . .
لولا أن أنقذنى كما أنقذتك . . أتعرفينه ؟

— . . .

— إنه ، على ، ابن الرئيس ، عبد الواحد ، الجنائى . .
ذلك الصبي اللطيف الهادى . . لقد رمى بنفسه أمام
الترولى . . ودفعه الترولى فى صدره . . هكذا . . طاخ . . وألقى
به على الأرض . . لقد صعب علىّ يا نونا ، فذهبت إليه ،
وربت على ظهره وسألته عما به ، ولكنه لم يرفع إلىّ
وجهه ولم يجبنى . . أتدرين لماذا ؟

— . . .

— لا . . لا . . لقد ظننت أنا أيضاً هذا ، ولكنى
عرفت السبب من أبيه بعد ذلك . ماذا تظنينه ؟

— . . .

— حذرى ؟

— . . .

— غلب حمارك . . إنه حجر البنتلون . . أجل والله
يا نونا لقد كان بحجر بنتلونه رقعة ، ونجمل أن أراها ،
وماذا ينجمل من ذلك يا نونا ؟ إنه عبيط . . أليس كذلك ؟

— . . .

— أنا أيضاً قلت هذا ، ولكنه مخلوق عجيب . . لقد
كان فى بنتلونه المرقع ، أفضل عندى كثيراً من أخى
علام وهو فى بنتلونه السليم . على أية حال ، لقد فكرت

في فكرة هائلة . . هات أذنك حتى أسرك بها .
ووضعت شفيتها على أذن القطة ، وأخذت تهمس :
— ما رأيك في أن نسرق بنطلوناً من أخى علاء
ونعطيه له ؟

— . . .

— السرقة عيب ؟ ومن عمل الشيطان ؟

— . . .

— لا . . لا . . يا عبيطة هذه ليست سرقة . . هذه
سلفة . . سنقترض من أخى علاء بنطلوناً وسنسلفه له . .
ما رأيك ؟

— . . .

— اتفقنا إذن . . أنت قطة شريفة جداً يا نونا . .
سننتظر حتى نتناول الغداء وينام أبى ، ويذهب علاء إلى
الحديقة ليصطاد بالبندقية ، وتذهب دادة إلى حجرتها ،
وأخبرها أنى سأجلس فى حجرتى لعمل الواجبات لأن
أجازة (الايستر) أوشكت على الإنتهاء ، والمدرسة ستفتح
يوم الاثنين ثم نتسأل إلى حجرة علاء ونسرق البنطلون .

— . . .

— لا . . لا . . متأسفة يا نونا . . أقصد نقترض
البنطلون .

— . . .

— هل أعرف بيته؟ أجل . . إنه يسكن في بيت من
بيوت العزبة وهي قريبة من هنا؟ لا . . لا . . لن يرانا أحد
وسنعود بسرعة قبل أن يستيقظ أبي أو يحس بنا أحد .
واستلقت الصبية على الفراش ، وأخذت تضم القطة في
فرح وتردف قائلة :

— سيأخذ البنطلون ويرتديه . . ثم يقف ويتحدث . .
إنى أحب أن أراه وأن أحدثه . . إنه لن يخجل منى بعد
الآن . . أليس كذلك؟

وحل موعد الغداء ونادت المربية : أنجى ، لكي تهبط
لتناول الطعام .

وفي حجرة المائدة الفخمة ، جلس الثلاثة : الأمير على
رأس المائدة ، وعلى يمينه : علاء ، ، وعلى يساره : أنجى ، ،
وفي مواجهة كرمى خال كانت تجلس عليه الأم .

وعلى المائدة رصت الأطباق الصينية التي رسم عليها
شعار الأمير والفضية التي نقش عليها نفس الطابع ، ودفع
باب زجاجي مؤد إلى الأوفيس المتصل بالمطبخ ودخل إلى
الحجرة خادم نوبى قد ارتدى سترة خضراء ، محلاة بالقصب ،
وسروالا فضفاضاً متسع الحجر مربوطاً عند القدمين .

وأخذ يوزع الطعام وقد أمسك ، السرفيس ، بيساره
ووضع يمينه وراء ظهره ، وانحنى ببطء مقدماً صحفة الطعام
بمهارة عجيبة .

وتناول الرجل وولداه نصيبهما من الطبق ، وقد شرد
كل منهم بذهنه فيما يشغل باله . . الأب في الإيجار الذي
يطمع اللصوص السفلة من المستأجرين في نهبه ، وعزمه
على أن يحافظ على ثروته بكل ما يملك من جهد وقوة من
أولئك الطامعين فيها .

والابن فيما يمكن أن يصيده من دقائش وعصافير
بالبندقية الجديدة التي ابتاعها .
والابنة في البنطلون ذى الرقعة ، وفي البنطلون . .
الذى ستسرقه . . أستغفر الله . . الذى ستقترضه .

وفي نفس اللحظة .. كانت مجموعة أخرى تجلس لتناول
الطعام ، على مائدة أقل تواضعاً ، مائدة أرضية ، أو باسم
آخر ، طبلية . .

كانت ، أم على ، زوجة ، عبد الواحد ، قد أتمت
ترتيبها . . وهى لا بد أن ترتبها حتى ولو كان الأكل
دقة ، ، وكانت المائدة فى هذا اليوم حافلة ، فيوم الجمعة
هو اليوم الوحيد الذى يتناول الجميع فيه غداًهم معاً .

كانت تتوسط ، الطبلية ، أوزة توسدت حشية من
الثريد ، وقد تصاعد الدخان من كليهما . وكانت ، أم علي ،
قد أمضت طوال الأشهر الثلاثة الماضية في تربية الأوزة
و ، تزغيطها ، حتى اكتنز لحما وكسته طبقة سميكة من الشحم ،
وكانت لديها صفيحة من الملوخية التي جففتها من الصيف
الماضي ، فاستغلت في صنعها مرقة الأوزة ، واستغلت بقيته
في عمل الثريد .

ولقد ارتاعت المرأة عند ما أبصرت بالخدوش التي في
وجه ابنها ، والرضوض التي في قدمه ، وضربت بيدها على
صدرها في فزع وصاحت :
— مالك يا بني ؟ !

وأجاب عبد الواحد :

— لا شيء . . . خدوش بسيطة . . . نتيجة سقطة على

الأرض .

— ألم أقل لكما ، كفتّا عن الشقاوة . . . وأنت يا علي
الذي أقول عليك هادئاً تصنع بنفسك هذا ؟ تعال . أرني
ما بك ؟ !

— إنه لم يتشاق يا أم علي . . . لقد أنقذ حياة الهانم
الصغيرة ابنة أفندينا . . . وأنقذ مستقبلنا الذي أوشك أن

بضيعة حسين . . ولولا هذه الخدوش والكدمات . . لما استطاع الولدان أن يذهبا إلى المدرسة . . بل لما استطعنا نحن أن نحصل على قوتنا غداً .

ثم أخذ يقص عليها القصة ، وختمها بأن أطلق ضحكة غبطة ورضاء وأردف قائلاً :

— الحمد لله . . ماذا أعددت لنا للغداء ؟

— ذهبت الأوزة وعملت على مرقتها ملوخية . والآن دعوني حتى أقدح السمن للنقلية ، وأعد لكم الفتة .

وألقت الأم نظرة أخيرة على ، وعلى ، وهو يسير متثاقلاً إلى داخل الدار وقد بدا حجر البنطلون الذي وضعته له ممزقا وصاحت به :

— لقد تمزق حجر البنطلون الذي ركبته . . سأعيد خياطته ثانية .

وأجاب الولد في يأس واستسلام :

— إفعلى ما تشائين .

وجلست الأم في مطبخها الضيق ، على كرسي منخفض وأخذت تدق في جرن خشبي أسود صغير ، خليطاً من الثوم والكسبر والمالح ، وأمامها وابور الجازينز ، ومن فوقه طاسة سوداء أخذت كتلة السمن التي في قاعها تنصهر

في بطن كما تذوب قطعة الجليد في حرارة الشمس .
وذهب الأب إلى حجرته فأخذ في إبدال ثيابه استعداداً
للوضوء وصلاة الظهر بعد أن فاتته صلاة الجمعة ، وقد بدا
راضياً قرير العين ناعم البال ، بعد أن ضمن قسط المدرسة ،
واطمأنت نفسه إلى أن أمنيته الكبرى — وهي أن يرى
ولديه موظفين محترمين — في طريقها إلى التحقيق ، وأن الله
لم يتخل عنه وأنه ما زال يدبر أمره .

واتجه الصبيان إلى حجرة صغيرة فرش في أرضها حصير ،
ووضع في جانبها فراش ذو أعمدة حديدية رفيعة ، ركبت
عليها ملة خشبية فوقها حشية ولحاف قديم ، وفي ركن من
الحجرة وضعت منضدة خشبية ، تناثرت عليها بعض كتب
الكيمياء والتاريخ الطبيعي وكتب الإنجليزية والترجمة ،
ورواية العبرات ، ومجنون ليلى ، وقبيز ، وبضعة أعداد
من مجلة الفكاهة ، والبلاغ الأسبوعي ، وورق نشاف ،
ومثلث ومسطرة ، ولمبة غاز زجاجية ، وحول المنضدة
مقعدان من الخيزران ، وعلى الحائط علق مشجب خشبي
وضع عليه جلبابان وطربوش ، وجاكتة صغيرة وفانلة
كرة مخططة ، وفي مواجهة الحجرة دولاب خشبي قديم ذو
مرآة مشروخة بموجة ، وقد ألقى أمامه حذاء كرة ، خرج

من فوهته شراب مخطط بلون الفائلة . . ودمبلز حديدى صغير .

كانت الحجرة المتواضعة مأوى الصغيرين . . حيث يرقدان وبستذكران ويلهوان ويقرآن . . وحيث يختليان لتبادل الشكوى والأسرار والصداقة والعراك .

· دخل « على » الحجرة يجر ساقيه ، وحملًا من الهم يروح تحت وطأته ، وارتمى على الفراش مخفياً وجهه فى الوسادة ، وبذهنه خليط مشوش مضطرب من الأفكار ، وبنفسه حشد من الأحاسيس المتناقضة ، والمشاعر المتباينة ، جعلته كالراقد فى دوامة .

لم يكن يدرى ما به . . أهى سعادة أم شقاء ؟ ! خوف أم طمأنينة ؟ ! فرح أم حزن ؟ ! استقرار أم هيمان ؟ !
كان يجب أن يكون سعيداً لأنه أنقذ حياتها . . ألم يكن هذا هو ما يتوق إليه دائماً فى أحلامه وأوهامه ؟ ! ألم يرها دائماً بعين الوهم وهى فى خطر محقق بها يوشك أن يودى بحياتها ، وهو مندفع إليها لإنقاذها منه ؟

أجل . . أجل . . إن هذا هو ما كان ينعم به فى أحلامه .. ومع ذلك لا يحس منه الآن كثير متعة ولا هناء . . بعد أن تجسد فى واقعه .

لشد ما يكره هذا الواقع فليس أقدر منه على تشويه
الأحلام .. إنه حقاً قد أنقذ حياتها .. ولكن لم تكن تلك
هى الصورة التى يحلم أن ينقذها بها .. أين هذه الصورة من
صورته على صهوة جواده يسابق الريح وهى بين ذراعيه؟
أو صورته مفتول العضلات يطوى الموج وقد تعلقت
بكتفيه !! أو صورته يذود عنها بسيف بتار وقد علق
نظرها به فى إعجاب وتقدير !

أين من كل تلك الصور البراقة الزاهية .. صورته وهو
ملقى على الأرض معفر الوجه ، ملوث الثياب ، مخدوش
الساق ، خافض الرأس ، لا يجسر على النهوض خشية
أن ترى حجر بنطلونه ؟

أين من صور أوهامه الجميلة ، صورة واقعه الدليل ،
الذى تمت مدلته ، بحفنة النقود الذى مد بها السيد يده إلى
أبيه ، ثمناً للانقاذ .

ولم يكن هو يستطيع أن يمنع شيئاً عما وقع ، بل كان
عليه أن يرضخ لكل شيء ، وكان عليه أن يقبل الأمر
قبول المستسلم الراضى .

لقد طوح بها القدر فى سبيله ، ودفع بالعربة تلك
الدفعة القوية التى كادت توردها حتفها ، ولم يحاول هو أن

يفكر في حجر بنطلونه ، بل اندفع لإتخاذها بلا إرادة ولا وعى ، ولم يستطع أن يمنع العربى من أن تدفع جسده الصغير ليتدحرج على الأرض فى الثرى والطين لتمجى منه كل سمات الآدميين ، وأخيراً لم يستطع أن يمنع أباه من أخذ النقود لأنه لم يكن يحسر على رفع بصره أو التحدث ، ولو استطاع لما فعل ، لأنه يعرف قيمة هذه النقود التى يكره هو أخذها فى نفس أبيه ، وهو يذكر ما قاله له من أنه يريق ماء وجهه طائعاً مختاراً ، حتى يوفر عليه هو إراقة ماء وجهه من أجل أبنائه . لقد أَرْضَى الجميع بما فعل ، إلا امرأً واحداً . . هو نفسه .

إنه يحس بأكداس من الحزن ترسب فى قرارتها . . لأن كل شىء يشعره أن البون بينهما شاسع . . وأنه حتى بعد أن حقق له القدر بعض ما حلم به . . قد وجد نفسه فى أدنى القرار . . وأنها ما زالت فى أقصى القمة .
لعن الله تلك الكبرياء الكامنة فى نفسه ، التى تأبى إلا أن تربه نفسه بأعظم وأكبر من حقيقتها .

إن مصابه فى أنه يابى أن يضع نفسه ، حيث هى كائنة . . ويصر على أن يسمو بها إلى أعلى . . لأنه يراها عزيزة القيمة ، كبيرة القدر ، رفيعة المقام . . وكان يعز

عليه أن يخفض من قدرها ، في سبيل أى إنسان ، حتى ولو كانت هى .

وهكذا كان يشعر ، بعد كل ما حدث ، وبعد كل ما وصفوه به من أنه رجل وشجاع وهمام ... الخ . وبعد كل ما أعطى للأمير ولأبيه ولأمه ولأخيه . . من جميل أزاح عنهم غمة اليأس ، يشعر أنه قد عاد مهزوماً كسير القلب حزين النفس .

شيء واحد هو الذى كان يسبب له عزاء يكسر من حدة ذلك الحزن الذى يروح تحته ، وهو إحساسه بأن كل ما حدث ، مهما أساء إلى كبريائه ، وتسبب فى مذلتة ، فقد انتهى بإنقاذ حياتها ، وإن النتيجة النهائية ، هى أنها تنعم بالحياة ، وكان محتملاً — لولا ما فعل — أن تكون الآن . وأغمض ذهنه حتى يبعد عنه صورة العربة مندفعة بها إلى التربة .

أجل !! فى سبيل حياتها ، يستطع أن يحتمل نتيجة كل ما حدث ، ولخير له أن تراه بينطلون بحجر من أن يفقدها كلية ، وهى بعد هذا كله لم تر حجر البنطلون ، أو هذا هو ما يرجوه ، وهو آخر أمل فى العزاء .

وانتهت معركة الأفكار المتصارعة فى ذهنه ، والمشاعر

المتضاربة في نفسه . . بعبرات أحس بها تسيل ساخنة من
مقلتيه ، وتنحدر في صمت على الوسادة التي أخفى بها رأسه .
وقطع عليه بكاءه الصامت صوت أخيه يدخل الحجره
ضارباً بقدمه أقرب الأشياء في طريقه ، منقباً عن فردة
حذاء كرة القدم صانحاً بأخيه :

— هل ممكن أن أستعمل حقيبتك في الغد لأحمل فيها
لبس الكرة ؟ إن لدينا مباراة مع الإبراهيمية .
ومد د على ، يده يمسح دمعته خشية أن يبصره حسين ،
وبلع ريقه حتى يسترد طبيعة صوته . . وحتى لا تبدو عليه
دلائل بكاء .. ثم قال في رد مقتضب :
— إنها عندك تحت المنضدة .

— هل تعلم أنى سألعب في التيم الأول غداً ؟
— حقاً ؟

— إن عبد الرحيم مريض وقد أخبرني زكى أفندى أنى
سأقف باك شمال بدله .

ولم يجب د على ، .. واستمر حسين في ثرثرته وهو يبحث
عن فردة الحذاء :

— ستكون مباراة حامية برغم أنها غير رسمية ، ولكنها
ستظهر قوة الفريقين . . الإبراهيمية هذا العام من أقوى

المدارس . . فقد حول إليها سنتر هاف جديد من طنطا
يقولون إنه هائل . . سأخرج باكر بعد الحصّة السادسة . .
بل ربما لا نحضر الحصص التي بعد الغداء كلها .

وكان ذهن د علي ، قد شرذمة أخرى ، ولكن أعاده
من شروده سؤال أخيه :

— أستمأهء المباراة ؟

وأجاب د علي ، فى اقتضاب :
— لا . .

— يا غبى . . ألا تشاهء المباراة التى سألعب فىها لأول
مرة فى الفريق الأول ؟ إن المدرسة كلها ستشاهءنى . . سأثبت
لهم أن محسوبك خىر من يصلح سنتر هاف بعد خروج
سمبو .

وأخذ حسين يسىر مختالا فى الحجرة الصغىرة وهو
ىردف قائلا :

— تصور محسوبك سنتر هاف باك المدرسة على سن
ورمى . . لا بد أن أطلبهم بزوجىن من الأناكل وزوجىن
من الشناجىر . . إنها تجعل منظر الساق وجىها . . ألا ترغب
فى أن تجرب لبس الأناكل والشناجىر ؟
وأجاب د علي ، مرة أخرى فى اقتضاب :

— لا .

ولم تعجب حسين تلك الطريقة المقتضبة في الرد ، فقد كان يريد من يبادل له الثرثرة فسأل أخاه :

— مالك يا على .. أما زالت الواقعة تؤلمك ؟

— لا .

— إذن ماذا بك ؟ ! .. لماذا تدفن رأسك هكذا في الوسادة ؟ اقم .

وأقبل عليه محاولاً جذبته من كتفيه ، وكان الاثنان رغم عراكتهما الدائم يحب كل منهما الآخر حباً شديداً . . . فقد كانا أشبه بالتوأمين ، متلازمين في المدرسة ، وفي الاستذكار ، وفي الفراش ، لا يفرق بينهما غير اللعب ، فقد كان لكل منهما هوايته التي تلائم طبيعته ، كان حسين يهوى الألعاب الجسمانية العنيفة ككرة القدم وألعاب القوى . أما على ، فكان أميل إلى الهدوء ، محباً للقراءة ، كثير التفكير ، دائم التطلع إلى الطبيعة .

وحاول على ، أن يمسك بالوسادة التي دفن فيها رأسه ، ولكن نداء أمهما عليهما لكي يقوما للغداء اضطره إلى النهوض . ولمح حسين آثار البكاء على وجهه فصاح في فزع :
— ماذا بك يا على ؟ لا بد أن بك شيئاً .. إنك تبكي !!

— قلت لك ليس بي شيء .. لا تضايقني بإلحاحك .

وكانت الأم قد أعدت « الطبلية » ، وانتهى الأب من صلاته ، وجلست الأسرة تناول الطعام وقد أخذوا يتبادلون الثرثرة عداً على ، الذي بدا عليه الوجوم وتساءلت الأم :

— ما بالك يا علي ؟

وأجاب الأب بدلاً منه :

— لا بد أنه متعب من الوقعة .. دعيه يرقد في الفراش بعد الغداء .

وكان هذا هو أقصى ما يتوق إليه « علي » .. ولم يكذب يزدرد بضع لقمات حتى ترك « الطبلية » ، رغم إلحاح أمه .

ورقد في الفراش .. ويبدو أنه راح في غفوة قصيرة استيقظ منها على صوت عجيب .. بلغ من عجبه أنه أغمض عينيه مرة ثانية وهو يحزم أنه في حلم .

كان صوت « أنجي » ، ولم يستطع أن يدرك أية معجزة خارقة ألقت بها في دارهم الحقيبة في ذلك الوقت ، ولكنه أخذ ينصت مرهفاً سمعه محاولاً التقاط الحديث .

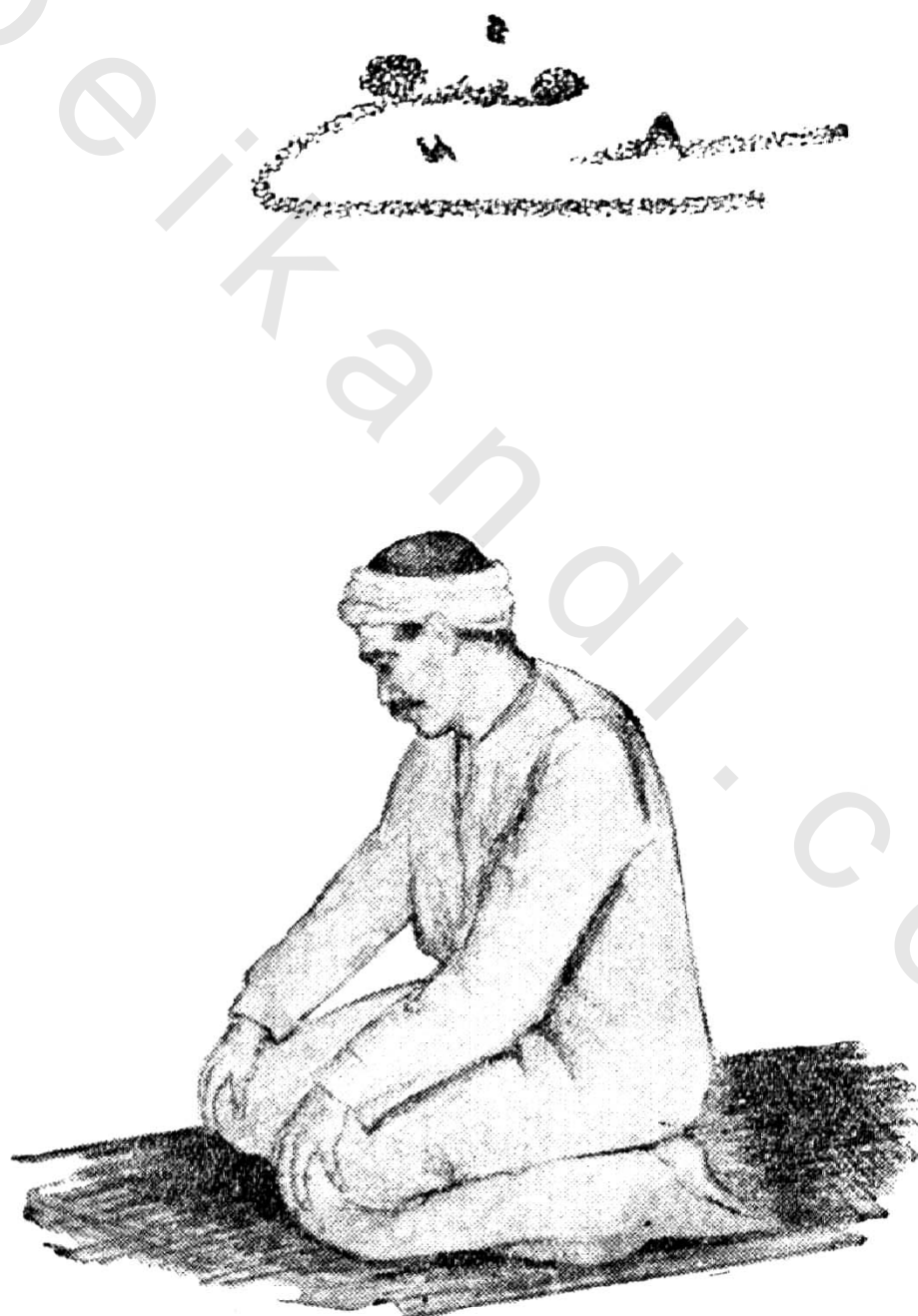
وسمع صوت أمه تقول :

— أتكلفين نفسك مشقة الحضور إلى هنا ؟ لقد زارنا النبي .. الهانم الصغيرة بحلالة قدرها تزورنا .. تفضلي يا سيدتي .

— متشكرة . . لا أستطيع البقاء طويلا . . سأنصرف
الآن قبل أن يسأل عنى أبى . . خذ يا عم عبد الواحد . .
اعط ابنك هذا البنطلون ليرتديه بدل البنطلون المخروق . .
ولا تصنعى له حجراً عند ما يخرق ، حتى لا ينجل منه ، بل
اطلبى منى بنطلونا آخر .

وأحس د على ، كأن مطرقة هوت على رأسه . . لقد
ضاع له آخر أمل كان يرجوه ، فى الاحتفاظ بكبريائه .
لقد عرفت إذا سر بنطلونه ، وعرفت سر خجله . . كيف
يستطيع أن يراها بعد ذلك ؟ بل كيف يجسر أن يراها حتى
فى أوهامه وأحلامه ؟





مضت بضعة أعوام على واقعة التروى ، ولم يكن « على » ،
قد قبل ارتداء البنطلون الذى منحته إياه الأميرة
الصغيرة ، إذ كان يحس كأن طعنة حادة سددت إلى كبريائه ،
وآل البنطلون إلى حسين الذى ارتداه قريراً هائلاً ، واختال
به بين إخوانه مزهواً خفوراً .. وفضل « على » أن يبقى
منطوياً ببنتلونه القديم تضيف إليه أمه الرقعة تلو الرقعة ،
وفى كل مرة كانت تنظر إليه ، وتمصص بشفتيها ، ثم تطلق
تنهيدة أسف وتتمتم قائلة :

— أصحاب العقول فى راحة .. كان أمامك البنطلون
الذى أهده إليك « البنية » ، جديداً فاخراً .. ولكن ماذا
نعمل وأنت ترفض النعمة وتمسك بأهداب الفقر .

وفى خلال تلك المدة لم يبصر « على » أنجى إلا لماماً ،
وأقلع عن الذهاب مع أبيه إلى القصر .. بل لم يحاول أن
يقرب من أسوار الحديقة ، إذ كان يحس من المنطقة كلها
خوفاً شديداً ، كأن بكل شبر منها لغماً ، سينفجر فيه إذا
وطأتها قدماه .

لقد اعتبر ما وقع فى ذلك اليوم ، من اكتشاف الصغيرة
أمر بنطلونه ، ومن اطلاعها على مظاهر الفقر والفاقة البادية

في دارهم ، سداً منيعاً قام بينهما ، ليس في الواقع الملموس ،
فقد كان السد قائماً بطبيعة أوضاع الحياة ، ولسكتنا نغنى أنه
قام بينهما في الأوهام اللذيذة والأحلام المشتتة .

لقد جعلها السد الجديد ، أبعد من مرمى أحلامه ..
وأنأى من منال أمانيه ، التي يؤنس بها وحدته ، ويجمل بها
أفكاره .

استبعداها بتاتاً من ذهنه ، ووأد طيفها في فؤاده ، وصلبه
في قلبه ، وكان عليه — لكي ينجح في ذلك — أن يعلم نفسه
كرهها ، وأن يزيل عنها كل بريق وبهاء كان يحيطها به ويضفيه
عليها .

ونجح الصبي في عملية الصلب والوأة ، ومحا من نفسه كل
أمل خلب ، وأمنية سرابية براءة .. واندفع يعدو من حياته
في طريق ضيق الجنبات ، مستقيم الاتجاه ، محدود المرمى ،
واضح الهدف ، هو طريق الدراسة .

كان يدفعه قول أبيه ، إنه يريد أن يجعل منه موظفاً
محترماً ، وأن الضابط أو المهندس أو الطبيب ، أفضل كثيراً
من الجنائني ، ولقد أراق أبوه ماء وجهه لأجل أن يدفعه في
الطريق ، وحرام عليه أن يريق ماء وجه أبيه سدى .

سيكون موظفاً محترماً ، من أجل أبيه الذي أراق

ماء وجهه ، ومن أجل أمه الصابرة المثابرة ، الكادة الكادحة
التي تعرف كيف توفر المايم من قوتها . . ومن ملبسها . .
ومن عرقها .

ومن أجل نفسه الذليلة بينطلون مخروق ، المهانة «بطولية»
خفيضة وحصير متواضع ، وقرش غير كائن في جيبه يجعله
يضر من صحبه ، عند ما يذهبون لشراء مرطب من «كنتين
المدرسة» . . خشية أن يعرفوا أنه لا يملك مليا ، وخشية
— شر من ذلك — أن يتطوع أحدهم لدعوته ودفع ثمن
مايتناول ، ومن أجل قرش كائن ، ولكنه يحتفظ به لما هو
أجل ، فيقطع المسافة من مدرسته إلى المحطة سيراً على قدميه
حتى يوفر قرشه ولا يصرف في العودة غير أجر القطار .
من أجل نفسه الذليلة بالصمت عند ما يتحدث الرفاق
عن بيوتهم وذويهم . . ويطبق هو شفثيه عند ما يجد أن
المقارنة مخجلة مروعة .

ومن أجل نفسه الذليلة بالفرار عندما يسأله الصبية أين
يسكن ، فيقول في ضاحية كذا ، فيقولون إنهم سيحضرون
إليه لمشاهدة الريف ، ولركوب الخيل ، وصيد السمك
والعصافير ، وتناول الغداء .

الحق . . الخبايل . . من يظنونه !! ومن يظنون والده !!

أى خيل ؟ وأى سمك وعصافير ؟ وأى غداء ، غداء الدقة
على الطبلية ؟

ويفر منهم ، وهل يملك إلا الفرار ، أو الفضيحة ؟
أجل سيكون موظفاً محترماً . . . من أجل أبيه ومن
أجل أمه ، ومن أجل نفسه ، ومن أجل . . .
لا . . . لا . . . لن يسمح لنفسه بهذا السخف في التفكير ،
لن يدعها مرة أخرى تتخطى السد المنيع لتطل على وادى
الأحلام الزاخرة جنباته بالزهور الجميلة ، المكسوة رباه
بالخضرة اليانعة ، الشادية أطياره بالنغم الحالم ، الهاتفة ورقه
باللحن العذب .

لن يسمح لنفسه بالهيمان والضلالة ، والطريق أمامه
بسيط مستقيم واضح .

ألا تكفى كل هذه الأغراض التى يسعى من أجلها ، لكى
تدفعه فى طريقه ، حتى يعاود البحث عن غرض سرايى
موهوم ، قامت دونه السدود المنيعه والحوائل الشائكة .
من أجل أبيه الكاد ، وأمه الكادحة ، ونفسه الذليلة
الطموحة . من أجل هؤلاء يسير .

لا من أجل المومودة فى قلبه .

المومودة .. المومودة .

ولكن أحقاً ، قد وأدھا ؟

وبأى ذنب ؟ !

وإذا الموءودة سئلت .. بأى ذنب وئدت ؟

أجل ! بأى ذنب وئدت .. بذنب القدر الذى وضعها
فى القمة ووضعہ فى الحضيض ، بذنب الفوارق الهائلة
والمسافات الشاسعة التى تفصل بينهما ، بذنب رفعتها وحطته ،
وكبرياتها ومذلته ، بذنب معرفتها لكل ذلك .

ولكن لمن الإجابة .. والسؤال غير كائن .. وغير ذى
موضوع ، من سائل الموءودة ، وهو وحده من بين خلق
الله يعرف أنها موءودة ، إنها هى نفسها لا تعرف .. لأنها
لا تحس به ، كل ما تعرفه عنه أن جسده المتواضع أنقذ روحها
السامية ، وقد ردت الجليل ، ببنطلون سليم بدل البنطلون
المخروق .

هذا هو كل ما تعرفه عنه .

حقيقة إنها سألت عنه بضع مرات ، أو هكذا قال له
أبوه وأخوه ، ولكنه فيما يعتقد سؤال عابر ، عن ابن الجنائى
الذى منحته بنطلوناً .

لا .. لا . يجب ألا يعطى الموءودة فرصة أخرى للحياة .
يجب أن يكون استئصالها استئصالاً .. قاطعاً بتاراً .. حتى

لا تعود إلى التنفس والانتعاش في فترات الحساسية وإرهاف
الشعور من فرحة طارئة أو حزن عابر .

أجل .. يجب ألا يجعلها تنسرب من وراء السد القائم ..
لتتخذ مكانها من أوهامه كقوة دافعة .. أو هدف منشود ،
فالقوى الدافعة معروفة ، والأهداف محددة .

وإذا كان قد وصل بعد عامين من السير إلى مرحلة من
مراحل النجاح فبفضل أبيه .. ومن أجل أمه .. ومن
أجل نفسه .

أليس كذلك ؟

انطق أيها الأحق ، مالك تتردد في الإجابة ؟
أجل ! أجل ! إنه لكذلك .. ليس لها من نفسى مكان
سوى مكان المومودة .

بعد زمن من السير ، والوصول إلى النجاح .. يجب أن
تعطى الفضل لأصحابه .

قم وشارك أباك شكره لله ، وأمك فرحتها ، واضحك
وامرح كما يفعل أخوك .

بدل أن تجلس هكذا واجماً شاردأ ، نحاول بإنكارك لها
أن تحيها من وأدها وتبعها من مرقدتها .

إنكار الشيء لا يكون بالتفكير فيه حتى ولو كان تفكيراً

إنكارياً ، أو استبعادياً .. إنما تفكر في الذي تحاول استبعاده
في ذهنك ، حتى ولو بالتظاهر بطرده وإهماله وإنكاره ..
ولو وددت استبعاده ، لما شغل من ذهنك أكثر مما يشغله
كوز الذرة في الحقل ، أو القلم على المنضدة ، أو الحشية على
فراشك .

أختم عليك أن تجلس شارداً ذهن ساعة نجاحك ..
لتؤكد لنفسك أن كل هذه الأشياء مستبعد من نفسك ولا
تشغل من ذهنك أى تفكير ، كما تفعل مع الموءودة .

قم .. قم .. مادم قد وأدتها من زمن ، فلتدعها من
تفكيرك جانباً .. ولتكن في نفسك كغيرها من الأشياء
الجملة المهمة المحيطة بك .. لتكن قلباً على المنضدة ، أو حشية
على فراش ، أو حتى شراباً في حذاء .

أتسكره هذا التشبيه ؟

إذن فلتكن زهرة على القناة .. أيعجبك هذا ؟
أيها الأحقق الصغير .

ما زالت للموءودة ، قيمتها في نفسك ، مهما أصررت
على أنها موءودة .

قم إلى أبيك وأمك ، وافرح بنجاحك .. أنت الآن
صاحب شهادة محترمة .

أنت رجل ، حامل بكالوريا .. تستطيع بها أن تكون طالباً في مدرسة عليا ، وتضع قدمك على أول درجات اللقب المحترم .. ضابط ، أو مهندس ، أو طبيب .. فإذا لم تشأ .. تستطيع بها أن تكون موظفاً ، نصف محترم .

ونفض «على» من مقعده أمام المنضدة ، وقد نفّض عن نفسه غبار التفكير ، وساعده على التخلص من شروده طرب أصاب نفسه برغمها من مجرد تذكره أنه قد أضحي حامل بكالوريا ، أى رجل له صفة رسمية في هذا البلد .

وكان اليوم أحد أيام يولية القائظة والوقت عصراً ، والشمس قد بدأت الانحدار ، وظلال الشجر قد طالت ، ودس «على» قدمه في قيقاب خشبي ، واتجه إلى الحمام للوضوء حتى يؤدي فريضة العصر ، ولمح في طريقه أباه وقد ركع في حجرته مستغرقاً في الصلاة وقد أسبل عينيه ونطقت ملامحه بأبلغ آيات الحمد .

وكانت أمه قد قبعت على حشية في مدخل الدار ووضعت أمامها سطلا نحاسياً كبيراً أخذت تذيب به بضع زجاجات من شربات الورد ، وجلس حسين بجوارها وقد مديده بكوب فارغ وسألها راجياً :
— كوب آخر .

ونهرته الأم صائحة :

— معدتك تنفجر .. هذا رابع كوب .. ماذا سيبقى للناس ؟! ألا تستحي ؟!

— آخر كوب .

— لن أعطيك نقطة واحدة .

— إنه شرباتي أنا .. أنا الذى نجحت ولست أنت .

— خذ ولا ترينى وجهك .

ودخل د على ، فى الحمام الذى لم تفلح الطاقة فى أعلاه فى تبديد الظلمة المخيمة فيه فى رابعة النهار ، وشمر أكمامه وبدأ الوضوء ، وعادت مناقشة أخيه وأمه تطرق أذنيه .
قالت الأم :

— لقد أرسلت د بهية ، بذت خالتك لتبتاع لى ثلجاً من الصندوق الكائن بجوار المحطة .. ومضى لها نصف ساعة .. اذهب لتستعجلها .

— أنا أذهب لاستعجال بهية ؟

— أجل .

— أنا .. أذهب .. إلى صندوق الثلج ؟

— ولم لا .. أعلى رأسك ريشة ؟

— لا .. على رأسى أفضل من ريشة .. على رأسى

شهادة .. على رأسى بكالوريا .. عيبك يا أماء إنك جاهلة ..
لا تعرفين قيم الناس .. أنعرفين من يكون هذا الجالس أمامك؟
— لا أريد أن أعرف .. ليس هناك وقت للثرثرة ..

اذهب يا حسين واحضر الثلج بالتى هى أحسن .

— أولا ليس إسمى حسين .. إسمى حسين أفندى ..
لأنى أستطيع أن أتوظف بالـبكالوريا .. وظيفة محترمة ..
وإذا أضحييت موظفاً فسينادونى حسين أفندى .. أفهمت ؟
— اللهم طولك ياروح .. اذهب يا بنى واحضر الثلج .
— لأجل خاطرك سأذهب هذه المرة فقط .. إذا
أعطيتنى كوباً آخر .

— كوب آخر .. أجنت ؟ ! تبتلع خمسة أكواب
من الشربات .. إن معدتك تنفجر ؟ !

— لا تخشى على معدتى إنها تبتلع الزلطا

— خذ .. واذهب بسرعة .

— سألبس البدلة أولاً .. لأنى سأنزل مصر .

— ستنزل مصر ؟

— أجل . لأنى سأذهب إلى السينما .

— من قال هذا ؟

— أنا .. لقد اتفقت مع أصحابى وأعطيتهم موعداً .

- هل معك نقود؟
- سأذهب على حسابهم .
- استع من نفسك .. كفى تطفلا على الناس !
- هذا ليس شأنك .. لا تعطونا نقوداً !! ولا تتركونا
- نتطفل !! ماشاء الله .. لامنك ولا كفاية شرك .
- وكان « علي » قد انتهى من الوضوء وعبر الصلاة متجهاً
- إلى حجرته للصلاة ونحوه « حسين » فصاح به :
- علي ... أأن تذهب إلى السینما ؟
- لا ..
- لم ؟
- ليس معی نقود .
- سأقرضك .
- ومن أين لك النقود؟
- سأقرض من عباس .
- لا .. لن أقرض منك .. ولن تقرض أنت من
- أحد .. عندما تكون النقود معنا ، نذهب إلى السینما .
- وكان الأب قد أتم صلاته فاشترك في المناقشة صائحاً من
- حجرته :

— اليوم ستبقیان معی لاستقبال الضیوف والمهنئين

لقد أصبحنا رجلين .. ويجب أن تستقبلا الناس .. هذا
عيد لدينا يجب أن نحتفل به سوياً ... أريد أن أفرح بكما ..
لقد بيضتما وجهي .. لم يذهب تعبي فيكما سدى .
وتركت الأم المغرفة الكبيرة التي كانت تقاب بها الشرابات
ورفعت يديها إلى السماء داعية :

— الحمد لله .. ربنا يتمم نجاحهما .. ولا يخيب لها أملاً ..
ربنا يقيهما شر العين .. ربنا يحجب فيهما خلقه ..
واسترسلت الأم في سلسلة الدعوات التي كانت لا تنفك
تطلقها إلى السماء في كل غدوة ولديها وروحة .

وبدت في فناء الدار « بهية » ابنة أخت « زهرة » التي
أحضرها أبوها لتعيش مع خالتها بعد أن توفيت أمها خلال
العام الماضي .

وتقدمت الصبية بوجهها الصبوح المستدير إلى الأم ،
مادة يدها بقطعة الثلج .. وربت المرأة ظهرها في حنان قائلة :
— ربنا لا يحرمني منك .. لقد عوضتني عن خلفه
البنات التي طالما تقت إليها .

ثم نظرت إلى ولديها وأردفت متممة في صوت خفيض :
— ربنا يجعل لك نصيباً في أحدهما .
وملأت كوباً من الشرابات ومدت يدها به قائلة :

— خذى هذا .. شربات نجاح على وحسين .. عقبالك
فى فرحك .. إن شاء الله .

وضحك ، حسين ، وربت رأس بهية وقال :

— فى فرحك سأسترد كوبك هذا بالرجح المركب ..
أنت لا تعرفين الرجح المركب .. ولا حتى الرجح البسيط ..
لا بأس .. ملخص القول سأسترد الكوب .. خمسة كوبات .
وضحك أبوه قائلاً :

— هذا ليس رجحاً مركباً ، هذا ربا .

وبدا الاحمرار على وجه الصبية وقالت :

— سأرد لك الشربات دون زواج .. لأنى لن أتزوج
سأبقى دائماً مع خالى .
وضمته الأم إليها قائلة :

— ستتزوجين .. وستبقين معى .. أو على الأصح أنا
الذى سأبقى معك .. إذا كنت ترضين بإبقائى فى بيتك .



يفضل المودود



«على، من صلاته وارتدى هو وأخوه بدلتيهما،
اتشترى وارتدى أبوهما جلباباً به الصوفي وعمامة الصفراء،
وبدأت وفود الجيران والمعارف تترى مهتة بعد أن ذاع
في البلد خبر نجاح الولدين وحصولهما على البكالوريا، وانسابت
ألفاظ التهتة من الألسنة وانسابت معها أكواب الشرابات في
الخلوق، وتقبل الرجل أطيب التهاني فرحاً مغتبطاً، مبعداً
من ذهنه كل ما يحيط بها من نفاق أو حسد، واجداً فيها
مظهراً من مظاهر الود والوفاء والحب والإخلاص.

وأخيراً هدأت الضجة، ونفدت «سطل» الشرابات،
وخلت دار عبد الواحد إلا من أهلها، وأقبل الليل وجمعت
«الطبلية» العتيدة شمل العائلة الصغيرة في «صاله» الدار، وقد
صفت عليها «زهرة» صحاف العشاء المكونة من الخضار
والأرز وطبق من «البصارة» وبعض الخيار المخلل.

وخلال العشاء، شرد ذهن الرجل في الخطوة الجديدة
القادمة.. لقد قذف عن كتفيه عبئاً.. ليحمل عبئاً أثقل.
لقد قطع جزءاً من الطريق وبقي الجزء الأكثر وعورة
والأشد مشقة.

ماذا ينوي أن يفعل بولديه بعد ذلك... إن الثمرة

يمكن الآن قطاها ولكنها ستكون بعد خضراء غير ناضجة
ولن يكون لها في فمه أو فمها حلاوة المذاق .

إنه يستطيع أن يسعى لتوظيفهما ، ومحمّل جداً أن
ينجح وسيساعدانه بأجرهما ، وسيوفران عليه المشقة الكبرى
في الحصول على المصاريف اللازمة لتكملة تعليمهما ، ولكن
أهذا هو ما كان يرجو لها أو ما كان يأملان فيه لنفسيهما ؟
إن حسيداً قد يوافق . . بل أغلب الظن أنه سيرحب
بذلك أشدّ الترحيب . . ولكن علياً . . ذلك الصامت
المجد الطموح . . هل يرضى لنفسه هذه النهاية ؟

لقد قال له مرة . . إنه يفضل أن يعمل مثله بستانياً
حتى يحفظ له ماء وجهه . . ولكن . . الآن . . وبعد أن
دفعه إلى منتصف الطريق . . وأخذ يتعلق بالأمل العذب . .
هل يرضيه أن ينكص على عقبيه ؟

ولكن هبه اعترم السير في الطريق إلى النهاية . . كيف
يمكنه أن يدبر النقود ؟ إن المسألة ليست هينة ، فالمصروفات
المدرسية أكثر مما تعود أن يدفعه في المدارس الثانوية . .
والصبيان لاشك سيحتاجان إلى مبلغ أكبر للملابسهما ،
ومصروفهما ، فارتداء البنطلون ذى الحجر أمر إن سهل
عليهما في المدرسة الثانوية ، فإن أمره في المدرسة العليا

جد عسير . وكلما تقدم بهما الزمن تفتحت أعينهما ، وسهلت عليهما مقارنة أنفسهما بأبناء الغير ، وأبناء الغير في المدرسة العليا لا بد أن يكونوا من طبقة منتقاة تتمتع كثير أيسر العيش . وهو يأمل من الأمير زيادة قد تسد مطالب العيش في حالتهما الجديدة . . . ولكن المصروفات . . . كيف يدبرها ؟ إن لديه فدانين . . . يمكن بيعهما بمائتين أو ثلاثمائة . . . ولدى امرأته كردان وأسورة يساويان بضع عشرات من الجنيهات . . . حقيقة إنه يعتمد على إيراد الفدانين في سداد بعض المطالب السنوية من خزين وملبس . . . وحقيقة أيضاً أنه يعتبر مصاغ زوجته كمالاً احتياطياً للطوارىء ، طوارىء المرض أو الوفاة .

ولكن ألا يستحق مستقبل ولديه أن يضحي بذلك كله ؟ إذا خرج من الحياة صفر اليدين إلا من ولدين محترمين ألا يكون قد أدى واجبه . . . وجعل للحياة ثمناً طيباً ؟ وتناول الرجل لقمة من طبق البصارة ، وأخذ يلوكمها وهو مستمر في شروده .

لقد استقر رأيه عند هذه النقطة من تفكيره على أن يستمر في السير . . . مهما كان الثمن . . . لقد دفع فيما مضى ماء وجهه . . . أكثر عليه أن يدفع الفدانين والمصاغ ؟

والله لو أدى الأمر إلى أن يدفع حياته .. ليدفعها راضياً ،
إنه يحب الولدين أكثر مما يحب نفسه .

وأخذ يرقبهما بنظرته الشاردة .. علماً بهدوءه ورزاقته
وكبريائه الصامته ، وحسيناً بخفته ، ومرحاً ، وطيبة قلبه ،
واستهتاره . إنهما الآن في مفترق الطرق ، وعلى الخطوة
المتقبلة التي يوشك أن يخطوها يتقرر مصيرهما .
ترى ماذا يدور بذهنيهما الآن ؟

أغلب ظنه أن برأسيهما ما برأسه .. وما من بأس هناك
في أن يطرح الموضوع على بساط البحث خلال العشاء .
وبدأ الرجل الحديث مبدداً غيوم الصمت بقوله :
— بيضتما وجهي أمام الناس .. لقد كنت أضع يدي
على قلبي ساعة أن ناولني الشيخ معوض الصحيفة التي ظهرت
بها نتيجةكما .. وكان أكثر ما أخشاه أن يضيع تعبكما سدى ..
لقد أجهدتما نفسيكما كثيراً في الشهر الأخير .. واسكن الله
عوض جهدكما ، وجمات النتيجة خيراً .
وتمتت الأم بصوت خافت :

— الحمد لله ربنا يتم نعمته ويقبهم شر العين .

واعترض حسين ، ضاحكاً :

— قبل أن يقينا شر العين .. يعطينا مجموعاً عالياً ..

حتى تجد العين ماتحسدنا عليه .

وأردف ، على ، :

— أجل المجموع هو المهم . . هذا هو ما سهرنا من .

أجله . . لقد كان النجاح مضموناً بنصف هذا الجهد ،

ولكن النجاح في البكالوريا ليس كل شيء ، بل يجب النجاح

بمجموع يمكننا من أن ندخل المدرسة التي نأمل فيها .

وسأل الأب :

— وما هي هذه المدرسة ؟

— مدرسة المهندسخانة . . أو الطب . . وإن كنت

أفضل المهندسخانة .

— كنت أتمنى أن أراك ضابطاً .

وقال « حسين » معترضاً :

— سأكون أنا ضابطاً إن شاء الله . فأنا لا آمل كثيراً

في أن أحصل على مجموع كبير ، وأعتقد أن الطريق أمامي

لمدرسة البوليس معبد . . وإني لأستطيع الالتحاق بهـ

بسهولة رغم الصعوبة التي يلاقها بقية المتقدمين إليها .

وتساءل أبوه في دهشة :

— ولم ؟

— لقد تبارينا في العام الماضي مع مدرسة البوليس
مباراة حبية في كرة القدم . . . ولقد أعجب بي ضابط الكرة
الذى كان يصحب الفريق . . . وسألني عن اسمي وكتبه في
مذكرته . . . وقال لى . . . عندما تأخذ البكالوريا من رجب
بالتحاقك عندنا .

— أظنه مازال يذكر ؟

— بالطبع . . . فقد التقيت برئيس الفريق منذ شهرين ،
وأكد لى قول الضابط وأنبأني أنهم قد رتبوا فريقهم القادم
وأنا فيه .

وضحك الأب وأجاب :

— وهكذا ستفعل لعبة الكرة التى طالما نهيناك عنها..
عجبة ! لم أكن أظن أن لها عندهم مثل هذه الأهمية .
وتساملت الأم فى استنكار :

— أستبقى طول عمرك ، لعبياً ، . . . لاقيمة لك إلا فى
اللعبة . . . حتى عندما تصبح ضابطاً . . . لا بد أنك ستكون
هفوية بين الضباط .

— احذرى يا أماء . . . أنت لاتعرفين من تكلمين . . .
بعد بضعة أشهر سأأتى إليكم . . . وأوقف البلد على قدم وساق..
سأجعل العمدة يقبل يدي . سأكون من الحكام . أتعرفين

الحكام؟

وضحك الأب قائلاً :

— اللهم قنا شرهم .

ثم طوّح ملعقة ارز في فمه وأردف :

— وهكذا قد عصمت على أن تكون ضابط بوليس؟

— إن شاء الله .

— إذن ليكن أخوك .. ضابط جيش .. مارأيك في

الحرية يا علي؟

وضحك « علي » ضحكة خفيفة وأنفجر « حسين » بمقهقهة

ثم قال مجيباً على الدهشة التي ارتسمت على وجه أبيه :

— الحرية .. مرة واحدة ! .

ونهره الأب بقوله مستنكراً :

— أتدخل أنت البوليس .. وتستعصى الحرية على

« علي » ؟ إنه خير منك مائة مرة ...

وأردفت الأم قائلة :

— ماله « علي » .. أيجدون خيراً من قوامه ومنظره ..

وخلقه؟

وقال « حسين » :

— طبعاً . . . القرد في عين أمه . . .

ونهره أبوه بقوله :

— لانتكن وقحاً .

وأبنته أمه بقولها :

— والله ما قرد لدى إلا أنت .

وضحك د علي ، ضحكته الخافتة وهو يرى الشتام تنصب
على أخيه وقال مدافعاً عنه :

— يا أبي إنه علي حق . . . إن المسألة ليست مسألة

شكل ولا قوام . . . المسألة مسألة وساطة ، لأن الإقبال
على المدرسة شديد . . . والعدد المطلوب ضئيل . . . إنهم
لا يقبلون كل عام من السبعمائة أو الألف الذين يتقدمون
إلا عشرة .

— قادر وكريم يكون لك نصيب ضمن العشرة .

— المسألة ليست نصيباً . . . والقادر الكريم لا أظنه

لا يتدخل أبداً في انتقام الطلبة .

— استغفر الله . . . لا تقل هذا يا د علي ، .

— أنا لم أقصد الكفر بالله . . . ولكن إن الذي ينتقى

هم جمع من كبار الضباط .

— ولماذا لا ينتقونك إذن ؟

— لأن هناك من هو أحق منى .

— من هذا الذى أحق منك ؟

— أبناء الضباط والكبراء .. إن الذين سيشغلون
العشرة أماكن المطلوبة ، يكادون يعرفون من الآن . لا ..
لا يا أبتاه .. دعنا من الحربية فلا أمل لنا فيها .. إنها تحتاج
إلى وساطة كبرى .. فكشف الهيئة بها صراع بين
الوساطات ، والغلبة للوساطة الأقوى .

وشرد الأب بذهنه لحظة ثم قال ببطء :

— إذا كان الأمر يحتاج إلى وساطة كبرى .. فلم لا نلجأ
إلى « أفندينا » ، فقد يقبل أن يعطينا بطاقة لأحد من أولى
الأمر .

وفوجيء « على » من قول أبيه وتصاعد الدم إلى وجهه .
فقد دفع ذكر أبيه المفاجيء لأفندينا .. شيئاً آخر فى ذهنه
غير أفندينا .. شيئاً وطيد الصلة به .

لقد خيل إليه أن الموءودة فى قلبه .. تنفض عنها غبار
اللاحد .

وأجاب « حسين » ببساطة :

— هذه والله فكرة طيبة ، فلا أظنهم يرفضون وساطة
أفندينا .

ثم أردف مازحاً موجهاً القول إلى أمه :
— أبشرى يا أماه . . وهذا ضابط آخر . . سيحضر
إليك إن شاء الله بالمدفع . . فيدك لك دار العمدة . .
سنخر بها ونجلس على تلها .

وكان ، على ، مازال يقاوم رجفة قلبه التي أحدثتها
الموءودة البقظي . وأخيراً تمكن من الرد قائلاً في لهجة
قاطعة :

— لا يا أبتاه ! لا داعي لأن نلجأ إليه . إنه لن
يقبل أن يتوسط لنا ، فهو يحتقر الناس جميعاً ، ومن بينهم
نحن وهؤلاء الذين سنرجو وساطته عندهم . ثم هو لن
يعجبه كثيراً أن يكون ابنك ضابطاً . . فهو لا شك يعتقد
أن الجيش يجب أن يقتصر على الطبقة الاستقراطية . . وهو
نفسه يفاخر بأنه كان ضابطاً في الجيش التركي . . فلا مبرر
لأن تريق ماء وجهنا بلا فائدة . ولم كل هذا ، والمهندسخانة
في يدينا ؟ إني واثق إن شاء الله أني سأحصل على مجموع
ضخم ولا سيما في مواد الرياضة ، وستكون المسألة في غير
حاجة إلى وساطة ولا رجاء . . أترك ما بيدنا لنأمل فيما
يستحيل تحقيقه إلا بمعجزة ١٩

ولم يكن الأب ينصت إلى حديثه ، فقد أخذ يحدق فيه

ويتخيله في حالته الرسمية بجوار أخيه .
آية سعادة تصيبه لو تحقق الحلم .

وعندما أجاب الرجل على قول ابنه سر د في يسر ذلك
الحلم الذى يجول بخاطره قائلاً :

— كم أود أن أراك ضابطاً يا د على ، .. ستكون من خير
الضباط شكلاً وخلقاً .. ووسامة ورجولة .

وأردفت الأم وهى تشارك الرجل حلمه :

— أى والله .. ليت الله يحقق حلمك يا أبا على .

— الله يقول .. اسع يا عبد .. وأنا اسعى معك ..
فيجب علينا أن نسعى ..

وصاح د على ، معترضاً :

— يا أبى لا داعى للسعى فيما لا يمكن تحقيقه . أرجو
منك ألا تذهب إلى أفندينا .. ولا تسأله شيئاً .. لأنى واثق
من رفضه .. وواثق من خيبة مسعانا .

وتدخل د حسين ، قائلاً :

— يا أخى دعه يجرب .. ماذا ستخسر أنت ؟

وهمس د على ، كأنه يحدث نفسه :

— سنخسر مزيداً من ماء الوجه المراق .

وأجاب الأب :

— قلت لك إن ماء وجهي لا يراق سدى أبداً .. إني أريقه لكي تحفظه أنت .. سأذهب إليه وأرجوه .. أو أرجو الله في شخصه .. والله لا يخيب لمؤمن رجاء ، ولا تنس أن مدة الحربية قصيرة ، ومرتها مضمون .. فهي لا ترفقنا كغيرها من المدارس .. وستعودنا فيما بذلنا سريعاً .. وستكون أنت في ثلاث سنوات ضابطاً محترماً يهابك الجميع ويحترمك الجميع .. عندما تعود إلى البلدة بحللك ستسير فيها كما يسير الأمير .. أي والله .. لن تكون أقل منه ..

ولم يجب ، على ، ، فقد أحس برجفة في قلبه مرة أخرى . هذه المرة كانت يقظة المومودة تامة .. ولم يحاول أن يرقدها ولا حاول أن يهبل عليها الثرى ، بل تركها تشرئب بعنقها لتهتف به :

— من أجلى أنا سر في الطريق .. مهما وأدتني .. ومهما أنكرتني ، فأنا الدافع وأنا الهدف .. بعد أشهر سترتدي حللتك ذات الشريط الأحمر والسترة المخلقة ، الياقة ، .. ستكون وسيماً .. حتى لا أكاد أميز فيك الغلام المعفر الذي رقد أمام الترولى وأنقذ حياتي . وبعد ثلاث سنوات

مستكون ضابطاً ، كما كان أبي . . سنقف أنا وأنت على قدم
المساواة ، لن يكون أحدهنا في القمة والآخر في الحضيض .
وغادر الصبي ، الطبلية ، ، وقد انهار السد القائم . .
وتدفقت في نفسه الأحلام الحلوة والأمان العذبة .



غزلبه توحیدیت



في

صبيحة اليوم التالى كان الأب يغادر الدار مغرقاً
فى الصمت ، إلا من أنفاس هادئة تتردد فى
حناياه ، وعبر بضعة الأكواخ المجاورة لداره ، وسار
على الطريق المجاور للترعة متجهاً صوب القصر ، ووصل
إلى الباب الخلفى المجاور للسوبة ، والذي تعود الدخول
منه . واتجه إلى كشك خشبى تجمع أمامه البستانيون
والأنفار والصبية ، وحيا الجمع ، ثم أخذ يوزع الأعمال
عليهم قائلاً :

— لابد اليوم من إتمام تغيير الطمى ، سنبدأ
بالأحواض الغربية . خذ معك أربعة أنفار ياريس
عبد الظاهر . . أو خذ ستة حتى ينتهى العمل بسرعة ، وابدأ
بنقل الطمى القديم من الأحواض ، وافرشوه فوق النجيل
المجاور ، افرشوه جيداً حتى لا يضطر أن نعيد تسويته مرة
أخرى ، وبعد ذلك انقلوا إليها الطمى بواسطة عربة الترولى
من السكوم الموجود عند الباب الذى بجوار الترعة .

ثم التفت إلى رجل آخر وقال :

— وانت يا أبا خليل خذ نفرين وشقرف أحواض
الداليا ، فقد تكاثر فيها السعد .

وأجابه الرجل :

— كنت أنوى أن أقص السور الشرقى ، فقد تكاثفت
الدرنة وتكاد أطرافها تقلع العيون .

— إذن فاذهب لقصها واترك الشقرفة .

وهكذا استمر « عبد الواحد » فى توزيع الأعمال ،
وانتشر رجاله بين أرجاء الحديقة المتسعة ، بفؤوسهم
وغلقانهم ومقصاتهم وشقارفهم ، والرئيس يجول بينهم حتى
استقر به المقام فى السوبة ، متنقلا بين أصص « القراولة »
التي نقلها حديثاً من الكوبات الصغيرة إلى القصارى الكبيرة
نمرة ٢٥ .

وعندما قربت الساعة من التاسعة ، اتخذ طريقه إلى
مكاتب الدائرة ، وقد بدت عليه سيما الجد والتفكير .

كان يدير فى رأسه الطريقة التي يحدث بها الأمير ، يجب
أن يختار الوقت المناسب لكي يطلب طلبه . . إذ يتحتم أن
يكون الأمير على حال من الرضاء تسمح له أولاً بالاصغاء
وثانياً بالقبول ، ورضاء الأمير عليه فى هذا الوقت من العام
متعذر . إذ ليس هناك ما يسيبه ، فمعظم الأحواض خالية من
الزهور ، وليس لدى « عبد الواحد » ما يستطيع أن يباهى
به ، أو يرضى به نفس الأمير ، بل إن لقاء الأمير فى هذا

الوقت من العام أمر صعب ، فمروره على الحديقة لا يكون إلا في أوقات متقطعة ، غير محددة ، ولا معروفة ، وهو وشيك السفر إلى قصره في الاسكندرية ، ويعلم الله إن كان سيعود قبل موعد القبول أم سيبقى في الاسكندرية حتى أكتوبر .

إن عليه أن يفعل شيئاً قبل سفر الأمير .. لابد أن يقوم بعمل حاسم خلال هذا الأسبوع .. أو على الأصح خلال هذا اليوم .

وإذا كان لقاء الأمير متعذراً .. فعليه أن يوسط لديه أحداً ممن يلقونه بسهولة وفي أى وقت يشاءون ؟
ومن أقدر على ذلك سوى إبراهيم افندى ناظر الدائرة ؟
إنه رجل طيب وهو يحب « عبد الواحد » ، وكان من أول مهنّيه بنجاح ولديه ، وهو من أقرب الناس إلى الأمير ، ويستطيع أن يلقاه وقتما شاء ، وحيثما شاء .

ووصل « عبد الواحد » إلى مكاتب الدائرة ، وحيّا الخفير ، وسأله عن إبراهيم افندى فأنبأه أنه في حجراته .
وكانت مكاتب الدائرة تشغل بضع حجرات أرضية ، في ركن قصي من أركان الحديقة المتسعة ، لها مدخل يفضى إلى الشارع وآخر يفضى إلى الحديقة .

ومر الرجل بمكاتب الموظفين محياً حتى وصل إلى حجرة
ابراهيم افندى ، فطرقها طرقات خفيفة مترددة ، وسمع
صوت الرجل يصيح به من وراء الباب :
— أدخل ...

ودفع «عبدالواحد» الباب ، وتقدم إلى مكتب الرجل
الذى كوّمت عليه الدوسيمات والأوراق وشد على
يده محياً .

ورد «ابراهيم» على تحيته مرحباً :
— أهلاً .. أهلاً .. كيف حالك يا ريس عبدالواحد ،
تفضل أقعد .. خير إن شاء الله .

وجلس «عبدالواحد» ، وأخذ يفرك كفيه ، وقد
أسقطهما في حجره ، وصوب نظره إلى قدمي ابراهيم افندى
الباديتين من أسفل المكتب ، وبعد فترة صمت استعاد
فيها رباطة جأشه قال :

— لي رجاء عندك يا ابراهيم افندى .. أخشى أن أثقل
عليك به .

— قلّه يا ريس عبدالواحد .. ليس هناك ما يثقل منك ،
فأنت رجل طيب .. لا ترجو إلا الخير .

— كنت أود أن تتوسط لدى أفندينا حتى يكلم أحداً

من ذوى الشأن لقبول ابني فى الكلية الحربية .

ورفع الرجل وجهه عن الدوسيه الذى ثبت عليه بصره ،
ولم يستطع أن يخفى الدهشة التى بدت عليه ، ومد يده لخالع
منظاره وتشاغل بمسحه ، وأخيراً قال متسائلاً فى استنكار :

— الحربية . . الحربية . . هكذا مرة واحدة ! ؟
وبدا الارتباك على وجه الأب ، المغالى فى تقدير قيمة
ابنه ، وزاد من طأطأة رأسه ، ولم يعرف كيف يجيب .
وأردف « ابراهيم » فى صوت أكثر رقة وأقل
استنكاراً :

— الحربية ياريس عبد الواحد لا تقبل إلا عدداً
محدوداً . . إنها ليست لنا ولا لأبنائنا . . لماذا ترهق نفسك
من أمرها عسراً !
ورفع « عبد الواحد » رأسه وازدرد ريقه وأجاب فى
تؤدة :

— نحن نحيا لأولادنا يا ابراهيم أفندى . . لا بد لكل
نبت من تربة يمتص منها غذاءه ، ومادمنّا أنبتنا نبتاً فلا بد
أن نكرس أنفسنا لإنمائه ورعايته . . إن كل جهد نفعله
يجب أن يكون من أجلهم ، ونحن لانطلب منهم رد جميل .
وتتم ابراهيم أفندى فى اعتذار :

— معك حق ياريس عبد الواحد . . سيكون أولادك

إن شاء الله . . رجالا كباراً ، ولكنى فقط أرى أن مسألة الحرية هذه تكاد تكون مستحيلة .

— وما وجه الاستحالة فيها . . لو أن أفندينا رجا أى واحد من أوائك الذين بيدهم الأمر . . لما تأخروا فى قبوله .

— أجل . . لو أنه رجا . . لو . . .

وصمت الرجل برهة ثم أردف :

— و . . ولكنه لن يرجو .

— لماذا ؟

— أنا أعرفه جيداً . . أعرف كبريائه و « عنظزته » ، وأنا نيته . . هو لا يرجو أحداً . . من أجل أحد . لا فائدة . لنحاول .

— لا فائدة ياريس « عبد الواحد » ، لا تكن لحوحاً . . إنى واثق أنه سيثور لو عرف أنك تفكر فى هذا ، وأنتك تود أن يكون ابنك ضابطاً . . أنت لا تعرف كيف يحترقنا هؤلاء الأمراء . . إننا فى نظرهم أداة لخدمتهم ، ولولا حاجتهم إلينا لما ارتضوا ببقائنا فى أراضهم لحظة واحدة . . إنهم يمتقدون اعتقاداً جازماً . . إننا نوع من الدواب التى لاتساق إلا بالكرابيج وهم يكرهون منا أننا نتخذ صفات الأدميين ، وأننا نفكر ونفهم ، وأن لنا مطالب فى الحياة ،

ولهذا يفضلون علينا الدواب . . إن كلابهم وخيولهم أعز
عليهم منا . . وأؤكد لك أنه أسهل على إدخال ابن الفرس
الجديدة في الكلية الحربية من أن أرجوه إدخال ابنتك أنت ،
مفهوم ياريس .

وأطرق الرئيس « عبد الواحد » برأسه ، وأطلق تنهيدة
أسى لم يستطع كتبها ثم قال وهو يهم بالنهوض :
— مفهوم يا ابراهيم افندى . . أكثر الله خيرك . .
لا تؤاخذنى فيما أثقلت عليك به . . متشكر جداً .
وتقدم إلى المكتب ماذا يده مودعاً .

وأحس إبراهيم افندى - رغم أنه لم يقل غير الواقع -
أنه أساء إلى الرجل ، وأنه كان جافاً في صراحته إلى حد آلمه ،
وأنه كان يستطيع أن يرده بخير من هذا ، وأن يفهمه بطريقة
أرق . . وألا يقضى على آماله الطيبة ومطامحه السامية هذا القضاء
القاسى ، ولم يجد بداً من أن يلاطف الرجل ويخفف من ألم
الصدمة التى أنزلها به ، فقال وهو ما زال ممسكاً بيده :

— اجلس قليلاً ياريس عبد الواحد . . دعنى أطلب لك
فنجاناً من القهوة . . لقد شغلنا عنها بالحديث . . اجلس .
— متشكر يا ابراهيم افندى . . لا بدلى من العودة
السريعة . . أنت تعرف الأنفاز . . إن لم أقف على أيديهم

أفسدوا كل شيء ، وقد تأتي الطوبه في المعطوبه ويمر أفندينا .
— إجلس برهه .. إن لدىّ طريقة يمكنني معاودتك بها
في مسألة الحريه .
— كيف ؟

— إني أعرف عبدالجليل أفندي باشكاتب المدرسه ..
كنا زملاء في السودان قبل نزول الجيش .. وما زال الود
بيننا قائماً حتى الآن ، وهو رجل طيب جداً .
— ولكن أنظن أن في يده شيئاً ؟

— من يدري ! إنه باشكاتب المدرسه ، وهو بلا شك
على صلة بمديرها وكبار ضباطها .. ويستطيع أن يساعدنا
في التوسط لديهم . إجلس حتى أكتب لك خطاب توصية .
يقدمه ابنك إليه عند تقديم أوراقه ، وذكرني يومذاك
أن أحدثه بالتليفون .

وجلس عبد الواحد وهو يتمتم :

— أكثر الله خيرك .. ومد في عمرك .

وأخذ ابراهيم أفندي في كتابة الخطاب ، ثم وضعه
في ظرف وألصق حافته ومد به يده وهو يقول :
— شيء خير من لا شيء يا ريس عبد الواحد ، وهو
كل ما نستطيع .

— فيه القبول إن شاء الله .. كل شيء منك مبارك .

— من يدري فقد يضع سره في أضعف خلقه .
— بل أفضل خلقه . . إن أفضالك علينا لاتنسى . .
السلام عليكم .

— وعليك السلام ورحمة الله .
وغادر الرجل المكتب ، بعد أن وضع الخطاب
في محفظته بعناية كأنه يضع تيممة مقدسة وهو يحدث نفسه :
— مقبولة بإذن الله . . مقبولة بإذن الله .
واتخذ طريقه يستحث الخطأ عابراً الممر الخلقى المفضى
إلى الحقائق ، وأخذ يلقي ملاحظاته على العمال في هيئة
صيحات استحثاث يوزعها يمنة ويسرة :

— شد حيلك ياريس عبد الظاهر .
— الشد على الله ياريس .
ثم يصيح بآخر :
— أخرج السعد من جذوره يا محمد .
— حاضر ياريس .

ولثالث :

— رجالك نائمون يا عبد الجليل . . الظاهر أننا سنقضى
الموسم كله في تغيير طمى الأحواض .
— لاتخف ياريس .

— ما زالت عندنا الأحواض الشرقية .

— كله يهون بنفسك .

وهمّ باللقاء صبيحة رابعة عندما أبصر جوادين قد برزا من منحني الطريق وأقبلا نحوه ، وكان يمتطي أحدهما علام ابن الأمير وتمتطي الآخر ، أنجى ، ، وكان الجواد الأول يتصبب عرقاً وقد ابتل جسده ، وبدت حول فيه رغبة بيضاء ، مختلطة بخيوط حمراء ، هي آثار دماء تنزف من فم الحصان .

وسمع ، أنجى ، تحدث أخاها :

— لقد كدت تقتله .

— إنه عنيد يستحق القتل .

— إنه عنيد لأنك تعانده . . لم يكن هناك داع لشككه

حتى يجرح فيه .

— ليس هذا شأنك . . إنه ليس حصانك .

— ولكنّه مخلوق حي . . حرام عليك .

— أنت لست قيمة على الأحياء .

— سأقول لأبي كيف عدوت به حتى جعلت جسده

يتصبب عرقاً ، وحتى جرحته فيه ، وأوشك أن يسقط من

فرط الأعياء .

— قولى ماتشائين . . إنه حصانى .

واقترب الاثنان من الرجل وقد وقف على جانب الطريق
بأدى الخشوع ، وبدت أنجى ، كالزنبقة البيضاء فى فجر ندى ،
رقيقة السمات ، نبيلة الملامح ، وقد امتطت جوادها بسرج
جانبي خاص بالسيدات ، وبنطالون ركوب ، جدبور ، من
الكستور المضلع ، وحزام سماوى عريض فى وسطها ،
وقيص أبيض نم عن صدر كأن به برعمين يوشكان على التفتح .
وسار الصبي فى طريقه ، وتوقفت الصبية عندما وقع
بصرها على الرجل الواقف فى خشوع ، وافتر ثغرها عن
ابتسامة رقيقة وحيته بإيماءة من رأسها قائلة :

— صباح الخير ياريس .

— صباح الخير يافندم .

— كيف حالك ؟

— الحمد لله .

— وحال زهورك ؟

— طيبة بأنفاسك .

— لقد أبصرت زهرة من الداليا ، تشانجا ، بنفسجى

مقلم بأبيض جميلة جداً . . ألدك منها كثير ؟

— الحوض المجاور للفراندا البحرية كله منها . . عندما

تتفتح كلها سيكون منظرها رائعاً ، ولدينا أيضاً نوع بمبه مقلم
بأبيض ولون ياقوتي صغير من الداليا البومبون . . . لقد
أحضرننا كمية كبيرة من البطاطس الطازجة من هولندا .

— إذن أستطيع أن أقطع ما أشاء للزهریات ؟

— طبعاً ياسيدتى .. الحديقة كلها تحت أمرک .

— أنت تقول هذا ، وأبی یحرّم القطف . . قائلاً إنها

أنواع نادرة والقطف يضعف العود .

— لا ياسيدتى . . تستطيعين أن تقطفي من الداليا

ما تشائين .

— متشکرة یاریس عبدالواحد .

وهمت بمعاودة السير ، ولكنها توقفت مرة ثانية متسائلة :

— وكيف حال أولادک ؟

— الحمد لله . . لقد نجحنا فی الامتحان ، وحصلنا علی

البكالوريا .

— حقاً ؟؟ مبروك . . لماذا لم تقل لی حتی أهنيك

وأهنيهما ، لقد نجحت أنا أيضاً ، وأصبحت فی السنة الثانية

فی كلية الأمريكان .

— مبروك ياسيدتى . . إن شاء الله نجاح دائم ،

وماذا فعل سيدى علاء ؟

— لقد رسب .

— شيء يؤسف له .

— من ناحيته هو لم يأسف كثيراً . . إنه لا يأسف
لشيء أبداً ، وكيف حال ابنك ، على ، الذى لا يحدث الناس ؟
— إنه بخير والحمد لله ، إنه يريد أن يدخل المهندسخانة ،
وأنا أود أن أدخله الحربية .

— معك حق . . إنى أحب منظر الضباط بملابسهم
الرسمية ، وأعتقد أنه لا بد أن يكون وسيماً . . إننى ما زلت
أذكره . . يوم أن وقف فى طريق الترولى وأنقذنى من
موت محقق . . أذكر شعره الأسود الملقى على جبينه
ورأسه المدفون بين كتفيه ، وساقيه المليئين بالخدوش ،
وثيابه المعفرة . . لن أنسى منظره أبداً . . عندما رفض
النهوض أو الرد على . . أظنه لن يخجل من مخاطبتى وهو
فى حلتة الرسمية . . لأنى لا أعتقد أن بينظرونه ثقباً .

وضحكت الصبية وضحك الرجل . ومر بخاطره أن ينتهز
فرصة تلطفها معه فيلقى إليها برجائه لتوسط الأمير فى إدخال
ابنه المدرسة الحربية وهم بالحديث عندما أبصر بأخيها قد عاد ،
وعندما ألقت هى إليه التحية معاودة السير معه ، وأحس
بخيبة أمل شديدة كأن فرصة العمر قد ضاعت من يده .

کمر لپیٹ



شهران وأقبل سبتمبر ، وحل موسم التقديم
للمدارس ، والاستعداد لبدء عام دراسي جديد
وانتهى « على ، و » حسين ، من إعداد أوراقهما المختلفة ،
ما بين تحقيق للشخصية وشهادات حسن السير والسلوك ،
والجنسية وغيرهما ، وتقدم « حسين ، بمجموعة أوراقه إلى
كلية البواليس ، وتلقاه ضابط الكرة ورئيس الفريق
بالترحيب الشديد ، وأكدوا له ضمان القبول مادام ينجح
في الكشف الطبي .

وتقدم « على ، بمجموعتين من الأوراق : الأولى
إلى المهندس خانة ، وكان مجموعته يضمن له فيها قبولا مؤكداً ،
والثانية إلى المدرسة الحربية ، وكان يشعر أن تقدمه إليها
كان تقدماً أرضى به رغبة أبيه . . ورغبة أخرى خفية
متوارية . . تلم به الإمام طيف بأحلام الدجي . . كلما احتواه
المرقد وأغمض عينيه عن واقعة . . وعن أعمدة السرير
الحديدية ، والسقف المشقق وأخيه المتقلب بجواره . .
وأغنى ذهنه المادى ليوقظ ذهنه الحالم . . ويوقظ معه
الموودة في القلب . . ويهيم وإياها في عالم من صنع أوهامه .
كان يرقد ويغمض عينيه ، ويرى نفسه تقدم بخطاب

التوصية إلى عبد الجليل أفندى ، وبصور نفسه كيف يبدو
عبد الجليل أفندى ، ويتخيل مكتبه وكل ما حوله . . ثم
يرى عبد الجليل أفندى وقد تقدم به إلى مدير المدرسة ،
فأبدى هذا إعجابه به ، ويرى نفسه قد قبل في كشف الهيئة
وفي الكشف الطبي . . ثم أعلن بالقبول النهائي .
وكل هذا منطقي محتمل معقول . . نتيجة لما فعله
في الواقع .

وبعد !!

إنه يعود إلى بيته بعد غيبة ، وقدار تدى الحلة الكحلية
ذات الياقة المغلقة والبنطلون ذا السيبيا والشريط الأحمر .
وتراه هي . .

ولكن أين . . ليس في البلدة مكان ملائم لكي يلتقيا .
أين تراه ؟ أتراه في أحد المحلات العامة أو في إحدى
دور السينما . . أو في الأوبرا .

ويستمر في أوهامه ، حتى يلم الكرى بحفنيه .

وبهاتين الرغبةين . . رغبته في إرضاء مطامع أبيه . .
ورغبته في إرضاء مطامع أحلامه . . سار في شارع الخليفة
المأمون يحمل دوسيه أوراقه ، ومن بينها خطاب التوصية
من إبراهيم أفندى ناظر الدائرة . . إلى عبد الجليل أفندى

باشكاتب المدرسة . . خطاب التوصية الوحيد . . الذى كان
يطلب منه أن يقاوم الحشد الهائل من خطابات التوصية
الأخرى من الوزراء والكبراء والأمراء وكبار الضباط .
أجل . . كل عدته فى المعركة . . كان رجاء من كاتب إلى
كاتب . .

وهزّ على رأسه فى يأس . . وواصل السير .
كان عليه أن يقطع المسافة من من لقان العباسية إلى
كوبرى القبة سيرا على الأقدام ، فقدركب الترام من المحطة
إلى العباسية . . ولم يعد لديه من النقود سوى ما يعيده من
العباسية إلى المحطة ، ومن المحطة إلى بيتهم .
إن مليات الترام الأبيض . . قد تنفع فى اليوم الأسود
فليوفرها . . ويمشى .

وكانت الساعة تبلغ الحادية عشرة والريح راكدة ،
وأوراق الشجر ثابتة لا تهتز وكل ما فى الكون يبدو كأنه قد
كتم أنفاسه ، عدا الشمس التى أرسلت أنفاسها الحارة فى
سياط يلهب الوجوه والأقفية .

وبطريق الخليفة المأمون عند بدايته من العباسية صف
من النخيل يحيط به صفان من شجر الفيكس المخروس على
شريط من نجيل ، والذى كان يمنح المارة فى هذا الهجير

وقفت رقع من الظل أخذ على ، يلوذ بها . القطعة تلو
القطعة حتى بلغ مفترق الطرق أمام باب السوارى حيث
ينقطع خطا الفيكس وينحدر خط الترام الأبيض السائر على
اليمين بجوار الأسوار العالية لشكبات العباسية إلى منتصف
الطريق بين صفين من النخيل ذى ظلال خفيفة متفرقة
لا تقي من لسعة الشمس .

وكان عليه أن يقطع المسافة الباقية إلى المدرسة والشمس
مسلطة على رأسه والعرق يتصبب من جبينه ، وقدماه تغوصان
فى أتربة الرصيف الذى لم يمتد إليه أسفلات التنظيم بعد .

وأحس أن الشمس والتراب قد أتت على البقية الباقية
من الوسامة الطبيعية التى وهبها الله له . . . والتى يتغلب بها إلى
حد ما على رثاءة ثيابه وعلى مظاهر الفقر البادية عليه ، وسار
فى طريقه وقد ملأه اليأس وضاعت من نفسه الثقة ماراً
بأول بناء عسكري صادفه بعد السوارى كتب عليه : قسم
القاهرة ، ثم أخذ فى الاقتراب من باب المدرسة وأخرج مندبلاً
جفف به عرقه ، ثم مسح حذاه فى أسفل بنطلونه القدم
تلى الأخرى ، كما كان يفعل فى المدرسة الابتدائية عندما كان
ضابط المدرسة يقوم بالتفتيش على الأحذية .

ووقفت أمام الباب الخشبي المنخفض الذى قد وضع

أمامه مدفعان ضخمان علاهما الصدا ، وعلقت على أحد
جانبيه لافتة نحاسية كتب عليها ، المدرسة الحربية ، .
ونظر إلى العسكرى الأسمر الحشن . . وأحس من هيبة
المكان ومظاهر القسوة البادية فى كل حجر من حجاراته
يأس شديد . . وود لو عاد أدراجه مسلماً ساقيه للريح .
ولكن قبل أن يأتى بأى حركة جديدة ، سأل
العسكرى فى صرامة وقد وجده مسمرأ فى مكانه لا يدخل
ولا ينصرف :

— ماذا تريد ؟

— عبد الجليل أفندى الباشكاتب .

— إنه فى الداخل . . على يدك اليسرى .

وتقدم ، على ، محاولاً طاقته أن ينفذ عن نفسه غبار
اليأس والتهيب ، وعبر فناء صغيراً قامت على جانبيه بضع
أشجار عتيقة من شجر ، الجو كورندا ، ووقف فى شرفة
أرضية مقبية الفتحات قائمة فى مدخل البناء ، فى نهايتها
من الناحية اليسرى باب ذو ضلفتان من السلك كتب عليه
، المدير ، ، يواجه باباً آخر فى الناحية اليمنى كتب عليه
، الأركان حرب . .

وفى الناحية المواجهة ممر قصير يفضى إلى فناء رحب

تطل عليه طريقة أرضية بطول البناء .

واتجه في الطريقة إلى يساره ، كما أنباه العسكري ، ومر
ببضعة أبواب أبصر على أحدها لافتة « الباشكاتب » .
وتردد أمام الباب برهة حتى مرّ به أحد الجنود فسأله :
— أهنا حجرة عبد الجليل أفندي ؟

وهز العسكري رأسه وهو سائر في طريقه ، ووقف
« على » برهة أمام الباب يلتقط أنفاسه اللاهثة ، ثم طرق الباب
طرقات وجلة مترددة وأتاه صوت من الداخل يقول :
— تفضل . .

وتفضل . . في خطى متتدة . . ونفس هيابة . . وكانت
النوافذ السلوكية تحجب عن الحجرة ضوء النهار ، وكان
مصباح الكهرباء المدلى فوق المكتب يعاون الضوء المتسلل
من فتحات السلك في تبديد الظلمة .

وكان قد وطن نفسه على تلقي كل ما يحتمل من خشونة
المقابلة وجفوة الصد ، ولكن منظر الرجل وطيبته البادية
بعثت الطمأنينة في نفسه وأزالت عنها الكثير من الرهبة
والخشية .

وتسأله الرجل في صوت رقيق :

— خير يا بنى ؟

وازدرد ، على ، ريقه ، وألقى بالتحية وهو يتقدم نحو
المكتب ببطء :

— السلام عليكم .

— عليكم السلام ورحمة الله . . تفضل . أى خدمة ؟
ووقف أمام المكتب ومد يده بدوسيه الأوراق . .
ولم يمد الرجل يده لأخذ الدوسيه بل أشار إلى الحجرة
المجاورة قائلاً :

— سلها لمكتب الكتبة . . لعبدالقادر أفندى . . أو
أى موظف تجده هناك . . فى أول مكتب على يدك
اليسرى .

وعندما أبصر التردد البادى على وجهه أردف
متسائلاً :

— أليست هذه أوراق تقديم ؟

— أجل .

— إذهب بها إذن إلى هناك وسيفحصونها ثم يستلمونها
منك بعد التثبت من أن طولك لائق .

— ولكن ! !

— لكن ماذا ؟

— إن معها رسالة إليك .

— إلى أنا ؟

— أجل . . من ابراهيم أفندى .

— ابراهيم أفندى من ؟

— ابراهيم أفندى ناظر دائرة البرنس اسماعيل .

— آه . . ابراهيم جاد المولى . . أهلاً . . وسهلاً . .

تفضل يا بنى . . اجلس . . كيف حاله ؟

— الحمد لله بخير .

— لقد مضى عامان على آخر مرة التقينا فيها . . فى

القطار الذاهب إلى الفشن . . والله زمان يا ابراهيم . . والله

زمان . . كانت لنا أيام فى السودان . . سقى الله عهداً . .

إن أيام الصبا لا تعوض . . وكيف صحته الآن ؟ ! لقد كان

يشتكى من الكبد آخر مرة لقبته فيها . . لعله تحسن ؟

— أجل الحمد لله . . لقد تحسن كثيراً .

ولم يكن د على ، واثقاً من أن الرجل قد تحسن

لا كثيراً ولا قليلاً . . بل لم يكن لديه أقل فكرة عن

مرضه بالكبد ، ولكن كان عليه أن يجارى الرجل فى

حديثه ، وأن يثبت له أن الرابطة بينه وبين ابراهيم أفندى

قوية متينة .

وعاد الرجل يواصل ثرثرته وقد وضع دوسيه الأوراق أمامه .

وفتح الدوسيه ثم أخرج المظروف الصغير المطبوع عليه
«كلشيه» دائرة الأمير اسماعيل ، ، والذي كتب عليه بالخبر :
«حضرة المحترم محمد أفندي عبد الجليل باشكاتب المدرسة
الحربية» .

وفض الرجل الرسالة ، ثم قرأ أسطر الترحيب التي
سطرها ابراهيم أفندي والتي قال فيها إن علياً قريب له ،
وإنه يرجو أن يفعل من أجله كل ما يستطيع ، وهز الرجل
رأسه قائلاً :

— حاضر .. عيني الاثنتين .. قل له إني سأبذل كل
ما في وسعي .. إن القبول مسألة عسيرة جداً .. ولكن
سنحاول ما نستطيع .. والله المستعان .. من حسن الحظ
أنهم قد زادوا العدد المطلوب هذا العام ، لقد أخذنا في العام
الماضي عشرة ، ولكن من المحتمل أن يرتفع الرقم في هذه
الدفعة إلى ثلاثين ، وأعتقد أن الفرصة حينئذ ستكون
أكبر .

ودق الرجل جرساً أمامه ، وأحس دلي ، من كلام الرجل
بسكينة عجيبة .. لقد أقر أنه رداً جميلاً ومنحه أملاً أجمل ،

ولو لم يفعل له شيئاً بعد ذلك . . لكنى مافعل برأيه
وعظفاً عليه .

وتذكر قولاً قرأه في كتاب أدب الدنيا والدين :
« بنى : إن البر شيء هين

وجه طلق وكلام لين

أجل والله . . إن البر شيء هين .

وأقبل أحد الكتبة ، فسلمه الرجل الدوسيه بعد أن
احتفظ بخطاب التوصية وقال له :

— فض هذه الأرواق وتسلمها منه بعد قياس طولها ..
إنه يبدو فارغ الطول وهو لا شك أطول كثيراً من الحد
المطلوب ؟

ثم وجه القول إلى « على » :

— أظن كشف الهيئة قد تحدد موعده في الخامس عشر
من هذا الشهر .

وقلب مفكرة أمامه ثم أردف :

— أى يوم السبت بعد القادم . . والمقبولون في هذا

الكشف سيجرى عليهم الكشف الطبي . . إنه كشف أولى
للتصفية . . إن العدد المتقدم كبير جداً . . بلغ الآن ما يربو

على الستمائة .. وليس من المعقول أن يجرى الكشف الطبي
على كل هؤلاء .. إن شاء الله يكون لك نصيب .

— إن شاء الله .

— أما الكشف الطبي فنتيجته تتوقف عليك وحدك ..

فشد حيلك حتى تتقدم لكشف الهيئة الأخير .

— الشدة على الله .

هذا الرجل حسن النية جداً .. كأنما قد ضمن قبوله
في الكشف الأول حتى يرجوه أن يشد حيله في الكشف
الطبي .

ما كل هذه السدود والحوائل والكشوف المتعددة ؟

والله إن دخول الجنة أيسر سبيلاً ۱۱

كشف هيئة أول .. ثم كشف طبي .. ثم كشف هيئة
آخر .. وفي النهاية رفض أكيد .

لماذا لا يوفر على نفسه التعب من أول الأمر ؟

أليس من الأفضل أن يخبر الرجل أنه قد عدل عن
رأيه .. وإنه قرر سحب أوراقه والاكتفاء بالتقديم إلى
المهندس خانة ؟

أجل .. أجل .

ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، بل سلم على الرجل الطيب
الذى هز يده بشدة وهو يقول :

— سلم لى على ابراهيم أفندى .. قل له إني أود أن أراه
فى أقرب فرصة .. إنى مازلت أجلس فى مقهى شارع
خيرت .. نفس جلسنا القديمة .. لقد أوحشتنى سهرتنا
فيها .. قل له إنى سأجهز له كوباً مترعاً من عصير القصب
الذى يحبه .

وغادر على ، المدرسة وهو يشعر أنه قد أدى فرضاً لا بد
من تأديته .. ولم يكن من السذاجة بحيث يخدعه لقاء
الرجل الهاش ولا حديثه الجميل ، كل ما هناك أنه حمد للرجل
الطيب أنه فوت المرحلة الأولى بسلام .. وأنه صان كبريائه
من الهوان ، ووقاه من المذلة ، فلم يهمله ، ولم يسيء استقباله
وكل ما يرجوه أن تمر بقية المراحل على خير كما مرت هذه
المرحلة .

وعاد إلى البيت فنقل إلى أبيه كل ما حدث .. وكان
حتماً على أبيه أن يخدع بما لم يخدع به هو ، فقد وجد فى
حديث الباشكاتب ما يدفع الأمل فى نفسه ، إذ كان شديد
التفاؤل وكان يعتقد أن الباشكاتب هذا لا بد وأن يكون له
فى المدرسة صولة وسلطان .

وحل يوم كشف الهيئة الأول ، ومن الفجر استيقظ كل من في الدار وأحاط الجميع بعلى ، كأنه عريس في ليلة عرس ، وكرس كل ما في الدار من ملابس الكسوته . . . وكانت الأم قد ولفت له بذلة من خير الجاكيتات وخير البنطلونات المنتقاة من ملابسه وملابس أخيه ، وقامت بتنظيفها وكيها ، وكان د على ، قد رتق الفتق الذى فى مؤخرة الحزام .

ووقف د على ، يربط الكرافة التى قدمها إليه حسين ، وأخذت بهية ، الصغيرة تنظف الطربوش بكمها ، وانهمكت الأم فى تحضير لقمة يغير بها ريقه حتى لا يذهب إلى الكشف — على حد قولها — على لحم بطنه .

وأخيراً اكتمل لبسه ، ووقف أمام المرأة المشروخة يلقي على نفسه نظرة فاحصة ، ثم ابتسم لمن حوله مازحاً :
— ما رأيكم ؟

وقال حسين وهو يضحك :

— لا ينقصك غير المنوكل وتصبح كأفندينا .

وقالت بهية فى براعة :

— والله إنك لخير منه .

وقال الأب فى لهجة جازمة :

— أعمى ليس عنده نظر . . الذى لا يقبلك فى كشف
الهيئة .

وأقبلت الأم حاملة طبق الفول والأرغفة :

— ربنا يقيقك شر العين . . ولا يخيب لك رجاء .
وغادره على ، البيت وفى صحبته أخوه ، وذهبا إلى محطة
السكة الحديد ، وفى وقفته على الرصيف ، بدت جدران
القصر وراء أسواره العالية ، وقد تساقطت الأسهم الحمر
عليها من وراء الأفق الشرقى ، وهبت عليه ريح الصباح
رطبة ندية تحمل خليطاً من أعشاب الحقول وورود
الحدائق ، وسرى به الدهن مع هبات النسيم وأشعة الشمس
فأوصله إلى مضجع وراء الأسوار ، رقد عليه صدر يعلو
ويهبط فى سكينته ، وأنفاس تسرى فى هدوء . . وأحس فى
عبير النسيم السارى هبات الأنفاس الزكية . . وملاً به صدره
كأنه يخشى عليه من التبديد والضياع .

أهذا هو كل حظه منها . . أوهام . . وأوهام . .
وأوهام . . نسيمات سارية . . وصور فى أحلام وإحساس
لا يبنى . . وشعور لا يخمد . . وكلها وأدها فى قلبه ازدادت
منه تمكناً وفيه استحكاماً .

وعلا صفير القطار فاتخذ هو وأخوه محلهما على مقعدين

متقابلين ، وأخذت أسوار القصر تمر به من النافذة وتتباعده ..
وفي جوفها .. الشبح الجميل .. والأمنية العزيزة .
راقدة في سكون لا تكاد تحس به .. أو تشعر بوجوده .
ويحه .. وويحها .
أيكون نصيب أكثر الناس إحساساً بك . . ومعرفة
لقدرك ، هو أن يبقى منك في عالم الإنكار ، والجمود ،
والإهمال ، والنسيان .



الشيخ تباقة



الآخوان إلى المحطة . . واستدعى كل منهما ذهنه

وصل

من جولاته الهائلة في سماء الأمانى ، وأخذوا ترام ٣

إلى العباسية ، وهناك افترق كل منهما ، فاتجه د علي ، إلى
كوبرى القبة ، وذهب حسين إلى كلية البوليس للسؤال عن
نتيجة كشفه الطبي ، على أن يعود لانتظار أخيه حتى ينتهى
من كشف الهيئة ، ثم يعودان معاً إلى الدار .

وصل د علي ، إلى المدرسة ، واجتاز الباب الذى وقف
أمامه الجندى وتكأ كما حوله حشد من أهالى الطلبة الذين
اصطحبهم إلى الكشف ، وكان الطلبة قد بدأوا يفدون إلى
المدرسة جماعات وفرادى ، وسار د علي ، مع جموعهم
المتواترة ، فاجتاز الممر الذى أفضى به إلى الفناء المنسع ،
والطريقة المقوسة المفتحات التى بها مكتب الكتبة والباشكاتب ،
وكان قطيع الطلبة قد احتشد فى الطريقة والفناء ، وبعد فترة
أقبل أحد الكتبة ، وأخذ ينادى الأسماء ، وسار هو مع
الطلبة الذين نودى على أسمائهم وأخذوا فى الصعود إلى سلم
جانبي حبرى أكلت نعال الأقدام حروف حجارتها فبدت
مقوسة منحوتة من الوسط ، وفى نهاية السلم سار يمينا فى
الطريقة التى تعلو الطريقة السفلى ، وأخذ يمر بنوافذ وأبواب

عنابر النوم ، ومرت به أول لافتة كتب عليها : « الصنف الثالث » ولم يعرف ماذا يكون هذا الصنف . ولكنه أدرك أنه لا بد أن يكون بلغة العسكرية كناية عن مجموعة أو جماعة ، ثم مرت به لافتة أخرى كتب عليها « نادى الطلبة » ، أخذ القطيع ينساب إلى بابها ، ووجد بضعة طلاب من طلبة المدرسة بسترهم البيضاء ، ذات الأسبلاط القصب اللامع ، المثبت فوق أكتافهم ، وبنطلوناتهم الكحلية ذات الشرائط الحمراء ، وطرايشهم الطويلة وأجسادهم البادية الصلابة والشدة . . وقد أخذوا يقودون الطلبة وينظمونهم في محلاتهم .

وكانت الحجرة رحبة متسعة ، تتكون من قسمين يلتقيان بزاوية قائمة عند المدخل ، وفرشت الحجرتان بمقاعد ضخمة من النوع الآسيوطى غامقة الخشب ، بيضاء الفرش ، ذات طقطوقة معدنية وضعت في فتحة مستديرة عند مسند اليد ، وفي أركان الحجرة وضعت مقاعد خشبية صلبة الحشيات ، غير مريحة الجلوسة ، وعلى أحد المناضد وضع صندوق للشطرنج ، وعلى منضدة أخرى صفت مجلات انجليزية عسكرية ، وعلى الحائط علقت في الصدر صورة « الملك فؤاد » ، وصور أخرى متشابهة ، تمثل صفوفاً متراصة من طلبة المدرسة القدامى ، ببناذقهم وحللم السكاكية

ووجوههم المقطبة التي لاتميز منها وجهاً عن الآخر .
وفي وسط الحجرة صفت دكك خشبية ، أخذ طلبة
المدرسة يصفون عليها القطيع المتدفق على الحجرة .
واستقر الطلبة أخيراً في مقاعدهم ، داخل نادى الطلبة
وخارجه في الطريقة المستطيلة ، وجلس هو يرقب من حوله
وقد خيمت على نفسه سحابة يأس وضيق .

لو كانت له إرادة لقطع جبال الأوهام ، ونفخ في السحب
واستقر على الأرض ، حيث هو كائن ، وحيث يجب أن
يكون . . . ولترك كل هذا الحشد البغيض ، والبناء الموحش
الرهيب ، واكتفى بالأهداف الواقعية ، التي يبصرها جليلة
واضحة أمام عينيه .

ولكنه لا يفعل ، لأنه ضعيف الإرادة ، أو لأن تعلقه
بالآمنية الوهمية العذبة ، أقوى من إرادته ، بل أقوى من
كل شيء في حياته ، أقوى . . . حتى من حبه لأمه وأبيه . .
بل ونفسه .

إنها أعذب ما في حياته .

أجل ! هذه الآمنية الوهمية ، التي لاطائل تحتها ولا أمل
فيها ، هي ملاذه من صخب الحياة ، وملجؤه من وحشتها ،
ومتعته في ضيقها وشقاؤها ، وحلاوته في مرارتها ، والندى

الذى يبل به روحه ، ويندى كبده .. فى جفافها وقفرها
ويبابها .

إنه مخلوق غير طبيعى .. إنه لا يلهو كغيره من الصبية ،
إنه لا يجرى ، ولا يلعب كأخيه « حسين » ، ولكنه يفكر .
والآمنية العذبة هى فكرته .. أو هى أجل مافى فكره
وأحلى مافى ذهنه .

أبعد هذا يبعدها عن ذهنه ويذروها عن قلبه .
لا .. لا .. يجب أن يتحمل من أجلها .. من أجلها ..
كفكرة .. أو وهم .. يجب أن يقبل .. حتى ما يثق فى أنه
لا طائل تحته ، ولا أمل فيه .
أليست هى نفسها ، مجرد فكرة .. لا طائل تحتها ..
ولا أمل فيها .

« على عبد الواحد ،

وانطلق الاسم فى أذنيه يصيح به أحد طلبة المدرسة ..
فأخرجته الصيحة من شروده ، وصاح بجياً :
— أفندم .

ثم هروا متجهين إلى خارج الغرفة ، حيث قاده أحد
الطلاب إلى ضابط ضخّم الجسد ، أحمر الوجه ، كثير الصخب
على الصوت ، صاح به متسائلاً :

— على عبد الواحد ؟

— أجل .

— اعدل طربوشك .

وعدل طربوشه ، ثم تبع الضابط إلى حجرة في نفس
الطريقة كتب عليها المكتبة .

ولم يكن في حالة تمكنه من فحص الحجرة ، فقد كان
يشعر أن قلبه يدق دقات متوالية . . وراعه منظر بضعة
رؤوس بيضاء ، استقرت على أكتاف حشدت فيها العلامات
العسكرية الالامعة ، وياقات وضعت عليها العلامات الحمر . .
التي تبدى صاحبها كأنه قطعة ربط عنقها بشريط أحمر . .
ووسط هذه الرؤوس البيضاء ، والوجوه المجمدة المتجهمة ،
وجد وجهاً أحمر يرمقه من وراء المنظار بعينه الزرقاوين ،
ولم يستقر به المقام لحظة أمام مجموعة الوحوش الضارية ،
حتى سمع صوت صاحب العينين الزرقاوين يصبح بعربية
ركيكة :

— بعده .

وعند استدارته ليخرج من الحجرة ، لمح وجهاً أحس
من نظراته برداً وسلاماً ، وجهاً أسمر طيباً ، منحه انقسامه
كانت أشبه بقطرة ماء لصاد في حمارة قيظ .

كان وجه عبد الجليل أفندى باشكاتب المدرسة ، وقد وضع أمامه كوماً من الدوسيهات على منضدة صغيرة مجاورة للمنضدة الكبيرة التي التف حولها الزبانية .

وخرج « على » ، من الحجرة ليتسلله الضابط الضخم ، الأحمر الوجه ، ويدفعه إلى طالب من المدرسة يقوده في الاتجاه الآخر من الطريقة ويأمره بالانتظار في أسفل حتى ينتهى الكشف وتعلن النتيجة .

وهبط إلى أسفل من سلم قبلى مشابه للسلم البحرى الذى صعد منه ، واستقر به المقام فى الممر السفلى مع بقية الطلبة الذين أتموا الكشف .

ومر الوقت بطيئاً مملاً ، وأخذت تعاوده نوبات اليأس .. وهم بالتسلل من وسط الطلبة والعودة إلى داره حتى أخرجه من وحدته ويأسه رفيق له من رفقاء مدرسته الثانوية يدعى « سليمان زكى » ، طويل القامة ، طيب النفس ، أخذ يسرى عنه قائلاً :

— ومن منا عنده أمل ، إنها مجرد محاولة بائسة .. أو تحصيل حاصل .. حتى لا يعود الإنسان باللوم على نفسه فى المستقبل .. قائلاً .. لو كنت قدمت .. لكنت دخلت .. لقد قدمت أنا .. لأقطع على نفسى طريق اللوم والتأنيب ،

فأنا أعرفها جيداً .. عندما تقول لى فى المستقبل .. لو كنت قدمت .. سأقول لها .. لقد قدمت وفشلت فوفرى لومك .
وضحك على قائلاً :

— أى والله معك حق .. لقد فعلنا ما علينا .
— على أية حال ، ليس لك أن تحمل همأ .. فأمامك المهندس خانة مفتوحة .. وهى فى نظرى والله خير من الحربية ولا سيما لك .

— أجل ! إنها لا شك من خير المدارس .. ولكن الحربية بها مغريات كثيرة ، على الأقل هذا التفاهت العجيب عليها ، وعدم قبولها غير عدد محدود ، يجعل الفوز بالقبول فيها مسألة يتمناها كل إنسان .

— ولا تنس البدلة .. والمدة القصيرة .. والمستقبل المضمون .

وقطعت حديثهم صيحة مفاجئة صدرت من الطرقة العليا . صيحة من حنجرة تتضاءل أمامها جميع ميكروفونات العالم ، هى حنجرة الضابط الضخم الأحمر الوجه ، الذى عرف « على » فيما بعد أنه « أركان حرب المدرسة » .
— اسمع الطلبة .

واندفع الطلبة متدفقين من الطرقة السفلية ، ومن بقية

أرجاء الفناء . . فتكأ كأوا أسفل المكان الذى يصيح منه
الرجل .

وعاد الرجل يكرر صيحته الإنذارية :

— اسمع الطلبة . . لقد انتهى الكشف . . وسأنادى
أسماء الطلبة المقبولين فى كشف الهيئة الأول . . والذى
سيجرى عليهم الكشف الطبى ، أما الذين لا يسمعون
أسماءهم فهم غير مقبولين ، ويمكنهم الحضور غداً لسحب
أوراقهم من مسكرتيرية المدرسة .

وبدأ الرجل فى مناداة الأسماء بصوته الجهورى ،
وحنجرتة الميكروفونية ، وتوالت الأسماء على سمع
« على ، . . دون أن يطرق اسمه أذنه . . ودب اليأس فى
نفسه . . ولكنه عزى نفسه . . بأن فى اليأس من أول
الامر راحة من عذاب الكشف الطبى ، ثم الكشف الآخر . .
ثم الفشل فى النهاية . . مادام القبول مستحيلاً . . فمن الخير
أن يرفضوه من أول كشف . . إن عليه أن يحضر فى الغد
لسحب أوراقه ، ثم الذهاب إلى الهندسة لمعرفة النتيجة .
« على عبد الواحد ، .

وانطلق الاسم من الحنجرة الصائحة الصاخبة .
غير معقول . . غير ممكن . . إنه لا شك وهم فى السمع

أجل .. إن الأذن أحياناً تسمع الإنسان ما يشتهي ،
لا ماهدو سامع .

ولكن صاحبه سليمان شدد على يده في فرح وقال له :
— مبروك .

وفي نفس اللحظة التي هنأه فيها انطلقت صيحة الرجل
باسمه فمد يده إلى يده راداً له التهنة :
— مبروك يا سليمان .

— الله يبارك فيك .. عقي للكشف الطي .. والكشف
الآخر .

الكشف الطي .. والكشف الآخر !! ..
لا .. لا .. إن هذا أمل مستعص وأمنية مستحيلة ..
إن مجهود الرجل الطيب عبد الجليل أفندي لن يتعدى أكثر
من هذا .. لقد استطاع الرجل مشكوراً أن يحشره بين
المحظوظين في أول كشف .. أما الكشف الطي .. فلا أظنه
بقادر على اجتياز عقباته الهائلة واختباراته الدقيقة .

أما الكشف الآخر .. فلا يقدر عليه إلا الآلهة ..
أو أنصاف الآلهة .. من الأمراء والكبراء والوزراء ..
على أية حال لا ضرورة لأن يعسكر على نفسه صفو
النجاح المؤقت في هذا الكشف .

وانتهى الرجل من مناداة الأسماء ثم أعلن موعد
الكشف الطبي قائلا :

— الساعة السابعة والنصف سيتمحرك الطلبة المقبولون من
المدرسة إلى المستشفى العسكري . يوم الثلاثاء القادم .. تفضلوا .
وعند الباب التقى د علي ، بأخيه الذي وقف ينتظره بعد
عودته من مدرسة البوليس .
وتساءل حسين في لهفة :

— ماذا فعلت ؟

— الحمد لله .

— أقبلت ؟

— أجل .

وعاد حسين بصيحه بمرحه الطبيعى :

— مدهش .. أنا أيضاً نجحت فى الكشف الطبي ..
إن أبانا سيجن من الفرحة .. هيا نأخذ الترام الأبيض ..
لا تقلدنا سير .. إن قدمى « بقبى » من السير .. ومليمات
الترام الأبيض إن تغنينا شيئاً .

وضغط د علي ، يده قائلا فى صوت خفيض :

— اخفض صوتك ... فضحتنا .. ماذا يقول عنا الناس ؟

— لا يهمك الناس .. فستكون ضابطاً ، وتستطيع أن

تضع قدمك على رؤوسهم .. كما أنوى أنا أن أفعل .. إن

أول ما سأفعله هو أن أوقف الترام والأنوييس في غير المحطة بمجرد إشارة من يدي .. هيا لقد أقبل الترام .

وعاد الأخوان إلى البيت ، ليزفا إلى والديهما بشرى النجاح ، وأطلقت الأم زغرودة دون أن تدرك شيئاً من التفاصيل .. إذ كان فهمها يقصر عن فهم سلسلة الكشوفات المفروض على ولديها أن يجتازاها .. وإنما كانت تعرف فقط أن هناك نجاحاً وسقوطاً ، وقد طرقت مسامعها ألفاظ نجاح كل من ولديها فأطلقت زغرودة حارة عبرت بها عما يصطخب في صدرها من مرح .

وأطلق الأب زغرودته في صورة ركعتين حاريتين مخلصتين أداهما إلى الله .. وأقبلت « بهية » الصغيرة تنهى ابني خالتها في فرحة ظاهرة .. وإن كانت فرحتها لحسين أكثر عمقاً .. فقد كانت تحس أن يداً خفية تشد أحدهما إلى الآخر ، وأن رابطة لا تدري كنهها تجمعها معاً .

لم تكن تدري لماذا .. فقد كانت كل الظواهر تحتم عليها أن تحس للأخوين شعوراً متساوياً .. وكان هذا هو ما تحاول دائماً أن تسم به تصرفاتها نحوهما ، ولكنها مع ذلك كانت في مقارنتها لا تستطيع أن تقاوم ذلك الميل العجيب إلى حسين .

كان « على » ، الأكثر وسامة .. والأفضل خلقاً .

ولكنها مع ذلك كانت تفضل حسناً .. رغم اقتناعها
عند المقارنة بأن علياً .. أفضل ..

بأى شيء كانت تفضله ؟ ربما كان لأنه غير الأفضل ..
وربما كان لخفة كفته في المزايا .

أجل إنها كانت تفضله كما هو .. بنزقه ، وخفته ، وطيشه ،
وأنايته .. كانت تفضله بلا تفكير .. وإذا فكرت .. فهو
بعدم أفضاله أيضاً .. مفضل عندها .

كان أقرب إليها من د علي ، .. لأنها تشعر بأنه يحتاج
إليها .. وأنها تستطيع أن تقدم إليه الكثير .. كانت ترتب
له كتبه وتغسل له ملابس الكرة .. وكانت اتباع له بعض
الحاجات من المحطة ومن السوق .. وكان يحتاج إليها في معاونته
على الكذب عندما يريد خداع أمه أو أبيه .

كان أقرب إليها .. لأنه كان أكثر إحساساً بها .. كان
ينهرها .. ويسهر ضيقها .. ويعاقبها ويكافئها .. وأحياناً عندما
تصيبه نوبة حق .. يضربها .

كانت ترى فيه .. بشراً قريباً حبيباً .

أما د علي ، .. فكان بكل ما فيه من أفضال .. بعيداً عنها
كان في غير حاجة إليها .. بل في غير حاجة إلى أحد .. كان
ما يسمونه مكتملاً بنفسه .. مستقلاً بذاته .. لم يكن يكلفها
شيء لأنه لم يحتاج أبداً شيء .. ولم يدعها تقدم له مساعدته

لأنه دائماً كان يقوم بمساعدة نفسه .. كان مرتباً منظماً لا يسألها
عن شيء .. لأنه يعرف أين وضع ذلك الشيء .. وما كان
يطلب منها أن تذهب لشراء حاجة .. لأنه كان يفضل
أن يذهب لشراء حاجته بنفسه .. ولا يضطجع على الفراش
في كسل كما كان يفعل أخوه .

كان بعيداً .. بعيداً جداً .. كان أبعد من السحب الهائلة
في السماء .

وكانت تشعر أنه ليس لها ، ولا لأحد منهم .. بل لإنسان
آخر يجذبه بعيداً عنهم .. إنسان يهيم معه بين السحب العالية .
وأقبل الليل .. وآوت القافلة إلى مضاجعها .. وأغمض
كل منهم عينيه وأطلق ذهنه قبل أن يبسط عليه الكرى سلطانه
ليتصيد من المرئيات أحباها إلى نفسه ، فأبصرت الأم ولديها
صحيحين معافين ، وأبصرهما الأب غنا بطين محترمين ، وأبصرت
بهية حسينا يختال في حلته الرسمية وقد ضمها إليه .. وأبصر
حسين نفسه يختال بالشريط الأحمر ، ويوقف الترام في غير
محطته ويتلقى إعجاب الفتيات في شوارع القاهرة .. أما د على ،
فقد انطلق يهيم فوق أبراج القصر وقد أحس أن الدرج
الطويل الذي يفصل بين القرار والقمة والمفضى به إلى هام
السحب قد نقص درجة .

نہاۃ مفاہیج



موعد الكشف الطبي ، وذهب « على » إلى

المدرسة ، وسار طابور الطلبة المتقدمين

حل

للكشف يقوده بعض طلبة المدرسة القدامى ، متجهاً من

المدرسة إلى المستشفى العسكرى ، ودخل الطلبة من الباب

الخلفى للمستشفى إلى عنبر الكشف الكائن على يمين الداخل ،

وجلسوا على دكك خشبية قد صفت فى صالة يبدو كأنها

كانت « طرقة » ، وسدت جوانبها بجدار . . نصفه الأسفل

من الخشب والأعلى من مربعات الزجاج الإنجليزى .

وبدأ الكشف ، وأخذ أحد الجنود الممرضين ينادى

على الطلبة واحداً بعد واحد ، حتى حل دور « على » ،

فدلف من الباب المفضى إلى حجرة الكشف ، ومر بمراحله

المختلفة ، من قياس للنظر والصدر ، واختبار للأعصاب ،

وتحليلات متعددة . .

وأخيراً انتهى الكشف ، وعاد طابور الطلبة مرة

أخرى إلى المدرسة ، وبعد فترة انتظار ، وقف أحد الكتبة

يعلن نتيجة .

وتواترت الأسماء على أذنيه . . وبلغ مسامعه اسم صاحبه

سليمان زكى . . فأحس بيد اليأس تعصر قلبه . . لأن اسم

صاحبه بعده .. فإذا كان قد نودى عليه دون أن ينادى على اسمه .. فلا شك أنه رسب في الكشف .

ولقد صدق ظنه ، فما كاد الرجل ينطق ببضعة أسماء بعد ذلك ، حتى هبطت يده بالورقة التي يقرأ منها ، ثم صاح في الطلبة :

— هؤلاء الذين ناديت أسماءهم ، عليهم الحضور صباح السبت القادم لحضور كشف الهيئة الأخير .. أما الباقون فيمكنهم الحضور غداً لسحب أوراقهم .

ولم يستطع ، على ، أن يمنع موجة الحزن الجارفة التي طغت على نفسه .. إنه حقاً لم يكن يؤمل كثيراً في النجاح .. ومع ذلك فهو يجد طعم الفشل مريراً .. وأكثر من هذا ، يجد الدرجة التي تناقصت من سلم الأوهام الذي يقضى به إلى السحب ، قد عادت درجات فوق درجات ؛ بل إن السحب قد تباعدت في ظلمات اليأس ، حتى بات لا يكاد يدركها في أمسياته الحاملة .

وأخذت جموع الطلبة في الانصراف ، وهمّ الكاتب بالعودة أدراجه إلى حجراته ، عندما أقبل عليه جندي ممرض من جنود المستشفى ، يحمل دوسيتها به ورق ، وقدم إليه ورقة مكتوبة .

ومرة أخرى صاح الرجل منادياً :

— على عبد الواحد .. الطالب على عبد الواحد .
وصاح « على » مجيئاً ، وكان يداً قد مدت لانتشاله من
الفرق :

— أفندم .

— عذمع الأماشي إلى المستشفى لإعادة كشف التحليل .
إعادة الكشف ؟ .. ثانية ! ! لقد كان يأمل من صبيحة
الرجل أن يكون اسمه قد سقط سهواً من أسماء الناجحين .
ولكن الأقدار تأتي إلا السخرية به .. سيعاد
الكشف الطبي عليه .. هو وحده .. دون بقية الطلبة ..
لكي يمنحه القدر ذبالة أمل .. وسيسقط في النهاية .

وود لو أنه رسب وانتهى الأمر ، ولكنه لم يملك إلا
أن يخوض وسط الطلبة حتى يصل إلى الكاتب .. الذي سله
للجندى المعرض .. الذي عاد به إلى المستشفى العسكرى .
وأعيد كشف التحليل ، ثم عاد مرة أخرى إلى
المدرسة .. وقد تملكه بأس شديد ، وتمنى لو استطاع الفرار
من الجندى ليعود إلى داره .

وفي المدرسة نسلم الكاتب ظرفاً مغلقاً من الجندى ..
وفضه وأخرج منه بضع أوراق ، ثم وضعه على المكتب ،

وعاد إلى الإنهماك في ترتيب بقية الأوراق التي أمامه .
ووقف ، على ، يرقب مصيره المعلق بين الشفتين المغلقتين ،
والرجل مقطب الجبين ، منهمك في الأوراق ، وقد بدا عليه
الإجهااد والضيق .

وتقدم منه ، على ، قائلاً في صوت خفيض ولهجة
مترددة :

— أستطيع أن أذهب ؟
ورفع الرجل رأسه قائلاً بلا تفكير :
— أجل .

ماذا يريد بعد هذا ؟ .. لقد كان عليه أن يتوقع هذه
النتيجة ويربح نفسه من أول الأمر .. إن عليه أن يعود إلى
بيته ليحمل أنباء الفشل إلى أبيه .. مسكين أبوه .. لشد ما
كان يأمل أن يراه ضابطاً .

وهم بالانصراف ، حاملاً فوق كتفيه حملاً ثقيلاً من
الضيق والتعب والفشل واليأس .

إن عليه أن يعود غداً لأخذ أوراقه .. هذه آخر مهمة
ثقيلة سيقوم بها في هذا البناء الرهيب .

وتردد في خطواته عند ما سمع صوت الكاتب يقول
بنفس اللهجة المتبرمة :

— ستعود يوم السبت .

وكان تفكيره مركزاً في سحب الأوراق ، فرد متسائلاً
بلا وعى :

— لسحب الأوراق ؟

وبدت الدهشة على وجه الكاتب ، وتساءل بدوره :

— أى أوراق ؟

— أوراقى !!

— ولماذا تبشر على نفسك من الآن .. عند ما تظهر
نتيجة الكشف يوم السبت ، وترى نفسك لم تقبل .. اسحب
أوراقك مع بقية الطلبة .

— ولكنك قلت إن الأوراق يمكن سحبها غداً .

— أجل .. للذين لم يقبلوا فى الكشف الطبي .. وأنت
قد قبلت .

وعقدت الدهشة لسانه ، ومضت برهة وهو يحملك فى
وجه الرجل .

أقبل حقاً ؟ ولماذا إذن لم يخبره الرجل من أول
الأمر ؟

لا بد أن يكون قد افترض فيه المعرفة .. وأبى عليه

إهماله وإرهاقه أن يفصح بالنتيجة ، الحمد لله ، إنك يارب
كريم ، تأبى إلا أن تغرقه بفيض رعايتك .

وأحس بعبء اليأس والهم يذوب من فوق كاهله ..
وتمنى رغم رزاقته وتعقله لو استطاع أن يثب على الرجل
فيوسعه أحضاناً وتقبيلاً ، إن عليه الآن أن يسرع لينجي
أباه بالنبا العظيم . إن المسألة قد هانت .. والفرصة قد
زادت ، فكل الذين نجحوا في الكشف الطبي لا يزدون
على الثمانين ، فإذا صدق قول عبد الجليل أفندي ، وكان العدد
المطلوب هو ثلاثين ، والأمل والتفاؤل يرفع الرقم إلى
أربعين ، فتسكون نسبة القبول خمسين في المائة ، أى أن باب
القبول سيسمح بدخول طالب من كل طالبين يحاولان
اجتيازهم .. إن الخيار سيكون بينه وبين فرد آخر ، أي يمكن
أن تكون هناك فرصة أكبر من تلك ؟

وبعد كل هذا .. تقع السخرية الكبرى ، ولا يقبل ..
بعد أن صعد إلى منتصف درج أو هامه .. وبعد أن
أحس بالبون قد تناقص ، وبالقرار قد قارب القمة .

بعد كل هذا ، يلقي به من حلق مرة أخرى ؟
ولسكن ماله يثقل على نفسه بهذه الاحتمالات المزعجة ،
ماله يطبق عليها بأعباء اليأس ، وأجراس الأمل الحلو تدق
في حناياه !

ليعد إلى أبيه . . لينطلق ، ليطر ، قبل أن يبدل الرجل كلامه مرة أخرى .

ولكن يجب أن يتأكد . . يجب أن يسمعها من الرجل ثانية ، حتى لا تكون زلة لسان . . أو زلة سمع .

وعاد يسأل في وجل :

— أقد قبلت حقاً في الكشف الطبي ؟

وأجابه الرجل في ضيق ودهشة :

— أجل . قبلت ، أنظني أمزح معك ؟؟ إني . . .

ولم يسمع بقية قول الرجل ، فقد انطلق من الحجرة يعدو إلى الخارج ، وبعد لحظة كان يستحث الخطى في شارع الخليفة المأمون في طريقه إلى العباسية .

ووصل إلى ميدان العباسية وهو يحس بفرحة شديدة وخشية أشد . . فرحة النجاح ، بقطع مرحلة كبرى من مراحل طريقه إلى الهدف المنشود ، وخشية الفشل بعد هذه المرحلة من النجاح .

واتجه إلى الترام ، فوجد صفّاً طويلاً من عرباته متوقفة نتيجة حادث في الطريق ، فعاد إلى محطة الأوتوبيس ، إذ لم يجد مفراً منه رغم الغثيان الذي يصيبه من ركوبه .

ووقف أمام محطة الأوتوبيس ، ينتظر العربة القادمة من اتجاه مصر الجديدة لتحمله إلى المحطة .

وطال به الانتظار ، وقد شرد ذهنه في الاحتمالات
القادمة لأحلامه .

يجب ألا يترك الفرصة تضيق منه . ولكن كيف يجتاز
كشف الهيئة الأخير؟؟ لا جدال في أنه ستكون هناك
معركة هائلة بين الوساطات ، فهل تستطيع وساطة عبد الجليل
أفندي أن تجتاز المعركة ؟

لا يظن .. إن الأمل ضعيف جداً ؟

لو كان الأمير يتوسط له ، لضمن الدخول ، ولكن
كيف يقبل الأمير التوسط ؟ ! إنه يذكر ما قاله عبد الجليل
أفندي لأبيه عند ما ذهب لرجائه أول مرة .. وهو على
حق في كل ما قال ، فالأمير مخلوق أناني متعجرف ، لا يمكن
أن يحتمل فكرة أن يكون ابن الرئيس عبد الواحد الجنائبي ،
ضابطاً .. مثل ما كان ، ومثل ما يحتمل أن يكون ابنه علام .
على أية حال ، ليركها إلى الله .. وإذا كانت وساطة
عبد الجليل أفندي أضعف من أن نقف في وجهه بقية
الوساطات ، فوساطة الله أقوى من الجميع .
من يدري ؟ .

وكانت العربات الخاصة تمر أمامه في سرعة البرق ،
دون أن تكون بينها إحدى عربات الأوتوبيس .
ونجأة لمح إحدى تلك العربات التي تنهب الأرض ،

توقف مرة واحدة بعد أن مرت به . . ثم ظلت واقفة في مكانها برهة كأن صاحبها ينتظر شيئاً . . ثم أخذت تعود القهقري حتى توقفت أمامه .

ولم يلق إليها بالاً حتى سمع صوتاً يهتف به من داخلها :
— على .

وأذهله الصوت ، وأذهله أكثر ، ما وقع عليه بصره عند ما نظر إلى داخل العربة .
لقد كانت هي ١١

أجل . . هي بعينها ودمها ولحمها . . وسموها وروعتها . .
ودقتها ورقتها .

ودق قلبه دقات متوالية ، وأحس بالدم يتصاعد إلى وجهه ، وخيل إليه أن الأرض قد تخلت عن قدميه ، وأنه بات يتأرجح في الهواء .

وكان عليه أن يجيب بعد أن فتحت الصديعة الباب ونادته مرة ثانية ، وفتح شفثيه عن حلق جاف وصوت مشدود وأجاب :
— أفندم ١١

— أئحب أن أوصلك ؟

توصله ؟ ١١ .. أئجنونة هي ؟ أئستطيع أن أركب عربتها الفاخرة ويجلس بجوارها ؟ ١٢

لا . . لا . . إن مكانه على قدميه فوق الأرض ، أكرم وأئبث ، كيف أركب بجوارها ؟ ١٣

وأجاب وهو يهز رأسه هزات متوالية ، كأنما ينفض
عن نفسه جريمة يدعى إلى ارتكابها :
— لا .. لا متشكر .

— لماذا ؟

— إنى أنتظر الأوتوبيس .

— ولماذا تنتظر الأوتوبيس إذا كنت أستطيع أن أوصلك ؟

أجل ! لماذا ؟ .. ماذا يقول ، وبماذا يعتذر ؟

وفتح الله عليه بالرد فقال متلعثما :

— ربما كان طريقى يخالف طريقك .

— إلى أين أنت ذاهب ؟ .

ولم تكن لديه القدرة على الكذب ، ولا الفرصة

لتدبيره ، فأطلق الإجابة بلا تفكير :

— إلى البيت .

— حسن جداً .. أنا أيضاً ذاهبة إلى هناك .. اركب

حتى أوصلك .

ولم تكن هناك طريقة للمقاومة ، لقد سدت عليه السبل ،

كانت دعوتها مخلصه وبسيطة إلى الحد الذى جعل ركوبه

بجوارها فى العربة لى توصله معها إلى العربة ، يبدو أمراً

مفروضاً أن تفعله ، ومفروضاً عليه أن يقبله .

واستقر به المقام بجوارها ، وأدار السائق الأسود

حرك العربة ، وانطلقت في طريقها إلى القصر .

حدث الأمر كله في مثل لمح البرق .. وبدأت المسألة كلها بالنسبة له ، كأنها مجرد حلم من أحلام لياليه التي لا يحتاج الأمر منه لكي يجد نفسه بجوارها إلا إلى غمضة عين ، يهيم بعدها وإياها في قصوره الشم ، وأبراجه العوالي . . .

ومضت فترة استطاع خلالها أن يتمالك نفسه ، ويهدى أعصابه المتوترة ، ويمسك بزمام ذهنه الشارد الحائر ، وتملكه شعور السارق الذي فر بغنيمة ظل طول حياته يحلم بالحصول عليها ، فلما سقطت في يده أخذ يعدو بها كالجنون ، والناس تطارده ، حتى إذا بلغ بها مأمناً من مطارديه ، وضعها جانباً وجلس يلتقط أنفاسه ويتحسسها بيديه ليطمئن على وجودها ، وهو غير مصدق لحصوله عليها .

أجل .. إنها تجلس بجواره ، في واقعه ، لا في أحلامه ، أى أنه يستطيع لو انحرف ببصره أن يراها . . أو مد يده أن يلمسها ، ولكنه مع ذلك لا يجسر . . لا أن يحرف بصره .. ولا أن يمد يده .

كل ما يستطيعه ، هو أن يحلق ببصره من النافذة ، إنه هانيء سعيد بمجرد إحساسه بوجودها إلى جواره .

ولكن ، ضلة له من أحق غي إذا كان هو هانيئاً سعيداً بجلسته هذه وحملته وصمته . . أتراها هي سترضيها حالته ؟ أستقنع منه طوال الطريق بالصمت والحلمة ؟ لا بد أن

يتحدث . . لا بد أن يقول شيئاً ، إنها فرصة العمر لكي يتحدث إليها ويسمع صوتها .

ثم ماذا يخشى منها وقد دعته إلى الركوب . . في رقة وتواضع ، وإلحاح . أجل .. إلحاح ، فلقد أوقفت العربية ثم أعادتها إلى حيث وقف . . وطلبت منه الركوب ، وألحت في طلبها .

إنها لا شك ترغب في صحبته . . فلا أحد هناك يرغبها على ذلك .

لنتكلم إذن ، ليقبل شيئاً . . .

ومع ذلك فقد أخذت أعمدة الكهرباء تمر ، وسيقان الشجر تتوالى وهو في صمته وحملقته .

وأخيراً أنقذته من ورطته وتحدثت قائلة :

— كنت أزور « تننت ايناس » ، في دارها بمصر الجديدة ، إذ كانت بها وعكة خفيفة ، لقد نزلت بالعربة مع أخي علام وتركته في نادى الصيد وذهبت إلى زيارتها . . وسيقضى أخى يومه في البلد وسأرسل له العربية بعد أن توصلنى . واسترسلت « أنجى » ، فى الحديث حتى تزيل ببساطة حديثها جو الكلفة والتوتر الذى تلبدت غيومه بينهما .

إنها تريده أن يتحدث . . لقد مضت فترة طويلة وهى لا تراه إلا رؤية خاطفة ، وما زالت تنطبع فى ذهنها صورته

بجلسته أمام الترولى وصمته المتعالى .. وخجله المتكبر . لقد
تمنت كثيراً لو استطاعت أن تلقاه وتحدثه ، ولكنها لم تكن
تلقى غير أبيه وأخيه ، وكانت دائمة السؤال عنه ، حتى عرفت
من أبيه فى آخر مرة أنه نجح فى البكالوريا ، وأنه ينوى
التقدم إلى الحربية .

ولقد فوجئت اليوم بمראה أمام محطة الأتوبيس .. لم
يتغير وجهه كثيراً عن آخر مرة أبصرته فيها ، وإن كان
جسمه قد نما ، وقامته قد طالت .. أما شفتاه المزمومتان ،
وأنفه الدقيق المستقيم ، وحاجباه المقرونان ، المزوى ما بينهما
كأنما قد أساء صاحبهما شئ .. أما سماته الحازمة ونظراته
المتعالية فكما هى ، لم تصب بتغيير ولا تبديل .

وعجبت لما أصابها من اللبحة السريعة العابرة ، التى رمتها
بها وهو واقف فى انتظار الأتوبيس ، لقد أحدثت فى نفسها
ما يشبه الشر الذى يحدث من مسة سالكين كهربائيين
أحدهما موجب والآخر سالب ، فهتفت بالسائق أن يقف .
وعملت وقوفها لنفسها وللسائق .. بأنها تؤدى واجباً نحو
جارهم ، وإن كانت تدرك فى قرارة نفسها أن هذا المخلوق أكثر
لديها من مجرد جار ، وأنها تريد أن تراه عن كسب وتتحدث
إليه فترة طويلة .. تستطيع أن ترفع خلالها ذلك الحجاب
للكشف الذى يسدله حول نفسه من الصمت والتباعد .

دسپتہ و غایت



كانت

تفكر فيه في كثير من الأحيان ، ولم تكن تدري
سر ذلك الاهتمام به .. لقد كان في نظرها مخلوقاً
آخر غير تلك المخلوقات التي تشابهه .. كان أكثر كثيراً من
ابن بستانى .. ليست تدري لم ؟ لأنه أنقذ حياتها ذات
مرة ؟ أم لأنه تباعد عنها وترفع عن الحديث إليها ؟
على أية حال ، إنها فرصة سانحة أن يجلس وإياها طوال
مدة الذهاب إلى البيت ، وهي تستطيع أن تتجاذب وإياه
أطراف الحديث فتقطع وحشة الطريق ومملته .

ولكن إلى متى سيظل مغرقاً في صمته .. أترأه لا ينوى
التحدث إليها طوال المسافة ؟ !

ووجهت إليه سؤالاً تستدرجه به إلى الحديث وتخرجه
من صمته :

— وأنت أين كنت ؟

وأجاب وهو يستدير إليها نصف استدارة ، وقد حول
بصره من النافذة إلى أطراف قدميها :

— كنت في المدرسة الحربية .

— حقاً ؟ ! وماذا كنت تفعل !

— ذهبت للكشف الطبي .

— وكشفت ؟

— أجل .

— والنتيجة ؟

— قبلت .

وتهللت أساريرها ، وبدأت عليها فرحة صادقة ، وقالت

مهينة :

— مبروك .. ستدخل المدرسة إذن ؟

— ربما .

— ولماذا ، ربما ؟

— لم يزل أمامي كشف الهيئة .

ونظرت إليه وقد افتر ثغرها عن ابتسامة حلوة .. لم
يستطع هو أن يراها لأنه كان مازال مصوباً نظره إلى طرف
حذاءها .. وقالت في براعة وبساطة :

— هذا كشف يسير بالنسبة إليك .. ولا شك أنك

ستجتازه بسهولة ، فلا أظنهم سيجدون هيئة خيراً من
هيتك .

ولم يستطع أن يمنع الدماء من أن تتصاعد متدفقة إلى
وجهه ، حتى تبلغ أطراف أذنيه ، لقد وقع قولها البريء
الساذج من نفسه موقفاً أعمق مما كانت تقصد أو تتصور ..

أحقاً تراه كذلك .. أم هي مجرد مجاملة ؟

ورفع شعاع بصره المصوب إلى طرف قدميها ، فجعله
يستقر على ركبتيها وعلى يديها الرقيقة ، وأناملها الدقيقة
المبسوطة على فخذيها ، وتمنى لو ينحني حتى يمس بشفتيه
أطراف أناملها .

وعندما نفّض عنه الخجل ، وأعاد الدماء المتصاعدة من
وجهه إلى قلبه الصاخب الضاج .. أجابها وهو يرفع شعاع
بصره رويداً رويداً حتى بلغ ذقنها الصغيرة قائلاً :

— لا أظن هيتي تتميز كثيراً عن بقية الهيئات
المعروضة .. وعلى أية حال ، لست أظن الهيئة لها دخل كبير
في كشف الهيئة .

— كيف ؟

— لأن الغلبة فيه .. ليست للهيئة الأفضل ، بل للوساطة
الآقوى ؟

— عجيبة ! إنى لا أصدق أنه يمكن رفضك ؟

وأطربه قولها أكثر مما لو كان قد قبل في الكشف
نفسه ، وأحس في تلك اللحظة أنه لم يعد يابه كثيراً للقبول
في المدرسة ، لقد فاز بالقبول من نفسها ، وكان يعتبر القبول

في المدرسة مجرد وسيلة للقبول في نفسها .. أما وقد تحققت
الغاية ، فما حاجته بعد ذلك إلى الوسيلة .

ومرة أخرى أحس بحنين لا يقاوم ، ورغبة لا ترد
في أن ينحنى على أناملها الرقيقة البيضاء .

إن مسة يدها خير لديه من العمر كله .. مسة
واحدة .. ليتها تسمح له بها .

ومن يدريه أنها لا تسمح .. إنها مخلوقة كريمة رقيقة ..
لقد وهبته في لحظات أكثر مما ناله هو نفسه منها في أعوام
من الأحلام .

ونظرت إلى جبينه المقطب ، وسماه الشاردة وسألته :
— ما بالك شرد منك الذهن ، أتخشى عدم القبول ؟
وأجابها صادقاً :

— أبدأ .. على الأقل الآن لا أخشاه .

وسألته في دهشة :

— ولم ؟

وأحس بأن شخصاً آخر في داخله يتحدث .. شخصاً
أقدر منه على التعبير عن نفسه المرهفة ومشاعره الذائبة :
— لأن أُملي في الحياة صار أكبر من أن يحصر في مثل
هذا الهدف الضيق .. لقد باتت لدى آمال كبار .

ولم يبد عليها أنها قد فهمت شيئاً من قوله . . وعادت تسأله :

— أليست لديك وساطة ؟

— لم تعد للوساطة قيمة فيما آمل .

ورفعت إليه وجهها وحدثت فيه ، وقد ازدادت بها الدهشة وسألته :

— لقد كنت تقول الآن أن الوساطة هي كل شيء .

ورفع بصره من ذقنها إلى شفيتها القرمزيتين الرقيقتين إلى طاقى أنفها الضيقتين وأخذ يرقبهما ، وكأنه يرى الشهيق في دخوله والزفير في خروجه ، ثم رفع شعاع بصره رفعة بسيطة فالتقت عيناه بعينها للمرة الأولى منذ جلسا . . بل للمرة الأولى في حياته . . واضطرب الإثنان لحظة شعر بعدها أن الثقة قد عادت تملأ نفسه ، وأن الهوة السحيقة ، والبون الشاسع الذى كان يفصل بينهما لم يعد لهما وجود . . وأحس أنهما متجاوران كما كانا متجاورين فى أحلامه ، وأنه قد بات تماماً فى الوضع الذى كان يحب لنفسه دائماً أن يكون فيه .

وأحست هى كأن الحجاب الذى كان يسدل بينهما قد رفع ، وأن السد قد زال ، وأحست باضطراب لذيذ وهى

تجد عينها قد ثبتت في عينيه ، وأخيراً خرج من صمته قائلاً :
— منذ لحظات كنت أجد القبول في المدرسة هو أقصى
أمانى .. أما الآن فقد بات الدخول وعدمه سواء لدى .
— لماذا ؟

— قد تعرفين بعد ذاك .. أما الآن فلا أظننى أجسر
على الإفصاح .
وعادت هي تقول ملحمة :

— ولكنك يجب أن تدخل في المدرسة .. خسارة
ألا تدخل .

وأحس بالفرحة تغمره وهو يجد منها ذلك الاهتمام ،
وأجاب ضاحكاً :

— على أية حال ذلك يتوقف على مقدرة عبد الجليل
افندى .

— عبد الجليل افندى ؟

— باشكاتب المدرسة .

— وما دخله في الموضوع ؟

— إنه هو وساطتى .. أو على الأصح كان وساطتى في
الكشف الأول ، وأرجو ألا يخذلنى في الكشف الأخير .
— ولكن أظنه يستطيع إدخالك ؟

— هو وحده .. لا أظن .. ولكنى أعتد على آخر
يساعده ويساعدنى .

— من هو ؟

— الله .

— أتمزح ؟

— أبدأ .. أوساطة الله تعتبر مزاحاً ؟

— الله وساطته مشاعة بين الجميع .. وهو يساعد كل
الناس ، فليس لأحدهم أن يختص نفسه بوساطته .

وسرته إجابتها .. وابتسم .. فابتسمت .. وأجابها
قائلاً :

— معك حق .. ولكن ماذا يملك العاجز إلا أن يؤمل
نفسه فى وساطة الله .. إن الله دائماً ملاذنا الأخير ، وعلينا
أن نبذل جهودنا ، ثم نترك أمورنا لتديره .

وأطرقت برأسها ، وبدأ عليها التفكير ، وأحست برغبة
شديدة فى أن تقدم له المعونة .. لقد قربت بينهما اللحظات
القصار التى قضتها بجواره .. والحديث العابر الذى جرى
بينهما .. وأحست أن فى جوهره شيئاً يدعو إلى التقدير
والاحترام ، وأنه إذا تعالى ، ففى باطنه ما يبرر له تعالى

والاعتزاز . . . ولقد سبق أن ردّ إليها حياتها دون أن يقبل مجرد كلمات شكر ساقتها إليه ، بل إن البنطلون الذى قدمته إليه بحسن نية ، متخيلة أنه سيقبله شاكرًا ، قد رفض ارتداه بدليل أنها رأت أخاه يرتديه فى أول مرة أبصرته فى الحديقة . إنه يعرف قدر نفسه .. وقد عرفت هى قدره من

الحديث المقتضب ، والكلمات القصار التى جرت بينهما . إنه لن يطلب منها المساعدة .. رغم أنه يعرف فى قرارة نفسه أن وساطة أبيها الأمير لا شك ستدلل له السبيل إلى المدرسة ، ولو عرضت عليه المساعدة لرفضها ، كما رفض البنطلون ، فنفسه أعز عليه من أن يذلها ، حتى فى سبيل أمانيه .

على أية حال إنها تستطيع مساعدته دون أن تشعره . . . وهى إذا ما مساعدته فقد كان أسبق بمساعدتها . . . فليس تقديمها المساعدة غير رد للجميل .

وخلفت العربة القاهرة ، بدورها وشوارعها وبدأت السير فى الطريق الزراعى . وقد صفت على جانبيه أشجار الكافور والجازورينا ، وبدت من ورائها الخضرة المنبسطة تعترض انبساطها أكواخ القرى ، وهياكل الأشجار القائمة فوق السواقي باهتة فى الأفق .

وتلفتت إليه فوجدته قد شرد ببصره من النافذة ،
فاسترعته إليها متسائلة :

— فيم تفكر ؟؟

— في لا شيء .

— لا يمكن أن يفكر الإنسان في لا شيء .

— أفكر في شيء أصبح من فرط تفكيري فيه كأنه

لا شيء . . لقد بت أفكر فيه بلا تفكير .

وضحكت قائلة :

— هذا قول عجيب أن تفكر بلا تفكير . . أستطيع

أن أعرف هذا الشيء أو اللا شيء الذى تفكر فيه بلا

تفكير . . أقرب هو أم بعيد ؟

— كان بعيداً من الواقع قريباً فى الأحلام . . فأضئى

قريباً فى الإثنين .

— أهو أمنية ؟

— أكبر من أمنية . . إنه حياة أخرى .

— لست أفهم !

— لا ضرورة لأن ترهق نفسك فى الفهم . . لكل

إنسان أفكاره التى لا يفهمها إلا هو .

— ولكننى وددت لو فهمت أفكارك .

— أحقاً تودين ذلك؟

— أجل .. فى كل مرة أراك .. أود لو أعرف أفكارك .. أتذكر عند ما تقدمت إليك وأنت تجلس أمام الترولى ، وحاولت شكرك فلم تجب علىّ .. ولم تنهض عندما سألك أبوك النهوض ؟ لقد تمنيت أن أعرف ما فى رأسك .. ماذا منعك من إجابتى !! وماذا منعك من النهوض !! ولقد سألت أباك فأخبرنى عن خجلك من البنطلون .. وحاولت أن أرسل لك آخر رغم أنى لم أرفيه ما يستحق الخجل !! — إنى لم أخجل منه .. ولكنى خجلت منك .. لقد كانت المقارنة بيننا تروعنى .. وكنت أخشاك دائماً .. ولقد روعتني دعوتك لى إلى الركوب الآن .. ولولا مفاجأتك لى ، وإصرارك على دعوتك .. وسدك علىّ كل سبل الفرار ، لهربت من أمامك .

— عجباً !! لم كل هذا؟

— است أدرى .. وإن دريت فلا أظننى بمستطيع الإفصاح .. إن خير ما منحه الله لنا من وسائل الأمان أن أعطانا القدرة على أن نغلق رؤوسنا على ما بها .. وإلا ... — وإلا ماذا؟

— لا شىء ..

— لماذا لا تتكلم ؟ إني أود أن أسمع منك الكثير ..
قل .. ماذا تنوى أن تفعل بعدما تتخرج في المدرسة ؟
— وماذا أستطيع أن أفعل أكثر من أن أكون ضابطاً ؟
— لست أدري لماذا يخيل إلي أنك لن تكون ضابطاً
عادياً .

— ولست أدري أنا .. لماذا أنت حسنة الظن بي إلى
هذا الحد ؟ لأجل انطلاقي أمام الترولي لإنقاذ حيائك . ؟
إن هذا كل ما فعلته أمامك .. لكي يظهرني كمخلوق غير عادى ،
وحتى هذا لا يبدو لي مثلاً خارقاً ، فلا أظن أى إنسان مكافئ
إلا كان فاعله .

— لا أظن كل إنسان يعرض حياته للخطر في سبيل
إنقاذ مخلوق لا يمت له بصلة .
— لا يمت له بصلة ؟

— أجل .. إني لست أختأ لك .. ولا قرية .
— أليس هناك بين الناس سوى صلات الأخوة
والقربة ؟ ألا يوجد بين الناس صلات الإنسانية ؟
— لا أظنها بالقوة التي تدفع الناس لأن يضحوا
بأنفسهم في سبيل الآخرين .

— على أية حال .. أنا لا أجد ما فعلت يستحق منك هذا
الاهتمام بي .. وأكره أن يستند مركزى فى نفوس الناس ..
على أحد أعمال البطولة المصادفة الطارئة .. فالإنسان لا تسنح
له هذه الفرص فى الحياة كثيراً .. وخير للإنسان أن يقدره
الناس بأعماله الدائمة وشخصيته الطبيعية ، من أن يقدروه بهذه
الأعمال الفجائية المعتمدة على الظروف والفرص .
— أنت لا تستطيع أن تفرض على الناس أسباب
تقديرهم لك وإعجابهم بك .. إن لهم هم أن ينتقوا الأسباب .
— بالطبع .. ولكل فرد ما يستهويه فى الفرد
الآخر .

وبدت محطة السكة الحديد ، ولاحت على الجانب الآخر
منها البيوت المتواضعة التى تكوّن العزبة ، وفى آخر الطريق
بدت أسوار القصر ، وقال د على ، وهو يرى العزبة تقترب
من دارهم :

— أستطيع أن أنزل هنا ؟

— أقدر وصلنا سريعاً !!

— أجل !

— لم أشعر بمرور الوقت .. ولا بطول الطريق ..
وددت لو طالت الفرصة لى نكمل حديثنا .

— فى فرصة أخرى إن شاء الله .

— ولكنك لا تحضر إلى الحديقة .

— سأحضر وقتما تشائين .

— ألم يعد هناك ما يخيفك ؟

— لا . . لقد حطمت بحديثك السور الشائك الملغم

الذى كنت أتوهمه بيننا ، والذى كنت أخشى القرب منه .

ووقفت العربة ، وهبط منها ، على ، ووجد ، أنجى ، قد

مدت إليه يدها . . فأحس برجفة وهو يوشك أن يمد يده
إليها .

وتلامست الألف ، واحتوت كفها الصغيرة كفها

الكبيرة . . وشعر بقلبه يوشك أن يثب من بين أضلعه .

وابتسمت له ابتسامة رقيقة وهى تودعه بقولها :

— مع السلامة . . سأراك قريباً ؟

— إن شاء الله .

ووقف يرقب العربة التى أخذت تتباعد . . وهى

تشير إليه بكفها الصغيرة . . وعندما اختفت العربة عن ناظره

رفع كفه التى صالحتها . . وأخذ يحدق فيها فى شىء من

الذهول ، ثم أطبقها ووضعها في جيبه . . كان بها شيئاً ثميناً
يخشى عليه من التبدد .

ما كل هذا الذي حدث ؟! لشد ما يخشى أن يفتح عينيه
فيجد نفسه مازال رابضاً أمام محطة الأوتوبيس .

أجل . . أجل . . لا يمكن أن يكون ما مر به أكثر
من حلم . . أن يراها . . ويجلس بجوارها . . وتحدثه ، وتبدي
في كل فقرات حديثها ما يشعره بتقديرها له ، وتفكيرها فيه .
ثم بعد هذا تمد يدها وتصافحه ، وتطلب منه أن يجعلها
تراه في فرصة قريبة ! !

لا . . لا . . هذا شيء لا يمكن أن يكون قد حدث في
عالم الواقع . . إنه نوع من الأمانى التى كان يغرق نفسه بها .
وسار واضعاً يمينه في جيبه ، وهو يشعر كأنه يتحرك
في دوامة .

واقترب من البيت فوجد «حسين» ينتظر عند الباب ، ولم
يكذ يراه حتى أقبل عليه يسأله في لهفة :

— ماذا فعلت . . ما النتيجة ؟

ولم يعرف فvim يسأله أخوه . . وكاد يجيبه وهو مغرق
في شروده :

— لقد أمسكت يدها .. لقد دعتنى إلى زيارة الحديقة .
ولكنه تذكر أن أخاه يسأله عن نتيجة الكشف الطبي ..
وأن تلك هى النتيجة الهامة التى ينتظرها كل من فى الدار .
وابتسم على وأجاب أخاه :
— لقد قبلت ...
واندفع حسين يبلغ النبأ لمن فى الدار .



چندین



توقفت

العربة بأنجي أمام باب القصر .. ووثبت منها
في خفة وبنفسها إحساس بطرب لاتدرى

كنهه ، ولا تعرف سبيه ولا مبعثه ، أو على الأصح تتجاهل
سبيه ومبعثه .. إذ لم يكن يخطر لها ببال أن مثل هذا
الطرب الشديد يمكن أن ينشأ عن مثل هذا السبب التافه ،
الذى لاتستطيع أن تعترف صراحة بأنه مبعث طربها .

أيمكن أن يكون مجرد مجاورته لها في العربة هذه المدة
القصيرة ، قد سبب لها مثل هذا الطرب ؟ من يكون هو ؟
إنه لايزيد عن آدمي .. فرد ، وهو في مقاييس أسرتها
واعتبارات تقاليدها .. غير ذى وزن ، وغير ذى قيمة ،
فهو ابن الرئيس عبد الواحد الجنائنى .

ولكن .. أترام حقاً .. لايزيد عن ذلك ؟ أترى
تلك هى المقاييس والاعتبارات التى يوزن بها الأشخاص
فى النفوس ؟

لا .. لا .. إنها جد خاطئة ، إن هناك مقاييس أخرى .
وليس أدل على ذلك من الشعور الكائن المحسوس الذى
يجزم بأنه فى نفسها ذو وزن ، وذو قيمة ، وذو موضوع .
إن فى باطنها مقاييس غير تلك المقاييس الظاهرة

المصطلح عليها .. فى باطنها ميزان خفى .. أغلب الظن أنه
يكن فى ذلك الشيء الرابض فى جنبات الصدر ، الشيء
الدقاق المرهف الخفاق .. المسمى بالقلب .

ولا يعنى قياسها إياه بمقياس القلب .. إنها تحبه .. فذلك
إحساس لا يمكن الجزم به بعد ، ولكنه يعنى أن العامل
المسيطر فى إحساسها نحوه هو القلب .. هو الذى سيطر عليه
أضواءه .. فجعل منه مبعث طرب ، وجعل منه كائناً غير
بقية الكائنات المماثلة له .. جعله مثلاً ، شيئاً آخر غير أخيه ..
بل أكثر من هذا ميزة عن غيره ممن قد يكون أثقل وزناً
وأكثر فضلاً إذا ما استعملت مقاييس الحياة الطبيعية العادية ..
مقاييس التقاليد والطبقات .. فهو خير فى نفسها من كثير
من أبناء طبقها وأصدقاء أخيها .

ألم يلم بها طيفه بين آونة وأخرى على طول النأى وكثرة
التباعد ؟ .. ألم تتمن دائماً لو أنه عاد إلى الحديقة مع أخيه
وأبيه ليشاركها لعبها ، وليدفع بها الترولى ؟ ألم تلمحه وهو
ذاهب إلى المحطة وهى راكبة مع أبيها ، وودت لو استطاعت
أن تدعوه إلى الركوب لو لا الخوف من أبيها وأخيها ؟
ألم يمسه منه شرر لمجرد أن لمحه اليوم فى طريقها ؟
وبعد كل هذا .. تنكر أن ما أصابها من طرب إنما هو

مبعثه . . . وتقول إنه مجرد آدمى . . . فرد ١١

حقاء . . . بلهاء . . . وأشد منها حمقاً وبلهاً مقاييس القلب
التي لا تعترف بفوارق الأوضاع ، ولا تقدر غنى ولا جاهاً ،
ولا غير ذلك من المقاييس التي اصطلاح عليها البشر لتنظيم
حياتهم .

واستمرت الأفكار تصطبغ في رأسها ، وهي جالسة
على المائدة تنتظر نزول أبيها من حجراته .
وسألها أبوها :

— كيف حال عمك ؟

— بخير . . . لم يكن ما بها أكثر من برد بسيط في طريقه
إلى الزوال .

— وأين علام ؟

— تركته في النادي . . . لقد أنبأني أنه قال لك إنه
سيتخلف للغداء هناك . . . ألم يقل لك ؟

— أجل . . . أجل . . . لقد تذكرت .

— وسألني أن أرسل له العربية إلى بيت البرنس كمال
حيث سيتناول الشاي مع سهيلة وإبراهيم .

— سأمر عليه أنا عند عودتي من افتتاح مؤتمر الطيران
الدولي في هليوبوليس .

وظهر الخادم يحمل صحاف الطعام ويمر بها على الأب
والإبنة ، وأخذت أنجي في تناول طعامها . . وأرسلت
ذهنها يطوف بمبعث طربها .

ماذا قال لها في العربة ؟ . لقد حدثها حديثاً غامضاً . .
لم تستطع أن تحدد لنفسها معانيه ولا مقاصده ، ولم تستطع
أيضاً أن تمنع نفسها من أن تستشعر منه لذة ، رغم غموضه
وإبهامه .

قال لها أشياء عن أمله الذي بات أكبر من أن يحصر
في هدف ضيق ، وقال لها إنه منذ لحظات كان القبول
في المدرسة هو أقصى أمانيه ، ثم بات الدخول وعدمه بعد
ذلك سواء . . فلما سألتها أن يفصح أنبأها بأنها قد تعرف
بعد ذلك ، أما الآن فلا يجسر على الإفصاح .

وأخذت تستعيد لنفسها كل ما قال ، وأدهشتها حدة ذهنها
وقوة ذاكرتها في وعي أحاديثه . . كأنما كانت ستؤدي فيه
امتحاناً ، وهي التي كثيراً ما جلست مع أقاربها وأصدقائها
فلم يحاول ذهنها أن يلتقط من أحاديثهم كلمة . . بل قد تمر
عليها الجلسة دون أن تعي منها شيئاً . . أترى كان ذلك لقيمة
ماقال ، وتفاهة ماقالوا ؟

أم أن المقياس الدقاق الخفاف . . قد حشر نفسه حتى

في وزن حديثه وقياس ألفاظه ؟

وأحست أن بنفسها رغبة في أن تراه وتسمعه ثانية ،
وتذكرت كبريائه ، وأنفته ، وتعاليه عن أن يطلب منها
وساطة أبيها ، كما تعالى - من قبل - عن لبس البنطلون الذي
أهدته إياه .

ونظرت إلى أبيها نظرة خاطفة وقد انتهى من طعامه
وأمسك بقطعة كيردون ، يسلك بها أسنانه .. إنه يستطيع
بكلمة منه أن يحقق أمله ، وينيله أمنيته .. ولكن أترام
يقبل أن يقول هذه الكلمة ؟ أترام يقبل أن يرجو أحداً
لإدخاله إلى المدرسة الحربية .. أى لكى يصنع ضابطاً ..
من ابن الجنائى ؟

أليس هذا هو كل ما يراه فيه ؟ . مادام لا يملك المقياس
السحرى الذى تملكه ، والذى جعل منه مخلوقاً آخر غير
مخلوقات الله .

على أية حال ليرى ما يراه هو فيه .. أما هى فعليها أن
تفعل من أجله كل ما تستطيع .. وإذا امتعض أبوها أو ثار
فعليها أن تقنعه بأنها لا ترجو أكثر من رد جميل من أنقذ
حياتها .

ولكن كيف تبدأ الحديث ؟ وبهم تجيبه إذا سأها

من أين عرفت أنه يريد الدخول في المدرسة الحربية ، وأنه قبل في الكشف الأول والكشف الطبي ، وأنه لم يبق أمامه غير كشف الهيئة الأخير ؟ إن عليها أن تقول إنها لقيته في الطريق والمواصلات معطلة فاضطرت إلى أن تنقله إلى داره .. ليس في هذا عيب .. ومن المحتمل جداً إن لم تنقله هي له أن يقوله السائق .

على أية حال يجب أن تتحدث .. وتحدث الآن ، فهذه هي خير فرصة يمكن انتهازها ، فرصة هدوئه وخلوتهما وعدم وجود أخيهما الذي لاشك سيكون تدخله في غير صالح ، على ، ، فهو أكثر من أيه ازدراء لطبقته واحتقاراً لها .

وهمت بالحديث ولكن أباهما سبقها به قائلاً :

— وصلني اليوم خطاب من مدرستك أظنه على مكتبي ، يحددون فيه موعد الدخول ، ويطلبون سداد القسط الأول ، ويسألون إذا كنت تريد الاشتراك في دروس الموسيقى ، وسأرسل لهم النقود والرد غداً مع إديس .. لا تنسى أن تذكريني .

— سأنزل معه صباحاً .

— ولم ؟

— أريد أن أذهب إلى المدرسة لرد بعض كتب

اقرضتها من المكتبة ولاستعارة كتب أخرى . . . و . . .
وصممت برهة تستجمع شجاعتها . إنها لا بد أن تقول ،
ولكنها لا تعرف كيف تبدأ ، وليست الشجاعة هي التي
تنقصها ، ولكن فقط بداية الحديث ، وأسلوب الرجاء .

وتنهدت وازدرت ريقها ثم عاودت الحديث :
— و . . . كنت أود أن أرجوك في موضوع خاص
بعلی ابن الریس عبد الواحد .

ورفع إليها الأب عينيه ، وقوس حاجبيه ، وجعد
جبينه ، وقاطعها متسائلا في دهشة واستنكار :

— علی ابن الریس عبد الواحد ، ومالك أنت به ؟
— لقد لقيته مصادفة وأنا قادمة في طريقى وكانت
المواصلات معطلة فدعوته إلى الركوب معى .
— دعوته إلى الركوب معك !! وركب ؟
— أجل . . . بعد أن ألححت عليه .

— ولماذا ألححت عليه . . . بل لماذا دعوته ؟ لم يبق
إلا أن تركب أبناء الفراشين والجنائنية بجوارك في العربة ؟
— لقد كانت المواصلات معطلة .

— وما شأنك أنت . . . أمسئولة أنت عن تجهيز سبل
المواصلات له ؟ ! لماذا لايسير ؟

— إني لم أجد في ركوبه معي غضاضة .

— أنت لاتجدين في أشياء كثيرة غضاضة .. إنك كثيراً ماتنسين نفسك ، وتنسين من تكونين .. ولقد كنت أقول فيما مضى أنك صغيرة ، ولكن الآن ماعذرك وقد أصبحت فتاة مكتملة .. يجب أن تعرفي دائماً أن هناك فرقاً بين السيد والمسود .. لقد كنت أكره في أمك هذا الجانب اللين ، وأكره أن ترثيه عنها .. إن هؤلاء القوم إن كنت لهم طمعوا فيك ، وإذا أركبتهم مرة بجوارك .. اعتبروا ذلك حقاً لهم .. إن موضعهم الأصلي تحت موطيء القدم .. لاجواره ، وإذا حدث واضطرتك الظروف إلى أن تقدمي إلى أحدهم نوعاً من المعونة فأفهميه أن هذا فضلاً منك ، واذكري له أن ذلك إحسان لاحق له فيه .. هل فهمت ؟

فهمت ؟ هل يمكن أن تفهم هذا ؟ لا .. لا .. إنها لم تفهم ، ولا تود أن تفهم ، وإذا فهمت .. فهل تستطيع أن تطبق نصائحك تلك على معاملتها لعل ؟

عبث .. في عبث .. إن تلك الطريقة في معاملة الناس هي أكثر مانكرهه في أبيها .. أن يحتقر من حوله ، وإذا أعانهم ، كانت معونته إحساناً مذلاً وهبة مهينة .

أنجسر هي أن تفعل ذلك مع علي . . المترفع المتكبر
المتعالى ؟

ووجدت أن حديث أبيها انحرف بها عن غرضها ،
وأنه قد جعل المطلب أكثر عسراً وأشد مشقة ، ولكنها
كانت قد أصرّت على أن تصل إلى بغيتها ، فلم تملك إلا أن
تجيبه موافقة . . موافقة للنرضية والتسكين فقالت :
— أجل . . فهمت .

ثم صمّت برهة وأردفت قائلة :
— لقد علمت من علي ، أنه تقدم إلى المدرسة الحربية ،
وأنه اجتاز الاختبارات التي تقدم إليها حتى الآن ، ولم يعد
أمامه إلا كشف الهيئة الأخير وهو كشف يحتاج إلى وساطة
كبيرة . . فإذا كان يمكنك أن ترجو أحداً من ذوى الشأن .
وكانت الدهشة تزداد على وجه الأب ، وأخيراً لم يجسر
على مواصلة الانصات وقاطعها في غضب واستنكار :

— أنا أرجو أحداً من ذوى الشأن ؟ لأجل ابن الرئيس
عبد الواحد . . حتى يكون ضابطاً ؟ أجنونة أنت ؟
— لماذا يا أبت ؟

— هؤلاء الناس لا يعرفون حدودهم . . ماذا يدعو
هذا الجنائى الغبي إلى أن يتقدم بابنه إلى المدرسة الحربية ؟

ومن ذا سيعمل في الحداثق إذا كان كل أولاد الجنائنية
سيتعلمون .. ويدخلون المدرسة الحربية ؟

— ولكن ليس كل أبناء الجنائنية مثل على .

— لماذا .. أعلى رأسه ريشة ؟

— لا .. ولكنه يبدو إنساناً ممتازاً ، ولا شك أنه
سيكون رجلاً ذا قيمة .

— كلهم حيوانات .. لا يستحقون أن يكونوا أكثر مما
هم عليه .

وأحست أنجى بغصة في حلقها ، وحاولت جهداً
أن تكبت غيظها وقالت لأبيها في شبه توصل :

— ولكنك تذكر يا أبتاه كيف أنقذ حياتى .. فلا أقل
من أن نرد له الجبل .

— لقد سبق أن رددته لأبيه .. إن أكثر العمال
والفلاحين تمتعاً بمنحى وعطاياى هو الرئيس عبد الواحد ،
فمكفى أنت عن التدخل فى أمره وأمر ابنه ، ولست أريد
منك بعد هذا الاحتكاك بهذه الطبقة .. مفهوم ؟

وكانت لهجته خشنة ناهرة .. دفعت الدماء إلى أذنيها
والدموع إلى مقلتيها ، وتركت المسائدة دون أن تتمم بقية

طعامها ، وقد غامت المراثيات أمام ناظرها ، واندفعت صاعدة إلى حجرتها .

لقد كرهت أن يخذلها أبوها ، وأن تخذل هي بدورها علياً ، ولم تعرف ماذا يمكن أن تفعل سوى الاستسلام للبكاء . وغادر أبوها المائدة وصعد إلى غرفته ، وعاونته إدريس في ارتداء ملابسها ، وبعد نصف ساعة كانت العربية تنهب به الأرض في طريقها إلى القاهرة لحضور المؤتمر الذي كان عليه أن يترأس افتتاحه .

ووقفت العربية أمام مدخل فندق « هليوبوليس » ، وخفت لاستقباله في شرفة الفندق القائمة على مدخله بعض كبار المدعوين الرسميين وغير الرسميين ، وكان بين الحاضرين ابراهيم « باشا » ، وكيل وزارة الحرية ، وكان صديقاً حميماً للأمير ، فأقبل عليه يحييه في حرارة .

وانتهى افتتاح المؤتمر ، وغادر الأمير المكان وقد سار في صحبته ابراهيم « باشا » يودعه حتى العربية .

وسأل الأمير صاحبه وهو في طريقه إلى العربية :

— كيف حال عزبتك التي اشتريتها في المنصورية ؟

— إنها تحتاج إلى إصلاح كثير . . بها أراض مرتفعة ومنخفضة لا بد من تسويتها ، ولا بد من عمل مصرف

فى الناحية الغربية .. وإن كان بها قطعة طيبة تبلغ حوالى
الخمسين فداناً .. لقد صنعت بها مزرعة للدواجن مستعجب
أفندينا كثيراً ، وإذا سمح وقتك بزيارة لنا .. فسأرى سموك
أنواعاً جديدة استوردتها أخيراً .

— سأريك أنا مزرعتى أولاً .. إنها مستدهشك .
وسأريك المنحل الذى أقمته أخيراً .. أنت الذى عليك
أن تبدأ بالزيارة .. متى أنتظرك ؟

— قريباً إن شاء الله .

— لا .. لا .. أنا أسمع منك ذلك دائماً .. فى كل
مرة ألقاك تقول لى قريباً .. سأنتظرك غداً صباحاً .

— غداً سأكون مشغولاً طول اليوم مع الوزير .

— إذن يوم السبت ؟

— بعد الظهر إذن .. لأنى سأكون مشغولاً فى الصباح
بحضور مجلس إدارة المدرسة الحربية لإجراء كشف الهيئة
الآخر على الطلبة الجدد ، لأننا سنأخذ هذا العام دفعة
كبيرة .

وكان الأمير قد وصل إلى باب العربة وهمّ بالانحناء
للدخول ، ولكنه عندما سمع الكلمات الأخيرة جعلته
يستقيم ثانية ليسأل قائلاً :

— تقول إنكم ستأخذون هذا العام دفعة كبيرة
في المدرسة الحربية ؟

— أجل . ثلاثة أضعاف ماتعوسدنا أن نأخذ كل عام .
وتذكر الأمير رجاء ، أنجى ، ، وتذكر غضبها وبكائها ،
وتركها المائدة ، وأحس أن القدر يأبى إلا أن يلبي رجاء
الصغيرة ، وكره أن يقف في وجه القدر ، وأن يرفض
الفرصة السانحة التي ساقها إليه لإرضاء ابنته . . إن كلبة
واحدة يقولها للرجل . . لن تكلفه شيئاً ، وستكفل
بإرضاء الصغيرة العزيزة ، وتجعل من ابن الرئيس عبدالواحد
ضابطاً .

ضابطاً . . أو لصاً . . ليسكن ما يكون . . إنه لن يغير
ما بالكون ، وقد ساق إليه الحظ هذه المنحة . . فليأخذها
ويذهب .

وأردف ابراهيم ، باشا ، متسائلاً :

— أريد أفندينا التوصية على أحد ؟

— أجل . . أنت ابن حلال . . عندي في العزبة رجل
قدم لابنه في المدرسة .

— هل نجح في الكشف الأول ؟

— أظن ذلك .

— والكشف الطبي ؟

— أجل .. أجل .. لم يبق له غير الكشف الأخير .

— هل لأفندينا أن يذكر اسمه .

وأخرج الرجل من جيبه قلماً وبطاقة ، ووقف الأمير
يحاول أن يذكر الاسم قائلاً :

— اسمه .. شيئاً عبد الواحد .. أبوه اسمه عبد الواحد ،
تذكرت .. اسمه على .. أظنه هو المتقدم إلى الحرية .

وكتب الرجل الاسم ثم مدّ يده يشد بها على يد الأمير
قائلاً :

— إن شاء الله سيكون أول المقبولين ، وسأتي لزيارة
أفندينا بعد ظهر يوم السبت عقب الانتهاء من الكشف .
— سأكون في انتظارك .

وعادت العربة تنهب الأرض في طريقها إلى العزبة
بعد أن مرّ على بيت الأمير كمال حيث اصطحب معه ابنه علام .
وفي القصر جلس الأمير على مائدة العشاء ، وجلس ابنه
بجواره وكان مقعداً ، أنجى ، مازال خالياً .

وصاح الأمير متسائلاً :

— أين ، أنجى ، ؟

وأجاب كبير الخدم :

— إنها في حجرتها .

— لماذا لم تنزل ؟

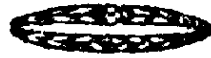
— لقد أرسلت تقول إن رأسها مصدع .

— قل لها أن تهبط .. لأنني سأعرف كيف أزيل

صداعها .. لقد لبيت رجاءها .. أو على الأصح .. لقد

لبي القدر رجاءها . إنها محض صدفة ، ولكن للصبي قسمة

فيما حدث .



توافقه الزمور



في صباح يوم السبت كان د علي ، يجتاز باب المدرسة ، وقد بدا على قدم حلته ، وسيما نظيفاً ،

وضمنهم مرة أخرى صالة النادى التى انتظروا فيها كشف الهيئة الاول ، وكان الزحام أقل كثيراً من المرة السابقة إذ لم يتجاوز عدد المتبقين من الكشفيين الأولين الثمانين .

وكان طلبة المدرسة القدامى قد أخذوا يقومون بترتيبهم وتنظيمهم ، وجلس د علي ، بجوار سليمان وقد خفت من نفسه الرهبة والقلق الذى تعود أن يشعر بهما فى كل مرة ضمه هذا البناء العتيق .

كان إقباله على الكشف فى هذه المرة إقبال الزاهد المتعفف ، فقد ظهرت نتيجة قبوله فى مدرسة المهندسخانة يوم الخميس ، وكانت أكثر مما يرجو ، فقد أتاح له مجموعه القبول فى المدرسة بمجانية دائمة ، وبذلك اطمأنت نفسه إلى أنه لن يكلف أباه عبء مصاريفه إذا ما طالبت به الدراسة فى المهندسخانة ، وقد قبل أخوه فى مدرسة البوليس ، وهو يستطيع بذلك أن يرضى رغبة أبيه ويحقق حلمه بأن يكون له ولد من أصحاب الكسوة العسكرية والإمارة والسلطان .

وأكثر من هذا كله . . كان يشعر أن المعبر الذي كان يفصل بينه وبين آلهة أحلامه ، والذي كان يرجو أن تعاونه الحلة الأنيقة والمركز المرموق على اجتياز ، قد اجتازه بلا حلة ، وبلا مركز .

لقد أضاع لقاء العربية كل ما كان يملأه من هيبة وخشية ، وبدد ذلك الوهم الذي كان يريه نفسه في القاع ، ويريه إياها في القمة . . وملأه حديثها بالثقة فقد عرف منه حقيقة صورته في نفسها ، واستشف جمال روحها ورقة مشاعرهما وطيبة قلبها ، وأيقن أنها هي نفسها لا تحس بتلك الهوة السحيقة التي كان يأبى هو ، ويأبى اختلاف طبقتيهما إلا أن يقيمه بينهما . وثمة شيء آخر أضاع من نفسه القلق والخشية . . وهو اليقين من الفشل ، والجزم بعدم القبول .

أجل . . لقد كان بنفسه يأس مريح . . إذ كان يعلم أنه يتقدم إلى الكشف في هذه المرة . . وهو صفر اليدين . . حتى من الواسطة المتواضعة التي ذلت له السبيل أول مرة ، فقد حملة أبوه بطاقة أخرى من إبراهيم أفندي إلى عبد الجليل أفندي زيادة تأكيد وتذكيرة . . ولكنه علم أن الرجل مريض ، وأنه يرقد في بيته طريح الفراش ، وإن يمكنه مرضه من حضور الكشف .

ومزق د على ، البطاقة ولم يرد أن يفجع أباه ويضيع
أمله فأنباه أنه سلمها للرجل وأنه وعد خيراً .

وجلس يتحدث مع سليمان حديث اليأس من القبول ،
وأخذ يعزى نفسه عن المدرسة بتعدد مزايا المهندسخانه ،
حتى نودى على اسمه وساقه الضابط الأحمر أمام المجلس كما
ساقه في المرة السابقة .

وكان في هذه المرة أكثر هدوءاً وتمالكاً لأصابه ،
فاستطاع أن يقرأ اللافتة الموضوعية على حجرة الكشف
وكانت المكتبة ، واستطاع كذلك أن يقرأ لافتة والضابط
النوبتجى ، التى وضعت على باب الحجرة المغلقة التى بين
النادى والمكتبة .

واستطاع أن يبصر الدوايب الزجاجية التى صفت
الكتب على رفوفها . . وأن يميز إلى حد ما الوجوه المجمدة
والرؤوس البيضاء التى استقرت على الأكتاف الالامعة ، والتى
أخذت ترمقه بنظرات فاحصة .

وسأله رجل يرتدى الملابس المدنية قد توسط المنضدة :

— أأنت على عبد الواحد ؟

فأجاب :

— أجل .

ومال الرجل على الضابط الإنجليزى الجالس بجواره
وهمس فى أذنه بضع كلمات ثم قال :
— حسن .. اخرج .

ثم أردف موجهاً القول للضابط الأحمر :
— اللى بعده .

وخرج وهو يتنفس الصعداء .
الحمد لله .. لقد انتهت العملية الشاقة .. ما كان أغناه عنها
من أول الأمر .. ولكن لا بأس عليه .. إنها مجرد تجربة ..
وعلى أية حال ، إنه لن يؤنب نفسه بعد ذلك عندما يرى أحد
أصدقائه فى حلة رسمية ، فلقد حاول وفشل .. . والحمد لله .
ولم يهبط من السلم الآخر كما فعل فى المرة السابقة ، فقد
كان الطلبة ينتظرون فى الجانب الآخر من الطريقة .
وأخيراً انتهى الكشف ووقف الضابط أركان حرب
المدرسة ينادى الأسماء .

وشرد ذهنه ، على .. . لقد طلبت منه ، أنجى ، أن ترادف فى
الحديقة .. . ولكن متى ؟ وكيف ؟ .. لقد قادته قدماء ذات
أصيل فطاف بالسور الخلقى وتسلسل إلى السوبة .. . ولم يجسر
على أن يتجاوزها .. . وعاد من حيث أتى .. كيف يراها ؟ !
وهو لا يعرف متى تهبط إلى الحديقة !! أم ترى عليه أن

يرابط فيها ليل نهار حتى يضبطها هابطة إليها .
ثم ماذا يفعل إذا رآه أبوها أو أخوها ؟ بل ماذا يقول
إذا رآه أبوه هو ؟ أيقول إنه قد أتى ليرى ، أنجى ، لأنها
دعته إلى رؤيتها ؟

وأحس بمرفق سليمان يضربه في ذراعه ويقول له في
صوت مأخوذ :

— أجب . . ألا تسمع ؟

فتلفت إليه في دهشة :

— أسمع ماذا ؟

— اسمك . إنهم ينادونه .

— أنا ؟

وعاد الصوت الجمهوري ينادى في لهجة حانقة :

— على عبد الواحد !

— أفندم .

وعاد سليمان يدفعه قائلاً :

— انتقل إلى الصف الأمامي .

وعلا الصوت منادياً بالإسم الذى بعده .

— سليمان زكى .

وقبل أن يتم نطق الإسم ، كان سليمان قد قفز بجوارده على ،

وأحس د علي ، بيد سليمان تضغط على يده بشدة وهو همس :
— مبروك .

— مبروك ماذا ؟

— لقد قبلنا .

— غير معقول .

— ما هو هذا غير المعقول . . لقد نادوا أسماءنا .

والتفت إليه د علي ، وهو يقول مؤكداً :

— أيها الغبي . . لا بد أنهم ينادون أسماء الذين لم يقبلوا

لأنني واثق أنني لم أقبل . . إن عبد الجليل أفندي مريض . .
وأنا لم أره في . . .

وقبل أن يتم حديثه كان الرجل ذو الصوت الميكرو فوني
يصيح صيحته التقليدية :

— اسمع الطلبة . . الذين لم يسمعوا أسماءهم يمكنهم

سحب أوراقهم الآن من السكرتيرية . . ليتفضلوا حتى

لا يتعطلوا ، أما الذين ناديت أسماءهم فيبقون في أماكنهم .

وهو د علي ، رأسه كأنما ينفض عنه حلاًباً . . وهمس لصاحبه :

— غير معقول . . غير ممكن .

وأعجزته المفاجأة عن التفكير . . إنه لم يحضر ذهنه

لقبول النبأ . . ولم يعرف كيف يفكر . . ولا استطاع أن

يستحضر في رأسه ما يمكن أن يترتب على قبوله من نتائج وتطورات خاصة به وبها وبأبيه وأمه وأخيه . . بل بكل ما في حياته .

ولم تترك له الحوادث السريعة التي مرت به بعد ذلك فرصة للتفكير .

كان أول ما حدث هو خروج مجلس الإدارة ومروره على طايور الطلبة المصطف . . وإعادته النظر فيهم .
وانتهى المرور بعد أن توقف الرجل المدنى أمامه برهة مع الرجل الإنجليزى ثم عبراه بسلام .

وهبط الطابور بعد ذلك إلى الفناء السفلى يقوده الطلبة القدامى ، الذين بدأوا يباشرون سلطانهم على الطابور بمجرد أن أعلنت نتيجة القبول ، حتى بدوا كأنهم تجار فى سوق عبيد ، وأن الطلبة المقبولين قد أضخوا ملكا لهم .

وبدأت عملية أخذ المقاسات المختلفة ، وانهمك التريزية فى قياس الأطوال والأعراض ، وانهمك صانع الأحذية فى أخذ مقاس الأقدام ، ثم بدأ رئيس الطلبة القدامى الذى كانوا يدعونه الباشجاو يش « رجب » فى توزيع قوائم الملابس الخاصة المطلوب إحضارها يوم الدخول .

وأخيراً .. وبعد أن قاربت الساعة الثانية ، أطلق سراحيهم

وحدد لهم موعد الدخول في العاشرة صباحاً من يوم
الخميس .

وغادر د علي ، المدرسة وبصحبه سليمان ، وقد أفعمت
نفسيهما فرحة القبول ونشوة النجاح ، وإن كانت مفاجأة
د علي ، بها قد تركته في شروء واضح غطى على مظاهر
الفرح .

وقال سليمان وهو يهز رأسه باسماً :

— عجيب هذا القدر . . يجعل مصائرنا معلقة بحوادث
تافهة . . تبدو في ظاهرها لا تربطنا بها صلة . . ولا نكاد نلتقي
إليها بالاً ولا نهتم بأن تحدث أو لا تحدث . . ومع ذلك ،
فبحدوثها أو عدم حدوثها تتعلق مصائرنا . لقد ذهبت يوم
الأحد الماضي إلى بيت خالي وهو موظف في وزارة
المالية ، ذهبت لغير غرض معين ، وكان من المحتمل جداً
ألا أذهب لو كان معي نقود تمكيني من الذهاب إلى السينما .
ولم أجد إبراهيم ابن خالي ، وأخبرتني أمه أنه لن يتغيب
كثيراً وعرضت عليّ انتظاره ، وكان من الممكن ألا أنتظر ،
ولاسيما وأنى كنت لا أريده في حاجة ملحة بل لمجرد النسلية ،
ومع ذلك فقد انتظرت . وقبل أن يعود طرق الباب فرّاش
وأنبأنا أن خالي موجود في بيت د زكي بك ، مدير

الميزانية وقد أرسله ليحضر دوسيهاً أخضر نسيه على المكتب .
وأحضرت زوجة خالي الدوسيه المطلوب ، ولكنها قبل أن
تسلمه للفراش ثارت في نفسها وسواس جعلها تخشى على الدوسيه ،
وكان من المحتمل أن يحضر ابنها في تلك اللحظة فتطلب منه
أن يحمل إلى أبيه الدوسيه . وكان الأمر قد انتهى بالنسبة
لي عند هذا الحد ، ولكن الابن لم يحضر والوسواس تملأ
نفس السيدة وأنا جالس أتصفح إحدى المجلات . . ولم تجد
بدأ من أن تسألني أن أذهب بالدوسيه مع الفراش لأسلمه
لخالي .

وذهبت ، ووصلت إلى البيت ولم يكن يبعد كثيراً عن
بيت خالي . وكان من المحتمل ألا أعقد الأمور فأعطى الدوسيه
للفراش عند الباب لإدخاله ، أوحى أسلمه للخادم الذي فتح
الباب .

كان يمكن أن أفعل ذلك فينتهي الأمر . . . ولكن
الوسواس الذي وسوس في صدر زوجة خالي وسوس في
نفسي ، فأصررت على أن أؤدي واجبي كاملاً وطلبت أن
أسلم الدوسيه لخالي .

ودخلت فوجدت خالي جالساً في رفقة رجل ممتلئ يرتدي
روباً وطاقية ، وآخر وجيه المنظر يرتدي ملابس كاملة .

ودهش خالى من مرآى وسلم على وسألنى عما أحضرنى ،
فأخبرته أن خالى خشيت على الدوسيه من عبث الساعى
فأرسلته معى .

وضحك الرجل ذو الروب وقال :

— معها حق .. إنها حريصة .

وقدمنى خالى إلى الرجلين قائلاً :

— سليمان ابن أختى .. لقد حصل على البكالوريا هذا
العام وهو متقدم إلى المدرسة الحربية .

وضحك لابس الروب الذى أدركت أنه لا بد أن يكون
صاحب الدار ورئيس خالى ، وقال للرجل الآخر مازحاً :

— إنه حربية مثلك .. سنخرج نحن من المسألة !

وضحك الرجل الآخر وقال مجاملاً :

— إنه يبدو طويل القامة .. سيكون ضابطاً نخباً !

وعلق خالى على قوله فى شبه أسف :

— والله لا أظن .. فالحربية مستعصية جداً !

وقال صاحب الدار فى لهجته المازحة :

— كيف تكون مستعصية .. وأمامك سكرتير مالى

الحربية بجلالة قدره !

وابتسم خالى وقال راجياً :

— لو تكرّم علينا سعاده بالمساعدة فستكون منة
لن ننساها .

واستمر صاحب الدار فى مزاحه :

— وكيف لا يتكرّم .. إنه أمر .. أنا أعرف جماعة
الحرية لا يطيعون إلا الأوامر .
وضحك السكرتير المالى قائلاً :

— سمعاً وطاعة .. سأرجو له مدير المدرسة .. إنه
صديقى .. وله عندى طلب لن أنفذه له إلا إذا أجاب
مطلبى .. ما اسمك ؟

وسرعان ما كتب خالى اسمى على ورقة وسلمها إليه .
وخرجت وأنا غير مصدق لما حدث . أترى الرجل
سيرجوحقاً ؟ ! وهل إذا رجا سينفذ مدير المدرسة رجاءه ؟
وهزئت كتفى فى استخفاف .. إن المسألة كلها غير ذات
أصل .. كلها بنت الظروف .. وفى عدة مراحل فيها كان
يمكن أن تتوقف .

وكما أنها حدثت فقد كان يمكن ألا تحدث .. فليس هناك
داع للتفكير فيها .. وتعليق مصيرى بها .
وأخذت أبعدّها عن تفكيرى كلها دفعنى الأمل إلى
التعلق بها .

والآن .. أجد المعجزة قد حدثت، وأجد نفسي قد قبلت ،
وكان من المحتمل ألا أقبل .. لو كان معي نقود وذهبت إلى
السينما أو لو وجدت ابن خالي أو لو لم يوسوس الوسواس
في صدر أمه .. أشياء كثيرة جداً كان يمكن ألا تحدث ..
فتمنع قبولى .. ومع ذلك حدثت .. وقبلت .. أهنك
أعجب من مصائرنا المعلقة بصغار الحوادث وتوافه الأمور؟
وضحك ، على ، ورفع سليمان رأسه فازداد ، على ،
ضحكاً ، وسأله سليمان :

— ماذا يضحكك ؟

— لقد دخلت أنت المدرسة لأن حادثة ، وقعت وكان
من الممكن ألا تقع .. حسن .. أنت على الأقل تعرف لماذا
قبلت .. ولكن ما رأيك فيمن لا يعرف كيف قبل .. ما رأيك
فيمن لا يعرف ماذا حدث؟ وماذا لم يحدث؟ حتى وجد نفسه
مقبولاً .

— أحقاً تقول ؟

— طبعاً .. كانت وساطتي عبد الجليل أفندى .. ولقد
تخلي عني ولزم الفراش في اللحظة الأخيرة .

— غير معقول .. أن تقبل بلا وساطة ..

قد يكون أوصى بك وهو في فراشه ؟

— ماذا تظنه يكون .. رئيس الوزراء .. حتى يوصى
بى وهو فى فراشه فأقبل !؟

— قد يكون أحد توسط لك دون أن تدري .. على
آية حال لقد قبلت وانتهى الأمر .. أنت مخلوق طيب ..
ولا بد أن الله يرد لك جميلاً صنعته فى أحد .

ولجأة ومضت فى ذهن على بارقة كأنها الشرر .. أيمكن
أن تكون هى ؟ من يدري ؟ .. ولكنه لم يطلب منها
المساعدة .. ولم تعده هى بها .. وهو لا يظنها تهتم به إلى
هذا الحد .. ولا يظن أباهما .. قد لى رجاءها بهذه السهولة .
ورأى سليمان شروده فسأله عما به وهزّ د على ، رأسه
مجبياً :

— لا شىء .

وكان الآوتوبيس قد وصل إلى المحطة وذهب د على ،
لركوب القطار ، واتجه سليمان إلى الترام الموصل إلى شبرا .
وجلس د على ، فى القطار .. وتواترت المرئيات أمام
عينيه .. وبمثل سرعتها تواترت الأفكار على ذهنه .

إن المسألة لم تنجل فى ذهنه بعد .. إنه لا يستطيع أن
يركز تفكيره فى شىء معين .. فلا شىء يثبت فى رأسه ، وكل
الأفكار تعدو متلاحقة .. هى ، وأبوه وأمه وأخوه والبيت

ثم المدرسة.. ثم هي مرة أخرى.. وأبوها.. كلهم يتسابقون في ذهنه ولا شيء يستقر فيه .

وأخيراً وصل إلى محطة بلدتهم ، ولم يكد يغادر القطار حتى وجد أباه قد ارتدى جلبابه الصوفي وأقبل يهروا مع أخيه وهو يقول لاهثاً :

— ما هذا ؟ . ما الذي أخرك ؟ . لقد شغلنا عليك ..

لو لم تأت في هذا القطار لأخذت أول قطار إلى القاهرة .. ماذا حدث ؟

وأقبل عليه حسين يهزه من ذراعه :

— ما النتيجة ؟ ! قل ! ! ما لك متجهم هكذا ؟

وضحك على :

— أنا لست متجهماً .. ولكن أعطوني فرصة أتحدث.

وعاد حسين يقول ملحاً :

— يا أخى قل .. ما النتيجة ؟

— قبلت .

وصاح حسين فرحاً :

— قبلت ؟ ! أحقاً تقول ؟ !

ثم هجم عليه يحتضنه ويقبله وهو يعاود سؤاله :

— أحقاً قبلت ؟ ! أمناً كد أنت ؟

— أجل .. أجل .. قبلت .. وأخذوا مقاسي وطلبوا
منى الحضور يوم الخميس .. ماذا تريد تأكيذاً أكثر من هذا ؟
وانطلق حسين يعدو إلى البيت رافصاً .. وتذكر وهو
يرقص في الطريق أنه ضابط بوليس .. وإن عليه أن يكون
محترماً .. ولكنه ظب من نفسه الصهينة قليلاً .. فالفرحة
أكبر من أن يقطع بها الطريق سائراً كبقية الخلق .. وهو
بعد لم يردد البدلة .. ولا مانع هناك من بعض البجبة ١
ووصل إلى البيت ، وكان أول من صادفه بهية ، فأخذها
بين أحضانها وأوسعها نقبيلاً وهو يقول :

— بنت يابيه .. لقد قبل ، على ، ، وأضحينا نحن الإثنين
ضابطين ، أتفهمين معنى هذا ؟ سيصبح هذا البيت مقر الحكم ..
سأجلد العمدة على هذه العتبة .
وأقبلت أمه مهرولة :

— أى عمدة هذا الذى ستجلده ؟ أين أخوك على ؟
— لا تقولى ، على ، حاف .. من الآن فصاعد .. أنا
الضابط حسين أفندى وهو الضابط على أفندى .. لقد قبل
فى الحرية .

وهتفت الأم :

— أحقاً تقول ؟

— أجل .. حقاً .

وقالت بهية ضاحكة :

— ومالك فرحان هكذا كأنك أنت الذى قبلت ؟ .

إنك لم تفرح بدخولك البوليس فرحتك بدخوله الحرية .

— ياغبية لأن دخولى البوليس كان مضموناً .. أما

دخوله الحرية فمعجزة .. ثم إني أعرف أنها كانت من أعز

أمانيه رغم أنه لم يكن يفصح عنها .. أنا أعرف د على ،

أكثر منكم جميعاً .. إنه يستحق أكثر من هذا لأنه خير

من فى عائلتنا ، بل خير من فى بلدنا .. إنه حتى خير منى .

وهمست د بهية ، لنفسها وهى تنظر إليه فى حب منطو

فى جوانحها :

— والله ليس هناك خير منك .. حتى ولا على .. بكل

ما فيه من خير .

وأقبل د على ، ، وأبوه من الباب ، وتلفت الأم علياً بين

أحضانها وضم د على ، أمه إليه .. رغم أنه كان يكره

مظاهر العطف من أحضان وقيل ، ولكنه أحس وهو

يضمها إليه أنه لا يضمها ضمة الفرح وتبادل التهنة ، ولكنها

ضمة الوداع .. إنه لم يضمها من قبل .. بل كان يتركها تضمه ..

أما في هذه الضمة فقد ضغط د على ، جسدها بذراعيه . .
فبعد بضعة أيام سيغادر أحضانها التي كان يحس أنها تحتويه
حتى على بعد . . كانت في نظراتها ضمة . . وفي حركاتها ضمة . .
في مسة يدها ضمة . . وفي همسة شففيها ضمة . .

عجبية هذه الأم ، وعجيب حبها . . في بهمة الليل كانت
تتسلل إلى فراشهما لتجر عليهما الغطاء ، وإذا مسه هو أو
أخوه ضر كانت الساهرة التي لا يغمض لها جفن . . جالسة
بجوار الفراش وبجوارها طبق الخل ، وفي يدها الكمادات ،
واليد الأخرى على الجبين .

كانت تحرم نفسها ليشبع . . وكانت لا تحل لنفسها إلا
اللحمة الفائضة ، وكانت تخدعهما وتقول أنها أكلت حتى
لا تقاسمهما الطعام ، وكانت ترقبهما هائلة مغتبطة . كانت تفعل
من أجلهما كل ما يخطر على بال بشر من تضحيات . . ولأجل
ماذا ؟ ! ! لا شيء ، ولا مقابل ولا ثمن . . إن حبها هو اسمي
أنواع الحب .

وضمها د على ، ضمة الوداع خفية ، لأنه كان يكره مظاهر
العطف . . وكان يكره أن يضمها علناً عندما تحين ساعة الوداع .

سيرة المرأة



رقم ، على ، فى فراشه لآخر ليلة قبل أن يغادر
الدار، وكان السكون قد ران إلا من أصوات ليل
الريف التى تبدو كأنها جزء متمم لسكونه .. نقيق فى مصرف ،
أو نعيب على شجرة ، أو خوار فى قاعة ، أو نباح على باب .

وأغمض ، على ، عينيه برهة وهو يستدعى النوم الهارب
إلى جفنيه . وتلألأ فى فراشه ثم فتح عينيه وحدث فى العروق
الخشبية التى أقيم عليها سقف الغرفة ، ثم فى ظلال أعمدة الفراش
المتراقصة على أعلى الجدران ، ثم فى فتيل المصباح المتهزئ كلما
هبت عليه من النافذة نسمة من نسائم الصيف الناعمة .

وأطلق بصره من فتحة النافذة فاستقر على صفحة السماء
المعتمة التى تلالأت فيها النجوم مهتزة مرتجفة كأنها الذبالة
فى مهب الريح .

وعلا صدره ثم هبط عن تنهيدة حارة طويلة .

ما للكآبة تزخر فى نفسه ! وما للوحشة تفعم روحه !
وما للدمع يوشك أن يطفر من مقلتيه ! وما لصدره
يصطخب ببيكاء حبيس !

ما لكل هذا . . وأمانيه قد باتت ملء يده ، وغده

القريب سيحمله إلى دنياه الجديدة .. دنيا المستقبل الحافل ،
والآمال العريضة .

ما لكل هذا .. وقد حقق في يومه أجمل أحلامه ..
الأحلام التي لم يخطر له يبال قط أن تتعدى محيط الأحلام ،
الأحلام التي تعود أن يسعد بها في مرقد .. كلما طافت بذهنه .
ألأنها الليلة الأخيرة في مضجعه هذا .. الذي أحس فيه
بأعذب أحاسيسه ، ورأى أجمل أحلامه ؟

ألأنها ليلة الفرقة والبعد عن مرقد حملت إليه النساءم أنفاساً
عطرة تسرى من وراء الأسوار القريبة والجدران الدانية ؟
ألأن غده سيحمله بعيداً إلى حيث لا تصل إليه هبات
الأنفاس ؟

ألأن غده سيبعده عن كعبته بعد أن أصبح الطريق
إليها معيبدًا والطواف بها مستطاعاً ؟ !

ألأن غده سينأى به عن الروح وقد عادت ، والقلب
وقد ردّ ، والفؤاد وقد دنا ؟

أجل .. لقد أحس اليوم بعودة الروح وارتداد القلب ،
ودنو الفؤاد .. ورويداً رويداً أخذت الوحشة تزول ،
والكتابة تتبدد ، وهو يستعيد في ذهنه الذكريات القريبة
الحلوة التي حدثت له في فجر يومه هذا .

كان يشعر في بضعة الأيام الماضية التي تلت قبوله في المدرسة بحنين فياض إلى رؤيتها ، ورغبة جامحة في لقاءها ..
كان ما يزال يذكر قولها له إنه يجب أن يدخل المدرسة ..
ويذكر كذلك قولها إنها تود أن تراه .

وكما مضى يوم أحس بالرغبة تزداد والحنين يشتد ..
فقد كان يجد فرصة لقاءها تقل يوماً بعد يوم ، وكان دائم
الطواف بالسوية والحديقة والأسوار ، وهو الذي كان
يخشى الاقتراب منها فيما مضى .

كانت نفسه مليئة بالثقة .. وكان يشعر أن لقاءها في
هذه المرة سيكون أقرب إلى لقاء الأنداد .. وأن الهوة
العميقة التي كانت تفصل بينهما فيما مضى ، لم يعد لها
وجود الآن .

كان يود أن يلقاها مرة واحدة ليشكرها على الثقة التي
ملأت نفسه بها في اللقاء الأول .. وعلى هدمها لذلك السد
العالي المنيع الذي أقامته الأوهام بينهما ، والذي كان يبديه
وحيداً ذليلاً في أسفل القاع ، ويبديها مترفعة في أعلى القمة .
وأكثر من هذا كله .. كان يود أن يشكرها على ذلك الصنيع
الذي — وإن لم يدل عليه دليل — كان يراود نفسه إحساس
خفي بأنها صاحبة ، فقد كان قبوله بلا وساطة يكاد يكون

شيئاً مستحيلاً .. وكان يحس في قرارة نفسه أن الوساطة
المجهولة لابد وأن تكون هي .. رغم أنه لم يسألها شيئاً ..
ورغم أنها لم تعد بشيء .

ولم يزعجه في الواقع أن تكون صاحبة فضل عليه بعد
التطور الجديد الذى أصاب مشاعره ، وبعد الرقة التى عاملته
بها ، والإقبال الذى أبدته نحوه فأدنته به من نفسها .. لقد
تبدد من نفسه ذلك الشعور الذى دعاه لأن يرفض البنطلون
الذى أحسنت عليه به .. لأنه وأن كان يرفض الإحسان .. إلا
أنه لا يرفض العون ولا يستنكر المساعدة التى تقدم عن رغبة ..
والتي تبدو له دليلاً على التقدير أكثر مما هي مظهر للمذلة .
وبات أمسه وهى ملء أحلامه ، واستيقظ فى الفجر
وقد تزايد الحنين واشتد الشوق ، وغادر الدار والأهل نياماً ،
وخرج يخوض بين المزارع وهو يعلم أن اليوم هو فرصته
الآخيرة .

وكانت الشمس لم تبد فى الأفق بعد ، والضوء الرطب قد
تسرب فى الحقول ، وندى الخريف قد كسا الأوراق الخضراء ،
والكون كله قد بدا كأنه مازال يلفظ أهدأ أنفاسه قبل
تأوُّب اليقظة .

وقفز على القناة الضيقة التى تقع بين البيت والطريق .

وكان يرتدى قيصاً أبيض وبنطلوناً رمادياً ، وأخذ يضرب
بجذاته أطراف الحشائش المبتلة حتى وصل إلى الطريق فسار
على جانبه متمهلاً وقد وضع يديه في جيبي البنطلون .

ووصل إلى الباب الخلفي المؤدى للسوبة ودفعه ، ودلف
إلى الداخل وقد تبدد من نفسه كل بقايا الرهبة والخشية ،
وحيا الحارس الجالس على باب السوبة والذي رد على تحيته
بأحسن منها ، وهو يحس في قرارة نفسه أنه لا يحى ابن
الرئيس عبد الواحد فحسب ، بل يحى ضابطاً مقبلاً ، أو مشروع
ضابط .

ولفد على ، لفة حول السوبة وهو يضرب ببصره
في الطرق والممرات المحيطة عله يلمح لها شبحاً أو يبصر لها
طيفاً .. لكن الحقيقة كانت خلواً إلا من الزهور والأشجار .
وأخذ يبتعد رويداً رويداً عن السوبة سائراً في اتجاه
القصر ، حتى بدا له مدخله الفخم ذو الأعمدة الرخامية الضخمة .
وأحس أنها جرأة منه أن يقترب إلى هذا الحد . . ولم
يعرف كيف يمكن أن يتحدث إليها حتى لو أسعده الحظ
برؤيتها في هذه المنطقة القريبة من القصر ، والمعرضة للنوافذ
والشرفات .

وأخيراً أخذ يعود أدراجه . . مستحمقاً نفسه على

مغامرته ، وعلى توهمه أنها يمكن أن تستيقظ مثله في هذه الساعة المبكرة .

إذا كان الشوق قد دفعه إلى الإنطلاق في الفجر جرياً وراء طيفها ، فماذا يمكن أن يدفعها هي ؟

وغادر الباب الخلفي ، وأخذ يسير بجوار التربة الرئيسية وقد صوب بصره نحو المياه المتدفقة التي عكر صفوها طمى الفيضان ، وأحس بنوع من اليأس يتملكه لأن الفرصة الأخيرة توشك أن تفلت دون أن يتزود منها بنظرة أو يلتقي إليها بكلمة وداع قصيرة ، وانحدر من الطريق إلى حافة التربة ، واستقر على الحشائش التي تكسوها ، وتطلع بصره إلى جدران القصر البادية من وراء الأسوار .

وبلغت مسامعه أصوات حوافر دابة تطرق أرض الطريق طرقات منتظمة ، وظنها دابة عابرة تنقل أحد محاصيل الأرض ، ولكن الطرقات توقفت وساد السكون برهة ثم علا صوت رقيق يهتف :
— على .

ودون أن ينظر إلى مصدر الصوت أصابته رجفة . .
وأحس بدقات قلبه تتزايد بسرعة مخيفة ، وحاول جهده أن يتمالك روعه ، وأن يصلب نفسه لمقاومة وقع المفاجأة ،

واستدار لبواجه الوجه الرقيق والبسمة الحلوة ، وقد استقرت صاحبتهما على ظهر جوادها الهادى ، الأشهب الذى أخذ يمد عنقه إلى الأمام جاذباً من يدها العنان كأنما يود الهبوط إلى حافة التريعة .

وقبل أن ينهض ، على ، ويتقدم لملاقاتها ، كان الجواد قد انحدر بها إلى أسفل ، وفى غمضة عين قفزت عن ظهر الجواد فاستقرت واقفة بجواره ، ومدت يدها بحية . وقد أمسكت عنان الجواد بيسراها .

وقالت وهى تهز يده فى حرارة :

— مبروك يا على .

— الله يبارك فىك .. كيف عرفت ؟

— سمعت إبراهيم أفندى يتحدث مع إدريس .. وكنت أود أن أهنتك قبل هذا ولكنك لم تتح لى الفرصة ، فإنك فيما يبدو تصر على عدم الحضور إلى الحديقة .

— لقد حضرت ما يزيد على العشر مرات دون أن أجد لك أثراً .

— متى حضرت ؟

— أمس .. وأول أمس .. وقبل أول أمس .. ومنذ

لحظة ذهبت حتى أبواب القصر .

— عجباً !! إن سوء الحظ قد تدخل في عدم اللقاء ..
لا بد أنك كنت تحضر عند ما أكون في داخل الدار .. أو
في القاهرة ، كان يجب أن نتفق على موعد .

— الحمد لله أن أتاحت لنا الصدف لقاء على غير موعد ،
لشد ما كنت أخشى أن تضيع الفرصة الأخيرة في لقائك .
— الأخيرة .. كيف ؟

— سأذهب غداً إلى المدرسة ، وكنت أكره أن أسافر
دون أن أشكرك .

— تشكرني .. علام ؟

— على أشياء كثيرة محسوسة ، وملبوسة .. وإن كنت
أجد الشكر أعجز وأضال من أن يوازن ما فعلت .

— لست أفهم !

— أما المحسوس فقد فعلته بلقائك السابق .. وبرقتك
ودعوتك لي إلى الركوب .

— ولكن كان يجب أن أدعوك إلى الركوب .

— لست أعني مجرد الدعوة بشكلها المادي .. رغم أنها
لا شك عمل يستحق الشكر .. ولكن ما أراحت به نفسي
وهدأت به مشاعري أكثر كثيراً مما أراحت به جسدي ..
ولست أدري أمن اللائق أن أفصح عن أشياء خافية فعلتها

بنفسى . . وهل إذا أفصحت أحسن الشرح والتعبير . .
أم من الخير أن يظل ما بى منظوياً بين جوانحي ؟

وجذبت . . أنجى ، الجواد وتقدمت إلى ناحية من حافة
الترعة قامت بها بعض أعواد الغاب تحجبها عن الطريق ، وقالت
وهى تستقر على الحشائش بجوار الغاب وتفلت عنان الجواد
ليرعى بجوارها :

— أنجلس قليلاً . . أم لديك ما يشغلك ؟
— أبداً ليس لدى شئ . . لقد خرجت لالقاءك
وأتحدث إليك .

وخيمت عليهما سحابة صمت أصابتها كليهما بالارتباك ،
وحاول كلاهما أن يتمالك نفسه ، وقالت وهى تحاول تبديد
الصمت :

— ماذا كنت تقول ؟
— كنت أقول إننى وددت أن أشكرك على ما فعلته
بنفسى . . مما قد لا تدركين مداه ، وبما يحتمل أن تكونى
فعلته عن غير قصد منك . . ولكن إذا عرفت أنك جذبت
إنساناً كان يأبى إلا أن يلتقى بنفسه فى هاوية من الضياع
والإحساس بالتضاؤل . . وإنك قد جعلت من أمانيه التى
أقيمت فى أحلام ضائعة وشيدت على أوهام متبددة ، أمانى
حية يمكن أن يراها فى صحوه ويحس بها فى واقعه . . وإنه

لم يعد هائماً ولا ضالاً ، بل إنساناً يسعى والثقة تملأ نفسه ،
بأن ما يرجوه ويأمل فيه يمكن أن يبلغه ويطبق عليه بيده ،
أفهمت ؟

وران الصمت . . وأحس بأنه يسمع صوت أنفاسها
متلاحقة ، وخيل إليه أن أنفاسه قد باتت هي الأخرى تلاحق
أنفاسها . . وكأن كليهما يعدوان في سباق .
وقالت فيما يشبه الهمس :

— أكاد أفهم ، ولو كنت أعلم ... لفعلت ما فعلت من
زمن مضى . . . ولكنى لم أكن أعرف ، كنت أراك متباعداً
مترفعاً ، ولم أكن أفهم شيئاً .
— لم تكن هناك وسيلة ، ولم يكن يخطر لى ببال أنى
بمستطيع بلوغك إلا فى الأحلام .

وساد الصمت مرة أخرى وعاد هو يقطعه بقوله :
— هذا هو الشيء المحسوس الذى فعلته بى . . وهو
لا يقدر بشكر ولا يستطاع رده . . لأنه أكبر من أن يرد ،
أما الشيء الملموس ، فإنى أشكرك . . لا لنتائجه ، بل لمجرد
أنك ذكرتنى به . . وفعلته من أجلى .

— لست أفهم ما تقصد ؟

— قبولى فى المدرسة .

وعلا الاحمرار وجهها وتساءلت وهى تطرق برأسها
فى الأرض ، وتعبث بعصاها فى الحشائش :

— من قال لك ؟

— لم يقل لى أحد .. ولكنى أستطيع أن أستنتج ..
لقد قبلت دون أن أعرف لى وساطة فى القبول ، وأحسن
أنك كنت وساطتى .. أو على الأقل أتمنى هذا .

— أحقاً تمنى هذا .. كنت أخشى أن تعلم فتغضب
وترفض مساعدتى ، كما رفضتها من قبل .
وضحك قائلاً :

— تقصدين البنطلون ؟

— أجل .

— إنى جد آسف على رفضه ، ولكن كان بى إحساس
من فقدان الثقة الذى حدثك عنه ، وكنت أكره منك
الإحسان لأنى لم أكن أود أن أضحك منى موضع المحسن
المتفضل .. أما الآن ...

وأطرق برأسه قليلاً ثم تشاغل بالعبث فى الماء بعود
من الغاب وهمست : أنجى ، متسائلة :
— أما الآن ؟

وعاد يردد وهو يحدق فى الماء كأنما يحدث نفسه :

— أما الآن ، فكل مظهر من مظاهر اهتمامك بي يملأني
نشوة ، ويحملني من السعادة ما أكاد أنوء به .. إني حقاً
لا أعرف كيف أشكرك .

— دعك من كلمة أشكرك .. لا أظن أحداً منا يعاون
الآخر وفي ذهنه أى انتظار لكلمة الشكر .. وإذا كنت
قد حملتك بما فعلت سعادة ونشوة .. فقد حملت نفسي مثلاً ،
عند ما أحسست أنى سببت لك نوعاً من السعادة .
ونظرت إلى ساعة فى معصمها ثم نهضت قائلة :

— لقد آن لى أن أعود ، إن د علاء ، لاشك قد وصل
إلى البيت ، لقد سار هو عبر المزارع ، وسرت أنا بجوار
الترعة على الطريق .. إن إلهاماً فى داخلنا يدفعنا أحياناً
إلى الطريق الصحيح الذى يجب أن نسلكه .. ولو لم أسر
بجوار الترعة لما التقينا .

ونهض د على ، ووقف بجوارها وقد أمسكت بعنان
حصانها وتذكر حديث صديقه سليمان ، عن الحوادث التافهة
التي يمكن أن تقع أو لا تقع ، فإذا ما وقعت غير وقوعها
بجرى حياتنا ، وقال وهو ما زال يعيث بعود الغاب فى الماء :
— لست أدري كيف يمكن أن تتعلق مصائرنا هكذا
بحوادث كان من الممكن ألا تحدث .. فتقلب مصائرنا رأساً

على عقب ؟ . إني لا أستطيع أن أتصور كيف كان يمكن
أن تكون حياتي لو خلت من هذه اللحظة التي مررت على
فيها بعربتك .. أو لو خلت من اللحظة التي دفعتك إلى المرور
بي الآن ؟ عند ما أفكر في مصيري بغير تلك اللحظات أحس
برجفة .. ثم أحمد الله الذي لم يسقطهما من سجل حياتي ..
وأمتعني بهما وبما أعقبهما من نتائج جعلت مني ما أنا عليه .
إني أحمد الله .. وأحمدك ، رغم أنك لا ترضين حمداً
ولا شكراً .

وسحبت حصانها على منحدر التربة حتى بلغت الطريق ،
ثم سارت تجاه القصر و .. على ، بجوارهما .

وأحس كلاهما بقرب الفارقة ، وبدا لهما أن هناك الكثير
 مما يودان قوله والكنهما لم يقول شيئاً .. وخيل إلى كل منهما
أن ما بنفسه بنفس الآخر .. وأن انعكاس المشاعر في
باطنهما قد جعل التفاهم مستطاعاً بلا حاجة إلى إفصاح !

وقالت متسائلة تقطع جبل الصمت :

— متى تنوى الرحيل ؟

— غداً صباحاً !

— ومتى تنوى العودة ؟

— أظن بعد شهرين .. فالطالبة الجدد كما سمعت لا يخرجون

إلا بعد تمضية مدة المستجدين ، وبعد أن يتعلموا التحية .
ونظرت إليه وقالت ضاحكة :
— ستتعلم كيف تضرب كعبيك أحدهما في الآخر كما
يفعل الجنود ؟

— ولم لا ؟ ! لست أجد في ذلك أمراً عسيراً .
— وددت لو أراك في المدرسة .
— لا أظنك سترين ما يسرك .. فستجدينى حليق
الرأس ، خشن الثياب ، قبيح المنظر .
— لا .. لا .. إني واثقة أنك ستكون وجهاً في ثيابك
العسكرية ، في الجاكتة السكّلية والبنطلون ذى الشريط
الأحمر .

— هذه ثياب لا يرتدونها إلا خارج المدرسة .
— وماذا إذن يرتدون في الداخل ؟
— ثياب كأكية شبيهة بثياب الجنود حتى تحتل الأعمال
الشاقة من طوابير المشاة ، وضرب النار ، وركوب الخيل .
— ستركب خيلاً ؟
— أظن ذلك .

— إذن فستركب سوياً عند ما تعود في كل عطلة ..
سأجعلهم يعدون جواداً ثالثاً لكي تخرج للركوب معنا في

المزارع . . أليس كذلك ؟ ! إننا سنراك طبعاً عند عودتك
في كل عطلة .

وأطرق ، على ، ولم يدر بماذا يجيبها . . إنه سيحبها خلال
هذين الشهرين بأمل واحد هو أن يعود ليراها . . ولكن
كيف يراها . . ألا تعرف أن تلك هي المشكلة الكبرى ؟
إن عطلته لن تكون أكثر من يوم ونصف ، ورؤيتها
تحتاج إلى أن يتجول أسبوعاً في الحديقة حتى يتكرم الحظ
بتدبير لقاء . . خارجها ! !

وطال صمته فسأله في دهشة :

— لماذا لا تجيب . . ألا تنوى أن نلتقي ؟

— إن هذا أحب الأمنيات إلى نفسي . . ولكنني
لا أعرف كيف نلتقي . . لقد مضيت أسبوعاً أحاول أن
ألقاك فلم أفجح في ذلك إلا الآن . . ومحض صدفة ؟
— إذن لنلتق منذ الآن .

— في أول أسبوع أعود من المدرسة سأجلس في
انتظارك في دروة المشتل التي أوقفت عندها الترولى . .
أتذكرينها ؟

— بالطبع أذكرها .

وكانا قد بلغا باب الحديقة الخلفي واجتازاه ، وتباطأ

الاثنان فى سيرهما ، وقال د على ، فى صوت خافت :
— أظن من الخير أن أعود ؟

ومدت د أنجى ، يدها ، فتناولها د على ، فى يده مترفقاً ،
وأحس برجفة تسرى فى كيانه ، وضغط كلاهما يد الآخر
وأفصحت اليدان عن الكثير مما لم يستطيعا قوله ، ثم قطفت
هى وردة من حوض ملىء بالورود وأعطتها له .
وهمس هو :

— أشكرك .. على كل شىء .. أشكرك على ما فعلته أنت ..
وعلى ما ستفعله بى ذكراك فى وحدتى . . وما سيؤنسنى به
طيفك فى وحشتى .. أنا لا أحس بألم الفارقة لأنه لا يستطيع
نزحك منى مجرد تباعد مادى .. أنت فى ذهنى .. وفى قلبى ..
وفى دى .

وأطبق على الوردة وغادر المكان . . وكأنه يهيم بين
السحب ولا يمشى على الأرض .

ذلك كان زاده من الذكرى يجترها فى مضجعه ، ومد
يماه تحت الوسادة فأطبق على الوردة ووضعها على شفتيه ،
ثم مد يسراه فتحسس رأس أخيه الراقد فى سباته ، وتملكه
حنين إليه ، هذه آخر ليلة يرقد بجواره ، وهو الذى لم
يفترق عنه ليلة واحدة .. لقد كان د حسين ، يحب دائماً أن يقبل

أخاه ويحتضنه ، وكان «على» ينفر من مظاهر الحنان والعطف
ولكنه في تلك اللحظة لم يستطع أن يقاوم حنيناً جارفاً
يدفعه إلى أن يضم أخاه إليه ويقبله . إنه يحبه ويحس بلوعة
لفراقه .



احساس بالظلم



مرت الأيام الأولى لعلی فی المدرسة الحریة دون أن یشعر کیف مرت ، فقد كانت المشاغل تأخذ بخناقہ فلا تعطیہ فرصة لتفـکیر أو شرود . . وكان یبدو کالدائر فی دوامة لا تتوقف ولا تنی ، یسلمه صبحه إلى ليله ، وليله إلى صبحه ، بلا وعی ولا إدراک . . فهو من ليله فی غیوبة نوم لا تجد الأحلام خلالها منفذاً إلى جسده المنهک المجهود المسجی کالقتیل ، وهو من یومه فی غیوبة عمل لا تجد الأفكار خلالها منفذاً إلى ذهنه . . المأخوذ المشدود ، المتبدد هباء ، الطائر شعاعا .

وهكذا وجد نفسه ، وقد أکره حتی على الفرقة الذهنیة فلم تجبره المدرسة على البعد عن « أنجی » بجسده فحسب . . بل أجبرته على البعد بأفکاره ، فقد سلبه الجهد فرصة التفـکیر والقدرة علیه . . وبات لا یملک لآلهته التي كان یقضي الیالی والساعات فی الطواف بذهنه حول کعبتها . . إلهنیات خاطفة یسترقها ما بین رقدة جسده وإغفاء ذهنه عند ما یلقی بنفسه فی إعیاء على الفراش الضیق البکامن فی رکن عنبر « الصنف الرابع » بعد عودته من الحمام . . وهو یعدو فی الطرقة خشية أن تمسک بتلابیبه نوبة رجوع قبل أن یعود إلى العنبر .

كان يرقد في الفراش ساحباً الملاءة على وجهه ، واضعاً
يمينه تحت الوسادة العليا ، وحركة الطلبة قد بدأت تخف ،
وضجة العنبر قد أخذت تهدأ ، ونوبتجى الصنف قد وقف
بالبيجامة والطربوش والشيشب اللباد ، وقد أخذ يسترجع
في ذهنه التمام ، الذى سيلقيه على الضابط النوبتجى الذى يمر
على العنبر بعد نوبة نوم مع الجاويش النوبتجى : « تمام يافندم
عشر بنادق وعشر سناكى واثنين سيف وبندقية مورييس ،
وبغمض ، على ، عينيه على آخر ما يراه من يومه الحافل ..
حرف الدولاب ، والنوبتجى المصلوب القامة ، وجزء من
السلاحيك صفت عليه البنادق .. وتصل إلى أذنيه نوبة نوم
طويلة هادئة ، وتخرج من صدره أول تهيدة راحة يستطيع
التنفيس بها عن صدره المطبق المتوتر ، ويمد جسده ثم يتركه
مسترخياً ، وهو يحس أنها الفرصة الوحيدة ، فى خلال ستة
عشرة ساعة مضت ، التى ينتهى فيها لجسده استقرار على ظاهر
الأرض .

ويبدأ ذهنه طوافه حول كعبته .. وتلوح له ربة السكبة
سارية بطيفها الرقيق ، ثم يعجز ذهنه عن متابعة الطواف
وتعجز الذاكرة عن اجترار التفاصيل ، وتنهال كل مقاومة
أمام سلطان النوم ، الذى يحتم فى ثقلى على الجسد المنهك
والذهن المكدود .

وفي الصباح يهب العنبر في صحوة عنيفة .. كأن نافخ البورى
في نوبة صحيان ، لا يصدر منه ألحان موقظة ، بل يصدر منه
عواصف وأعاصير تعصف بكل ساكن ، وتثير كل راقد .

ويبدأ الاندفاع مع بقية الريش .. في مهب العاصفة ..
عاصفة الصحيان ، بالوقوف في صف أمام الأومباشى حكامدار
العنبر ، ويتبادل كل منهم سرد جملة لم يكن يدرى معناها ،
ولا الغرض منها وهى : « تمام يافندم مستجد » ، ثم يبدأ ترتيب
الفراش والحلاقة والتشطيف واللبس وسلسلة التفتيشات التى
تنتهى إلى الطابور ، أو زفة الطبول .

ولم تكن لديه أية دراية سابقة بالحياة العسكرية ..
ولكن صفات الصبر ، والجلد ، والطاعة ، والنظام ، المغروسة
في خلقه ، والأمل الجميل المطوى في نفسه ، والذي يدفعه إلى
الرغبة فى أن يكون فى المقدمة ، وكذلك رغبته فى رفع
عبء المصروفات عن أبيه ، والتمتع بميزة المجانية التى تمنح
للمتقدمين .. وفوق كل هذا خشية الزجر ، وكره العقاب
والتأنيب ، المتأصل فى نفسه ، كل ذلك كان يدفعه إلى أن يبذل
أقصى جهده كي يكون طالباً ممتازاً .. ومع ذلك ، فلشدهما كان
يخذله ألا يجد أثراً لكل تلك الجهود الشاقة التى كان يبذلها
وأن يجد نفسه مغموراً لأفضل له ولا ميزة .

كان يسمع صف الضباط ، أى الطلبة الرؤساء ، يختصون
بعض الطلبة بالمدح العلنى فى الميس عقب تناول الطعام أو
فى الطوابير أو فى الفصل ، ويقولون إن هؤلاء يجب أن
يقتدى بهم بقية الطلبة ، ثم يأخذون فى سرد مزاياهم التى
لا يجد نفسه خلواً من إحداها ، ومع ذلك لا يعرفه أحد
ولا يذكره أحد .

وانتهت أيام المستجدين ، وهو فى شبه معزل عن الدنيا
والناس ، لا يكاد يكلم أحداً إلا صديقه «سليمان» الذى كان يخلو
وإياه فى المدرج الخشبي المشرف على ملعب الكرة فى أيام
الجمع عندما يشغل بقية الطلبة بالزيارات ، ويجلس الاثنان
وحيدين فيسرد كل منهما لصاحبه همومه وينفس عن كربته .
وقد قرب الإحساس بالوحدة والغربة بين «الصديقين» ،
وزاد من أواصر الصداقة بينهما .. وكان «سليمان» مخلوقاً
هادئاً رزيناً ، فأحس «على» بالثقة فيه ، ووجد نفسه يفضى
إليه بدخيلة قلبه ، وكشف له عن خبيثة صدره رغم ميله إلى
الكتمان وقدرته على الكبت .

وبادله «سليمان» إفضاءً بإفضاء ، وكشفاً بكشف ، ولكن
صدر «سليمان» لم يكن يطوى ولهاً ولا حياءً ، بل مرارة وضييقاً
سببه إحساسه بشعور أعم من شعور «على» ،

شعور غريزي نمته الدراسة بوطنه وبقيد الاستعمار الذي
يكبل بأغلاله يديه ، وبشبح المحتل الذي يحتم على أنفاسه ،
والسوس الأجنبي الذي ينخر في عظامه ويفت من عضده .
كان سليمان يجلس إلى د على ، الساعات الطوال أسفل
شجرة الكافور على حشائش ملعب الكرة بجوار المدرج ،
أو على دكة خشبية قريبة من حجرة الحلاق الكائنة بجوار
الباب الخافي المدرسة ، حيث كانا يستطيعان الحصول على
«الطعمية» التي كان يقوم بتهيئها «زكي» صبي الغسال من كاتين
السوارى إلى طلبة المدرسة .

وكان سليمان يسترسل في حديث طويل عن الاحتلال
وعن ثورة عام ١٩١٩ ، وعن سعد زغلول ، وعن مراوغة
الإنجليز ، وعن الفرقة التي يشيعونها بين أبناء مصر ، وعن
صدقي والدستور المعطل والجهاد في سبيل إعادة الدستور ،
وكان يهمس له أحياناً أن الإنجليز يعتمدون على القصر في
قضاء مآربهم ، وأن الملك لا يحس بمشاعر شعبه .

كان يحدثه في أشياء كثيرة بحماس شديد لم يكن د على ،
يحس منه شيئاً ، وكان يشر د بذهنه في كثير من الأحيان ثم
يوافق مستسلماً عندما يقول له : لابد من حدوث رجة عنيفة
في هذا البلد لكي ينال الشعب مطالبه .

وكان «علي» يدهش من أحاديث «سليمان» .. ومن
انشغاله بمصر ومتاعها وأحزانها .. وكان يعتقد في قرارة
نفسه أنه مبالغ في تصوراته وأحاسيسه ، وأن المسألة لا تستحق
منه كل هذا الضيق والسخط ، وأن ما يضيق به من أعمال
الحكام إن هو إلا شيء طبيعي لا يمكن أن يحدث غيره .

وكان «علي» يعجب بكل ما في صاحبه من صفات
وتصرفات ، عدا ذلك الحماس الذي يبطنه نحو وطنه ، والضيق
الذي يخفيه نحو الاحتلال ، وسوء الحكم ، والذي كان «علي»
يعتبره من نواحي ضعفه وما أخذه ، تماماً كما كان يعتبر سليمان
حب «علي» المستولى على لبه ، المستعمر في جوانحه ، الذي
يتركه هائماً حالماً غير شاعر بآلام وطنه أو عابي بمتاعبه .

ولم يمنع خلاف الرأي هذا من اشتداد أواصر الصداقة
بين الصاحبين ، ولم يمنع أحدهما من الاسترسال في الإفصاح
عن أفكاره وأحاسيسه ، ولا منع الآخر من الإنصات إليه
وإراحته بالموافقة والنسليم .

وأخيراً قرب موعد الخروج ، وانتهى تعليم السلام
بالعصا وبغير عصا ، وانتهى التريزية من تقييف بدل الفسحة ،
وتسلها الكواء لإعدادها ليوم الخروج .. وبات «علي» ليلة
الخميس وهو يشعر بالسعادة تتسرب إلى نفسه وتملأ جراحه ،

وقد تكأ كأت الأحلام الذهبية على رأسه حتى استطاعت
أن تقاوم سلطان النوم العاتى .. وتتركه فى يقظة حتى تسمع
أذناه الدقات العشر التى يدقها جرس القره قول .

واستطاع فى نصف الساعة التى قضاه فى فراشه يقظاً
ما بين سماعه نوبة نوم فى التاسعة والنصف وسماعه الدقات
العشر التى تؤذن بالساعة العاشرة ، أن يرى بذهنه
أجمل الصور والأوهام ، وأن يحقق أعذب الأمانى ، فرآها
بثياب الركوب تجلس فى أنيقة على جوادها وهو يسير بجوارها
على جواده .. ثم أبصرها مرة أخرى بجواره فى العربة وقد
ارتدى حلتة الرسمية ، وانسابت بهما العربة فى نخامة وروعة
والجنود تحييه .. ومرة ثالثة وجدها بجواره على شاطئ
الترعة وراء كومة الغاب وقد أمسك بيدها الرقيقة بين يديه
والتقت عيناهما فى شوق ولهفة .

ويضيق سلطان النوم بمقاومته وأفكاره ، ويضيق جسده
المتعب من الطوابير ، والعدو والقفز ، والسباحة ، والملاكمة ،
والشيش ، وبقية أنواع الإرهاق والمشقة التى تفرض عليه
فرضاً فوق الطاقة ، فيتعاون النوم المطرود والجسد المنهك
على وقف الذهن الجائل الصائل ، ولا تكاد تنتهى الدقة العاشرة
حتى يروح فى سبات عميق لا يفيقه منه غير النوبة العاصفة .

وينهض في نشاط وفرحة ويتقف في طابور التمام . ولأول مرة تتغير الجملة المذكورة فينقص منها لفظاً ، وتبادل على السنة الطلبة المصطفين : « تمام يا فندم ، بلا كلمة مستجد ، فلقد زالت عنهم صفة المستجدين منذ اليوم .

ويرتدى ملابسه بسرعة ثم يذهب إلى السلاح ليأخذ بندقيته ، حيث نبه عليهم الحكمدار أمس أن طابور الصباح بالسلاح .

تناول البندقية نمرة ٧٩ التي فرضت رقها عليه وعلى ملابسه حتى أضحت أقرب إليه من اسمه . ولم يكن بينه وبين البندقية المذكورة كثير ود ، فلقد تسببت له منذ أن دخلت في حوزته أو دخل في حوزتها في عدة جزاءات .

كان أول تلك الجزاءات هو طابور زيادة أعطاه له الباشجاو يش لأنه رآه وقد رفع فوهتها إلى أعلى محاولاً التنشين ، فأفهمه أن حمل البندقية في وضع التنشين خطأ ثم « لطفه ، طابور زيادة .

وتوالت عليه الجزاءات بعد ذلك كلما خرج بالبندقية إلى أحد الطوابير ، وتعرضت البندقية للتفتيش في « لبس ثاني ، حيث كان يقوم جاو يش الصنفين أو باشجاو يش المدرسة بالتفتيش على الملابس والأسلحة التفتيش النهائي قبل الطابور ،

أوكلما تعرضت لأى تفتيش آخر لأسلحة البلاتون أو المدرسة .
وكان يعلم أنه يبذل أقصى جهده فى نظافتها ، وأنه كان أكثر
الطلبة استعمالاً لحبل التنظيف الذى كان يمرره فى ماسورتها
مكرراً التنظيف المرة تلو المرة . بل لقد استعمل بضع مرات
سلك التنظيف رغم أنه لم تكن قد صدرت لهم الأوامر
باستعماله ، ورغم أنه لم يكن يستعمل إلا بعد ضرب النار .
ولكن الذنب لم يكن ذنبه بل كان ذنب الماسورة اللعينة ،
فقد كانت بطبيعتها قذرة أو كان بها ما يسمونه وساخة معدنية ،
فكانت تبدو معتمة مهما حاول تنظيفها .

وأقبل فى هذا الصباح يوسع البندقية تنظيفاً ، فقد كان يخشى
أن يقع تحت طائلة جزاء يعطل خروجه ، ويحرمه من لقاء
كان يحلم به طيلة الشهرين الماضيين .

ووقف فى « لبس ثانى ، فى الطابور بجوار بقية طلبة
البلاتون ، ورفع بندقية للأمام مائلة فى وضع التفتيش بعد أن
نادى حاكم الطابور : « للتفتيش ميلا سلاح . تفتيش سلاح ،
وفتح الترباس ثم وضع ظفر إبهامه مقاطعاً لأسفل
الماسورة ، حتى ينعكس عليها الضوء لكي يستطيع الناظر من
أعلى الماسورة أن يفحص داخلها . وأقبل الباشجاو يش
يفحص البنادق الواحدة بعد الأخرى بعين الرضا حتى وصل

إلى بندقيته ، فخدق في ماسورتها بإحدى عينيهِ مغمضاً العين الأخرى . ثم بدت الدهشة الممزوجة بالآسى وأخذ « يقطع » بشفتيه أسفاً ثم قال :

— هذه بندقية بها عناكب .. الظاهر أنك لم تمديدك إليها .
وقبل أن ينبس « على » ، بينت شفة أصدر حكمه ووقع عقوبته قائلاً في غضب :

— تفتيش سفرى .

ثم تجاوزه إلى غيره .

وأحس « على » بغصة في حلقة ، فقد كان في هذا الجزاء تأخير لا شك فيه عن موعد الخروج .

وانتهت الطواير والدراسة وانطلق الطلبة إلى عنابر النوم يعدون أنفسهم للخروج ، ولاحت البنطلونات ذات الأشرطة الحمراء في الطرق والعنابر والفناء رائحة غادية ، وعلى أصحابها سيما الفرح والنشوة ، وبدت المدرسة في تلك الساعة وفي كل ساعة مماثلة من كل خميس ، وقد سرت في أرجائها رنة طرب ، وعلا هنا وهناك صوت شاد يغنى أو صافر يترنم .
كان « على » وحده الذى يحس بضيق في جوانحه . وكان قد انهمك في تلميع نحاس « البل » ، وشنطة الجراية والجربندية ، ثم أخذ يخرج ملابسه من الدولاب ليرصها في الجربندية التى سيشدها إلى ظهره لى يقوم بالتفتيش السفرى الكامل .

وكان سليمان قد انتهى من ارتداء ملابس الفسحة ، وأقبل عليه يساعده في تنظيف البندقية وتليع الأزرار .

وقال سليمان محاولاً أن يسرى عن « على » ، وقد أحس بما يعمل في نفسه من ضيق وحزن :

— إفرد وجهك يا أخى ولا تكتئب .. كانوا يقولون

لنا ونحن أطفال .. علاقة نفوت ولاحد يموت . واليوم نقول

تفتيش نفوت ولاحد يموت . سينتهى التفتيش حالا . وستلحق

ببقية الطلبة فى الخروج . وسأمكنك أنامعك حتى نخرج سوياً .

— وما الداعى لبقائك أنت .. وما ذنبك تبقى حتى الرابعة ؟

— ولكنك لن تبقى حتى الرابعة .. إنك تستطيع أن

تفنى الآن .

— لا .. لقد أرسل لنا الشاويش « حسين » يقول إنه

سيقوم بالتفتيش على المذنبين فى الساعة الرابعة .

— وما السبب ؟

— يدعى أنه يريد أن يعطيهم فرصة تامة لكي يشدوا

الشدة السفرية على أكمل وجه لأنه لن يتسامح فى أى خطأ .

— يا للسخافة .. لم أر أثقل من هذا الجاويش .. ولست

أدرى ما سبب تلك العجرفة التى يظهرها للطلبة . بودى لو

ضربته قلبين وسط الطابور .. ولكن ما دخله هو بالتفتيش ؟

— إنه شاويش المذنبين ، وهو فى الوقت نفسه الشاويش

النوبتجى . ولن يخرج هذا الأسبوع بالطبع ، فليس هناك ما يدعو له للعجلة .

وفي الساعة الرابعة وقف دعلى ، للتفتيش أمام الجاويش حسين ، وكان أحمر الوجه ، نافس الجسد ، أشبه بالديكة منه بالآدميين .

ولم يكن لدى الجاويش — كما توقع على — ما يدعو له للعجلة ، فبدأ يجرى التفتيش وكأنه يقوم بعملية مسلية لا يريد الانتهاء منها ، ففك الشدة وأخذ يفحص الملابس التي بالجر بندقية قطعة قطعة ، ويتمم على كل محتوياتها . وسأل علياً عن مسافة الزرايرو عن فرشاة البوية وفرشة الجوخ وعن بقية التفاهات الأخرى من محتويات الجر بندقية .

ومر التفتيش بسلام ، ولم يستطع الجاويش الأحمر أن يجد فيه هنة يؤاخذ عليها دعلى ، حتى أمسك بالبندقية فأمسك دعلى ، قلبه ولكنه تنفس الصعداء عندما فحص ماسورتها ولم يبد عليها ملاحظة .

وأخيراً .. وبعد أن انتهى التفتيش أو كاد . أمسك الجاويش بالبندقية ثم قلبها وفتح الفتحة النحاسية التي في أسفل الطبان ، وهز البندقية كأنما يحاول أن يسقط منها شيئاً ثم دفع بسبابته في داخلها وقال وفي صوته رنة انتصار ، كأنما قد أوقع علياً في الشرك :

— أين المزيّنة وحبل التنظيف ؟
وقال : على ، وقد بدت عليه دهشة من فرحة الشاويش
بإيقاعه :

— في الدولار .
وصاح به الشاويش ناهراً :
— في الدولار ؟ .. وماذا تصنع في الدولار يا شاطر ؟
— تركتها هناك .
وقال الجاويش ساخراً :

— في المرة القادمة لا تتركها هناك .. عندما يخرج
الجندي بالشدة السفرية ، لابد أن يضع المزيّنة وحبل التنظيف
في الطبان . إن نظافة البندقية أهم من نظافة أجسادنا .. لماذا
تذكرت أن تضع لنفسك قطعة صابون وغيار في الجر بندقية ،
ونسيت البندقية .. ما قيمتك في الميدان بغير بندقية ؟

ثم صمت برهة وألقى عقوبته الرهيبة في صوت متدد :
— حبس خميس .. يجب عليك أن تقضى الليلة في
المدرسة ، حتى تعرف كيف تشد الشدة السفرية مضبوطة ..
مفهوم ؟

وأجاب : على ، وهو يبذل جهده في ضبط أعصابه
وكبت غضبه :

— مفهوم يا قندم .

وربط الشدة وحمل البندقية ، وسار في خطوات عسكرية منتظمة حتى بلغ دولابه ، ففك الشدة ووضع البندقية على السلاحليك . ثم جلس على فراشه وأحس برغبة شديدة في البكاء .

وفي هدوء استلقى على الفراش ووضع رأسه أسفل المخدة ، ثم ترك عبراته تنساب في صمت . لقد كان هذا هو السبيل الوحيد للتنفيس عن ضيقه وكربه .

وعندما انتهى من البكاء أحس بشيء من الخجل وأسرع بمسح عينيه خشية أن يكشف أحد بكاءه .

واندفع يؤنب نفسه على ضعفها .. علام كل هذا ؟ ..
لأنه لم يخرج اليوم ؟ ماذا في ذلك ؟ .. إنه سيخرج غداً ..
وإن غداً لناظره قريب .. وحتى إذا لم يخرج في الغد ..
فسيخرج الأسبوع القادم .. إنه يستطيع أن يصبر أسبوعاً
آخر كما استطاع أن يصبر طيلة المدة السابقة .. إنه قد أضحي
رجلاً .. ويجب ألا يضيق بمثل هذه العقوبات التافهة ..
عيب عليه أن يبكي لأنه حبس خميساً .

وحاول جهده أن يزيل ضيقه بمثل هذه الاعتذارات ،
ولكنه أحس أن الضيق مازال يحثم على قلبه .. لقد كانت

العلّة أعمق من هذا .. إنه لم يضق بالعقوبة في حد ذاتها ..
ولكنه ضاق بإحساسه بالظلم .. إنه لم يفعل شيئاً يستحق
عليه العقاب .. وهو قد بذل أقصى ما في جهده لكي يؤدي
واجبه .. ومع ذلك فقد أوقع به الجزام .. دون أن يفكر
أحد في أنه مظلوم .. وكان الجاويش ينظر إليه نظراته إلى
عدو يجب أن يقهره .. أو إلى عبد يجب أن يمارس فيه
سلطانه .

كان هذا مبعث ضيقه .. أو على الأصح بعض مبعث
ضيقه .. أما البعض الآخر ، أو البعض الأهم - فهو إحساسه -
أن فرصة اللقاء توشك أن تفلت منه .. أو هي أفلتت فعلاً ..
فهو لن يخرج في الغد قبل الثامنة .. ولن يصل إلى بيته قبل
التاسعة .. وموعد اللقاء المتفق عليه قبل الشروق .

أجل .. قبل الشروق في دروة المشتل .. لقد اتفقا آخر
مرة على هذا .. ولكن أتراها ما زالت تذكر ؟ أتراها تفكر
فيه بعض ما يفكر فيها ؟ أما زالت تنتظر مواعده ؟ ولكن
من أدراها أنه سيخرج هذا الأسبوع .. أم تراها تذهب
إلى الموعد في فجر كل جمعة منذ خروجه ؟

عجيباً له ! ! لقد كان فيما مضى لا يرجو سوى لقاء في
الاحلام ، واليوم يطلب منها أن تنتظره كل فجر حتى يعود .

عودة وسؤال



في الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة كان «على» يهبط من القطار ويجتاز مزلقان المحطة متجهاً إلى البيت .

كان منظره في حلته الرسمية نموذجاً للأناقة والوسامة ، ينطلونه ذى الشريط الأحمر المثبت في حذائه بالسبية ، المفروود على ساقيه ، المشدود إلى وسطه شدة لم تترك به ثنية واحدة ، والسترة الكحلية الملتصقة بجسده ، المحيطة بإقتها العالية المقفلة بعنقه ، اللامعة أزوارها فوق صدره ، وقد بدا جسده طويلاً معتدلاً بارز الصدر ، ضيق الوسط ، عريض الكتفين ، واستقر طربوشه الطويل في استقامة على جبينه ، وأمسك بعصاه يؤرجحها في يمينه موازية للأرض بالطريقة التي تعلمها في الطواير .

ووجد نفسه بلا تفكير يتخذ لداره الطريق الأطول الذى يمر بسور القصر وبالباب الخلفى للحديقة . لقد كان بنفسه حنين إلى أن يمر بالمكان رغم يقينه أنه لا أمل له في لقاء ربه . فوعد اللقاء - إن كانت تذكره - كان فجراً ، وفرصته إن كانت تنوى منحها له .. قد ضاعت لأن الوقت قد تأخر وهى لو كانت قد انتظرتة فلا شك أن موعد مدرستها قد حان وأجبرها على الرحيل .

ولقد وصل إلى هذه النتائج منذ أن تحرك من مدرسته ،
وألقي بنظرة طويلة على بناء مدرستها عندما مرّ به
في الأوتوبيس في طريقه إلى المحطة ، وكأنما كان يرجو من
الجدران أن تشف له عما بها .

ثم أخذ يرقب العربات الغادية من الناحية الأخرى من
الطريق ، عليه يحد بينها عربتها تحملها إلى المدرسة ، وفي القطار
استمرت المراقبة للعربات حتى وصل إلى محطته دون
أن يرى لها أثرا .

وهو يتجه الآن إلى مكان اللقاء ، وكأنه يؤدي فرضاً
لاوجه للتفكير في التخلي عن أدائه . . ولم يكن يدفعه إلى
المكان أى أمل في لقاء ، ولكن المكان نفسه هو الذى
كان يجذبه ، وكأنه يردد قول قيس :

أمر على الديار ديار ليل
أقبل ذا الجدار وذا الجدار

ولم يكد يصل إلى الباب الخلفى ويجتازه حتى لمح أباه وقد
وقف مشمراً عن ثيابه ، وأخذ في نقل الأصص من مكانها .
وتقدم ه على ، إلى أبيه وقد أحس بحنين مفرط إلى
عناقه . . وقبل أن يلتفت إليه الرجل كان أحد العمال قد لمح
وصاح به محيياً في دهشة :

— أهلا سي على أفندى .

وأذهلت الصبيحة المفاجئة عبد الواحد ، فالتفت
في دهشة وأصابته رجفة وهو يرى علياً في حلته الرسمية
ومنظره البهيج ، ثم أصابه شيء من الارتباك وهو يرى نفسه
بثيابه المشمرة الملونة بالطمى غير لائق باستقبال ابنه ،
وكأنما خشى أن يسبب لابنه بعض الخجل وهو يعرف مبلغ
اعتزازه بنفسه ، ولكن علياً قطع عليه أوهامه بالاندفاع
بين أحضانه وضمه إليه في شوق ولطفة وهو الضنين بمظاهر
العواطف .

وضم الأب إليه ولده ، ولم يستطع أن يكبح جماح
عبراته فتركها تنساب فوق خده الأسمر الجاف . ثم أسرع
بمسحها بكم فأنلته .

وفرد الرجل ثيابه المشمرة ثم جذب علياً من يده وهو
يقول له :

— هيا إلى البيت . . إن أمك تكاد تجن شوقاً إليك .
لقد اعتقدنا أنك لن تأتى هذا الأسبوع ، وكان حسين
سيزورك اليوم فى المدرسة .

— أقد خرج حسين ؟

— أجل . . لقد آتى أمس إلى البيت أول مرة ، وكان

يعتقد أنك ستخرج من المدرسة أمس ، ولكن لما طالت
غيبتك قال إن خروجكم لابد قد تأجل .

— وكيف يبدو في حلة المدرسة ؟

— وجهه مثلك .. إنكما تبدوان كأنما خلقتما للحلة
المسكرية .. هيا بنا .

— دعني ألق نظرة على المكان .. لقد أوحشني كل
شيء في بلدتنا .. كيف حال السوبة والحديقة وأصحابها ؟

— بخير كلهم .. كانوا يسألون عنك دائماً .

وأحس د على ، في صدره بشيء يدق وهو يحاول
أن يبدو في سؤاله غير مكترث :

— سألوا عني أنا ؟

— أجل .

— من ؟

وابتسم الأب كأنما يقول لابنه أنت أدري أيها الماكر ،
هم قال :

— الست الصغيرة .. د أنجي ، هانم .

— أحقاً سألت عني ؟

— دائماً .. في كل يوم خميس كانت لانتكاد تأتي من
المدرسة حتى تهبط إلى الحديقة لتسألني .. كيف حالي وحال

الزهور . . ثم تسألني بطريقة عارضة . . كيف حال ، على ،
و « حسين » ، ومتى سيحضران من المدرسة .

وأحس ، على ، بخيبة أمل من قول أبيه ، ولم يستطع
أن يخفي مظاهر الضيق التي بدت على سماته وقال في لهجته غير
المكرثة :

— كانت تسأل علينا كلنا ؟

وأدرك أبوه خيبة أمله وأدرك مقصده من قوله ،
فقال وقد أفرغته عن ابتسامة واسعة وهو يربت ظهر ابنه :
— أجل . . كانت تسأل علينا كلنا من أجلك أنت . .
أنت تعرف ذلك يا بني . . وأنا أعرفه . . لقد كانت تكثر
من النزول إلى السوبة ، وكانت تستدرجني إلى الحديث
عني . . كانت تسألني عن أخبارك ، وعن كل شيء عنك ،
وكنت أحدثها بإسهاب دون أن يبدو عليها ملل أو ضيق . .
بل كانت تنصت في لهفة .

وأحس ، على ، بخيبة الأمل تتبدد ، وبالضيق واليأس
يتطير ، وأطرق برأسه وقد أصابه كثير من الخجل وهو
يرى أباه وقد عرف الكثير من أمره .

وكان الإثنين قد جاوزا الباب الخلفي وسارا في الطريق
إلى الدار بعد أن طافا بالسوبة وبالدروة التي ورامها .

وسادت فترة صمت شرد كل منهما بذهنه وبدأت عليهما
سياء التفكير . . . كان الابن يحلق في سماء أوهامه وقد ملأت
نفسه نشوة جارفة بعد أن عرف كيف كانت ، أنجى ، تسأل
عنه وتتنسم أخباره . . . إنها مازالت تذكره . . . وتفكر فيه
كما يفكر فيها .

وكان الأب يفكر في تلك السعادة البادية على ولده ،
والتي منحه إياها عندما ذكر له كيف كانت ، أنجى ، تسأل
عنه ، وأحس بخطورة تلك السعادة كما أحس بخطورة اليأس
الذى بدا عليه دون أن يشعر عندما عرف أنها سألت عنهم
جميعاً دون أن تخصه وحده بالسؤال .

هذا كله في نظر الأب شيء خطر . . . فهو لا يمكن
أن يؤدي إلى شيء سوى الخيبة والفشل ، وهو يعرف ابنه
وعزة نفسه وشدة كبريائه ، وماذا يمكن أن تفعل به النهاية
الفاشلة لتلك المشاعر والأحاسيس .

إنه حقاً يراه خير الناس ، وهو كذلك لا يعتقد أن هناك
من يفضلّه وهو كفء بشخصه لأى مخلوقة ، ولكن بأصله
لا بظنه كفواً لهذه التي يحاول ربط مشاعره بها ، إن بينهما
هوة لا يمكن تخطيها .

ولو كان ، حسين ، هو الذى يتورط فى مثل هذا الشعور

لما اهتم الاب كثيراً ، فهو يعرف أن حسين ، لا يزج بنفسه
إلى الأعماق .. بل يتوأنب فوق الأسطح ويدع ما لا يستطيع
إلى ما يستطيع دون أسى ولا أسف ، وهو إن تطلع إلى ابنة
الأمير تطلع تسلية وعبثاً .. فإن قرّبه نعم بها ، وإن صدّته
ألقي بها في زوايا النسيان .

أما د علي ، ففي عمقه وتؤدته وصمته خطورة شديدة .
ثم إن المسألة كلها لا يجب أن تكون ، وإن كانت فلا يمكن
أن تؤدي إلى نتيجة طيبة مهما جرت في أولها من بعض
مظاهر السعادة .

أجل .. مهما صار د علي ، .. فليس هناك ما يمكن أن يمحو
الحقيقة الثابتة ، وهي أنه ابن الجنائني ، وهي ابنة الأمير .
ولكن ماله يفكر في المسألة هذا التفكير الجدي ..
أجرّد سؤال من الصبية الرقيقة الطيبة الأميرة علي ابنة ،
ومجرّد طرب من الإبن لهذا السؤال يجعله يقفز بذهنه إلى
كل هذه النتائج !

لا .. لا .. يجب أن لا يعقد الأمور بمثل هذا التفكير ،
يجب أن يتركها تجري سهلة في أعنتها .. ثم ليس هذا وقت
الضيق والأسف .. يجب أن يفرح بولده .
وكان د علي ، يرجو أن يحدثه أبوه عن د أنجي ، أكثر من هذا ؛

بل كان يريد منه ألا يكف عن الحديث عنها ، فلما طال صمت
الآب قال يستحبه استحثاث ماكر :

— وماذا قلت لها عني ؟

وأفاق الآب من شروده وأجاب في اقتضاب :

— قلت لها كل خير .

ثم أراد أن يحوّل مجرى الحديث فقد أحس بأنه يشترك
في دفع ابنه نحو هوة خطيرة ، وخيل إليه أنه يابعداها عن
حديثه قد أبعداها عن ذهنه ، قال :

— أوصلتك النقود والأشياء التي طلبتها في خطاباتك ؟

— أجل .. لقد أحضرها خليل ، وابراهيم أفندي ،
ولكن لماذا لم تأت أنت لزيارتي ؟

وصمت الآب برهة قبل أن يقول :

— المشاغل كثيرة يا على .

— المشاغل يا أبي تمنعك عن زيارتي مرة في الأسبوع ؟

أتصدق أني الطالب الوحيد الذي لم يزره أهله طوال مدة
البقاء في المدرسة .. إني عاتب عليك ، ولم أرد أن أسألك
الزيارة في رسائل لأن من حق أن تزورني من تلقاء نفسك .

ومرة أخرى بدا الشرود على الآب وأحس أن تأنيب
ابنه في موضعه ، ولكنه أحس أنه مظلوم ، وتتم قائلا
محاو لا رفع الظلم عن نفسه :

— الحق أنى لم أزرِكَ . . من أجلك يا على .
— كيف ؟

— خشيت أن أخجلك بين الطلبة إخوانك .. فلا أظن
آباءهم الذين يزورونهم يأتون إلى المدرسة بالجلباب والعمّة
الصفراء .. وأنا أعرف عزّة نفسك ، فعزمت على أن
أجنّبك مشقة زيارتي .. وأن أكبت شوقى إليك حتى
تحضّر إلينا .

وذهل « على » ، من قول أبيه وقال فى دهشة :
— كيف تقول ذلك يا أبى .. أنا أخجل منك ؟
إنك فى نظرى خير من أنجبت الأرض .. أبعد كل هذا
الذى فعلته من أجلنا أخجل منك ؟ إننى اعتبرك من أول
مسيبات عزّة نفسى .

وكانا قد أشرفا على البيت ، ومرة أخرى أحس الأب
بأن الدمع يوشك أن يظفر من عينيه وهو يرى مدى
إحساس ابنه بما أداه له .

ووجد « على » ، تغيراً واضحاً بدا على الدار ، فقد امتدت
إليها يد الإصلاح وأعيد ترميمها وبياضها ونظف ماحولها ،
وأنشئت حديقة صغيرة فى فنائها .

وصاح « على » ، فى دهشة :

— ما هذا الذى جرى للدار؟! تبدو من خارجها كأنها دار أخرى؟

— وسترى داخلها أيضاً أنها قد أضحت داراً أخرى ،
كان يجب على أن أجعل الدار أهلاً لكما ، إنها الآن أضحت
سكناً لضابطين .. لالرئيس جنائنية .. إنها كما يقول أخوك
« حسين » ، قد أضحت مقراً للحكم .

ووضح لعلى مما فعله أبوه بالدار ، ومما قاله عن سبب
عدم زيارته ، أن بآيه خوفاً من أن يكون سبباً فى إحساس
ولديه - ولأسيما على - بالخجل منه ، وكره أنه يكون هو
السبب فى ذلك الشعور الذى يسيطر على آيه ، وود
لو استطاع أن يزيل منه ذلك الاعتقاد ، وألا يكون السبب
فى إرهابه من أمره عسراً .. فهو يعلم أنه يكاد يسدد
مصرفاتهما ، وأن كل تلك المظاهر ستزيد من إرهابه .
وقال على :

— إننا لا نستحق كل هذا .. لقد باتت الدار خيراً منا ،
لم كل هذا يا أبتاه؟ لقد كلفتها الكثير وأنا أعرف أنك لا بد
أن تدبر القسط الثانى من المصروفات .

— لاتحمل هما .. سيدبر الله كل شيء .

— ولكنى أخشى أن أكون السبب .. إن حادثة

البنطلون الذى كنت أخجل من حجره لاشك عالقة
فى ذهنك .. لقد كان لهذا الخجل سبب خاص ، ولقد
تغيرت مشاعرى تغيراً كلياً .. ولم أعد أخجل من مظاهر
العجز المسمى ، ولا بات يهمنى أبداً أن يكون بيتنا كوخاً
أو قصرأ .. مادامت طاقتنا لانتهى ولنا خيراً منه .. إن هذه
المظاهر لم تعد تخجلنى لأنى أحس من الثقة بك وبنفسى
ما يجعل كل هذه المظاهر تتضاءل بجوارها .. كل ما يهمنى
الآن هو ألا أكون سيئاً فى إرهابك .

— ليس هناك إرهابى يا على .. لقد بعنا دكر دان ،
أمك ، وهى لم تعد فى حاجة إلى أن تتحلى به قدر ما أصبحنا
فى حاجة إلى أن نتحلى جميعاً بالدار .. إن للمظاهر قيمتها
يا د على ، .. تعال .

وبدا د حسين ، فى النافذة ، فلم يكذب يبصر علىاً حتى نددت
منه صيحة فرح ودهشة وصاح :

— أم .. د على ، أتى .

ولم يصبر حتى يدخل د على ، بل قفز من النافذة وعدا
إليه يضمه بشدة هاتفاً :

— ما كل هذه الوجاهة ؟ لقد كنت أظننى أوجه من

ارتدى الشريط الأحمر ، ولكنك أضعتنى بجوارك ..
أرنى نفسك .

ثم أخذ يدور حول « على » وهو يرتدى قميصاً أبيض
فوق البنطلون الرسمي الذي شده في كتفيه بالحمالة ، وبدت رأسه
عارية جرداء من الشعر ، ومد يده فاخطف طربوش « على »
صائحاً :

— أرني رأسك .

وبدت رأس « على » جرداء كرأسه .. واستمر هو
في هذره :

— تصور كنت أوشك أن أخرج بشعري وقد بلغ
طوله هكذا (وأشار بسبابتيه موضحاً مقاسه) وأردف قائلاً:
— تماماً كما كنت قبل الدخول .. ولكن الباشجاو يش
— خرب الله بيته — ضبطني في آخر لحظة .. ونادى الحلاق
فمسحها لي كما ترى .

وعبر « على » الباب وتلقته أمه في أحضانها . ولم يستطع
أحد من الولدين والآب أن يوقف اندفاعها في بكاء حار .
وأخذت تتحسس علياً كأنما تحاول التأكد أنه قد عاد
إليها سليماً كما ذهب دون أن ينقص يداً أو ساقاً أو أنفاً
أو شفة .

وكان أول ما سأله هو :

— أحضر لك طعاماً ؟ . إنك تبدو هزيباً .. لاشك

أنهم لم يكونوا يطعمونك كفايتك . . .
وضحك « على ، فقد كانت أمه تعتبر أن أول واجباتها
في هذه الحياة . . إطعامه هو وأخيه . . وكانت تعتقد أنهما
ما داما بعيدين عنها . . فهما لا شك جائعان ، وأن أول
ما يجب عليها فعله هو أن تعوض ما فاتهما من طعام في
غيبتهما عنها .

وأقبلت « بهية ، في صمت وقد افتر ثغرها عن ابتسامة ،
خبجلة ومدت يدها إليه قائلة :

— حمد الله على سلامتك !

— الله يسلمك . . كيف حالك يا بهية ؟ . لقد كبرت
في هذين الشهرين وازددت جمالا .

وازداد خجل « بهية ، ولا سيما عندما أردفت الأم
قائلة :

— بهية ست الناس . ربنا يجعل لها نصيب في أحدكم .
وكان قول الأم قولا عابرا ، ولكنه ترك وجه « بهية ،
وقد تصاعد الدم إليه وشعت منه الحرارة .

وصاح « حسين ، بها :

— هاتي السترة يا بهية . . يجب أن تتعلى من الآن
كيف تلمعين الزراير .

وذهبت « بهية » ، لإحضار الجاكette وقلبها يدق .
يجب أن تتعلم من الآن تلميع الأزرار !! ومن أدراه
أنها لا تعرف ؟ ! إنها لا حاجة بها لأن تتعلم أى شىء خاص
بخدمته لأنها تحذقه بالسليقة .. وبالرغبة .. وبالحب .

وقال « حسين » ، وهو يرتدى جاكette :
— سنذهب إلى سينما رويال صباحاً .. هناك فيلم هائل
بالعلى ولا يجب أن يفوتنا .

وصاحت الأم بحسين تاهرة :
— إخشع قليلاً .. إهدأ ..
— ألم يكف خشوعى بالأمس .. لقد سجنتنى فى
البيت .. أظنن أنى قد خرجت من المدرسة بعد طول حبسى
لأقبع فى البيت !

— إذن دع أخاك يستهد .. إنه لم يستقر لحظة .
— لقد استهدأ كفايته .. وما زال أمامنا نصف ساعة
نستطيع أن نجلسها معكم .. أظن نصف ساعة كفاية جداً ..
لأن تشبى منه .

— ونقود السينما .. أليست خسارة .. أظن النقود
تجرى فى أيدينا .. أليس من الأفضل أن تشتري بها شيئاً
تأكله ببر جسدك ؟

— أليس أمامك سوى الأكل . ماذا تظنينني؟ وزه يجب
تزغيطها ، أم خروف يجب علفه؟ إن في الحياة مباحج أخرى
غير الأكل .. وأنا سأدخل عليك على حسابي .. إن معي
نقوداً كافية .. بقية المصروفات التي أعطوها لنا عندما سافرنا
إلى الإسكندرية للعب الكرة .. معي خمسون قرشاً ..
سنتبجح بها سوياً .

وبعد نصف الساعة كان القطار العائد يحمل الأخوان
إلى القاهرة .. في طريقهما إلى السينما .



شادی



وصل الأخوان إلى السينما بعد ابتدائها ودخلا يتلمسان
طريقهما في الظلمة ، ووقفوا برهة حتى تتعودهما
عيناهما وتقدم منهما أحد المراقبين فأوصلهما إلى محليهما .
ومضت مدة قبل أن يحاول أى منهما تركيز ذهنه فيما
يعرض أمامهما ، فقد شغل « على » باستعادة ما قاله أبوه
عن « أنجى » وعن رغبتها فى أن يتحدثها عنه .

أما حسين فقد شغله التلفت حوله ومحاولة أن يكتشف
فى الظلمات أقرب الوجوه الجميلة إليه وعن نوع جاره أنثى
أم رجل ، وعن أغلبية الجنس الموجود فى مقاعد البلكون
نساء أم رجالا .

وحلت فترة الاستراحة ، فأراحت نظر حسين من طول
بحث فى الظلمة ، وأراحت ذهن « على » من طول تفكير
وعدو وراء « أنجى » . . وتشاغل الإثنان بفحص جمهور
المتفرجين وتحية بعض زملاء المدرسة التى غصت بهم المقاعد .
وسأل حسين أخاه :

— ألا تريد التمشى قليلا ؟

— لا . . . إنى أفضل البقاء .

وقام حسين متجهاً إلى الخارج بطريقة استعراضية . .

ولكنه لم يكذب يسير بضع خطوات حتى عاد بسرعة إلى أخيه .. ثم مال عليه قليلاً وهمس قائلاً :

— إن أنجى ابنة أفندينا موجودة هنا ومعها أخوها .
وكان د علي ، ينوي أن يؤنب أخاه على حركاته الملفتة
من نهوض وعودة ، وهمس ، ولكن ذكر د أنجى ، أصابه
بارتباك مفاجئ . واضطراب شديد أفقده قدرة السيطرة
على نفسه ، بله السيطرة على أخيه .

ولم يعرف كيف يجيب أخاه ، ووجد نفسه ينهض على غير
إرادة فيتبعه إلى الخارج كأنه يفر من معركة ، وفي سيره
حانت منه التفاتة إلى الاتجاه الذي أشار إليه أخوه فالتقى
بصره ببصرها ، وطالعه بسمتها الرقيقة المشرقة المهدئة
المطمئنة التي تبدد من نفسه الاضطراب وتملؤه ثقة وأملاً .
وابتسم ، وأشار برأسه ، فأشارت برأسها .. وود
لو استطاع القفز بين المتفرجين وضما إليه .. ولكنه لم يملك
إلا أن يسير تابعاً أخاه إلى الخارج ، واتجه حسين بأخيه إلى
البوفيه قائلاً :

— دعنا نشرب شيئاً .

— لا داعي لذلك .. كفانا إسرافاً .

— سأسقيك على حسابي .. أنت ضيفي اليوم ، ما زال

من الحسين قرشاً بقية للبحجة .

— أبقها تنفعك في الجمعة القادمة .. القرش الأبيض
ينفع في اليوم الأسود .

— اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب ، لكل مثال
ردّه .. لا تحاول أن تستعين علىّ بالأمثال .. فليس أكثر
لدينا من الأمثال والحكم التي يناقض بعضها البعض .. هيا ،
لا تضق هما بأمس وغد ، .

ووقف الإنسان أمام البوفيه .. وبدأ حسين يتناول
زجاجة « سيدر » ، وعيناه تنقبضان عن الإناث .. ولسانه
لا يكف عن الثرثرة قائلاً لعلی :

— إن أنجى تبدو رائعة .. لقد أبصرتها تثبت بصرها
فيك وأنا سائر إلى الخارج ، وقد خصتك بابتسامة وتحية ..
حلال عليك .

وفي تلك اللحظة بدت أنجى مقبلة عليهما ، وقد ارتدت
فستاناً من الصوف الأخضر بسيطاً ، وحذاء منخفضاً ، ولم
تحاول أن تبدى شيئاً من التكلف والدلال ، أو تظهر أنها
تقصد السير إلى البوفيه ، وأن دعلی ، جاء في طريقها مصادفة ،
بل اتجهت إليه مباشرة .. ومدت يدها إليه في ترحاب
واضح .. وشوق لم تحاول أن تخفي مظاهره وقالت باسمه :

— حمد الله على السلامة .. لم أكن أعلم أنك خرجت ،
لقد سألت والدك بالأمس فأخبرني أنك لم تأت بعد .
وأحس ، على ، بارتباكها يتطاير أمام تواضعها ومدت
يدها بحية أخاه الذي أدهشته البساطة التي أقبلت عليهما بها
والتي حدثت بها أخاه .

وأجابها على :

— إني لم أخرج إلا صباح اليوم .

— ولم ؟

— عوقبت بالحبس يوم الخميس ، لأن البندقية لم تكن
نظيفة .

— أتعلمت الرماية بها ؟

— ليس بعد .. مازلنا نتعلم حملها والسير بها واستعمالها
في الطواير .

— إني أجيد التنشين .. لقد علمني إياه أخي علاء ..
وسنصطاد اليوم بعد عودتنا من السينما . أتحبان الصيد معنا ؟
وقبل أن ينطق على أجاب حسين :

— طبعاً .. إني أجيد التنشين قبل دخول المدرسة .

ولم يكن ، على ، قد أجاب بعد ، وكانت أنجي ترقب إجابته
فأعادت السؤال :

— وأنت يا علي ؟

وأجاب علي كمن يفيق من غفوة :

— أنا .. أجل .. أجل .. بالطبع ، وإن كنت لا أجد
التنشين .. وأول مرة حاولته في المدرسة عوقبت .

— أكل شيء عندكم بالعقاب ؟

وضحك علي قائلاً :

— كل شيء .. لقد عوقبت مرة لأنني أسير .

— وماذا يجب عليك أن تفعل ؟

— أعدو .. إن السير عندنا لا يسمح به .. يجب أن
نعدو دائماً .. حتى عندما ننقل من الفراش إلى الدولاب .
— على أية حال سأعلك التنشين .. سأكون أسبق
من المدرسة في تعليمك إياه .

ودق جرس السينما مؤذناً بانتهاء فترة الاستراحة وقال
حسين في لهجة أسف :

— لم نطلب لك شيئاً .. لقد شغلنا بالحديث .

— متشكرة .. ليست لي قابلية للشرب .. إنما خرجت
لكي أحرك ساقى .. فإن طول الجلسة تعبني .. هيا بنا .
وقبل أن يفرقوا ليتجه كل إلى مقعده سألت أنجي :

— أستعودان إلى البيت بعد السينما ؟

ورد على :

— أجل .

— إذن فسنرجع معاً ، إني عائدة وأخى علاء إلى البيت .

سئلتني بعد الرواية .

ولم تكن في دعوتها سائلة عارضة بحيث يمكن القبول أو الرفض ، بل كانت فارضة مقررّة .

وعند ما انتهت الرواية ، تدفقت جموع المتفرجين إلى الخارج .. ووصلت أنجي وهي تتلفت حولها باحثة وسط الزحام عن علي وأخيه ، وكان علاء قد سبقها إلى داخل العربة وعندما وجدها تتلكأ أمام بابها هتف بها :

— أدخل يا أنجي .. عمن تبحثين ؟

وأجابته أنجي وهي ما زالت تبحث بعينها وسط الجماهير

المتدفقة :

— لقد دعوت علي وحسين لتوصيلهما معنا .

وبدت الدهشة على وجه الصبي ورفع حاجبيه .. وقال مستنكراً :

— توصيلهما معنا ؟ .. نركب أولاد الجنائين معنا

في العربة ؟

وكان علي ، قد لاح لعينها متقدماً وسط الجموع تجاه

العربة ، ووراءه حسين . فصاحت أنجى بأخيها ناهرة :
— كف عن هذا السخف .. إياك أن تتحدث أمامها
بهذه اللهجة .

— لن أدعهما يركبان .. أدخلى العربة .. وإلا تركتك
واقفة .. وعدت وحدى .

— بل سيركبان رغم أنفك .
ووجه علاء حديثه إلى السائق قائلاً في لهجة الأمر .
— سر يا اسطى محمد .

ونظرت أنجى إليه في غيظ وقالت للسائق :
— لا تتحرك يا اسطى محمد .

— قلت لك سر يا اسطى زفت .. ألا تسمعنى ؟
وحوّل السائق الأسود رأسه في غيظ إلى علاء وقال
له مستنكراً :

— أسير وأترك أنجى هانم .. تفضل أنت ، وانزل إذا
كنت على عجل .

واندفع من فم علاء سيل من السباب موجهاً للسائق ،
وهو يهدد برفته ، وكان الأخوان قد اقتربا من العربة
وأشارتا إليهما ، أنجى ، بالتفضل .

وقال السائق مؤنباً علاء :

— عيب ياسى علام . . هذا الكلام لا يقوله أولاد
الجنايى الذين تأنف من ركوبهم . . إنى سأشكو إلى أفندينا
كل ما قلته .

ودلفت أنجى إلى العربية بجوار أخيها وجلس على بجوارها
وحسين بجوار السائق وسارت العربية فى طريقها إلى البلدة .
وتبادل الفتيان مع علام تحية عابرة ، وبضعة أحاديث
سطحية . . وحاولت أنجى جهداً أن تزيل جو التكلف
والتوتر الذى سببه وجود أخيها علام بترفعه وعجرفته فقالت
متحدثة عن الفيلم :

— لم يكن الفيلم بالجودة التى أتوقعها . . لقد قاموا له
بدعاية لا يستحقها .

واعترض علام قائلاً :

— لقد أعجبني جداً ، ولا أظننى رأيت أفضل منه .

— إنه مفرط فى العنف . . وهو يظهر الشر بمظهر
البطولة .

— هذا هو ما يعجبني فيه .

ورغبت أنجى أن تشرك علياً فى الحديث فقالت متسائلة :

— ما رأيك أنت يا على ؟

وأحس دعلى ، بشيء من الحيرة ، وتردد برهة . . ثم قال

محاولا ألا يخذل أحدا منهما :

— أعتقد أن الرأي يختلف حسب طبيعة المرء .

وقلب علاء شفتيه كأن الكلام لا يعجبه ، وقال فى شيء

من الاستخفاف :

— ما رأيك أنت ؟

ووجد ، على ، أن الفتى لا يستحق المجاملة . . فقال له

فى شيء من التحدى :

— الفيلم تافه ، وليست له فكرة نظيفة ولا هدف طيب ،

وغير معقول أن يرضى مخلوق طيب النزعة عن إظهار الشر

بمثل هذا المظهر الرائع حتى لكانه يحض عليه .

وأردف حسين قائلا فى شيء من الوقاحة :

— الفيلم سخيف جداً جملة وتفصيلا .

واحمر وجه علاء وخشيت أن يجى أن يثور بالفاظ نسيء

إلى ضيفها فقالت له محاولة إنهاء الموضوع :

— أرايت يا علاء ، أن الرأي يختلف باختلاف طبيعة

المرء . . كل إنسان له رأيه .

ثم أردفت محاولة دفة الحديث إلى اتجاه آخر :

— ومتى ستعودان إلى المدرسة ؟

وقال على :

— المفروض أن نكون هناك في الثامنة مساء . إن
الاجازة من ظهر الخميس حتى مساء الجمعة .

— إني أتمتع بأجازة أطول فأجازتي الأسبوعية تبدأ
عصر الجمعة إلى صباح الإثنين .

— ولكنك لم تذهبي إلى المدرسة اليوم ؟

— إننا في عطلة عيد الشكر . . إن عطلاتنا كثيرة . .
وبعد شهر تبدأ عطلة عيد الميلاد ورأس السنة ، عطلة طويلة
حوالي عشرين يوماً .

وهكذا استمر الحديث في العربية عابراً متقطعاً لا يكاد
يوصل حتى ينقطع ولا يكاد ينقطع حتى تعاود أنجي وصله
حتى شارفت العربية البلدة وتوقفت ، ونزل منها الإخوان
وأنجي تقول لها :

— سننتظركم في الحديقة وسنجهز البنادق للصيد . .
لاتأخرا .

وأجاب « على » وهو يرفع يده بالتحية :

— إن شاء الله .

وأجاب حسين وهو يضحك :

— حمامة .

وسار الإخوان في طريقهما إلى البيت وحسين يهز رأسه :

— لطيفة هذه البنت .

ثم أردف بجملته التقليدية وهو ينظر إلى أخيه في إعجاب :

— حلال عليك يا عم .. إنت دائماً لا تضرب إلا في العالى .

ورمقه د على ، مؤنباً وقال فى لهجة زاجرة :

— حسين .. كف عن الحديث عنها بهذه الطريقة .

وتمم حسين معتذراً :

— إنى لا أقصد إهانتها .. إنى أحترمها جداً .. على الأقل من أجلك .

— من أجلى فقط ؟

— أتريدنى أن أحترمها من أجل أخيها ؟

— احترامها من أجلها هى . ألا تجدها تستحق الإحترام ؟

وأجاب حسين جاداً :

— بل تستحقه .. إنى لم أكن أظنها بمثل هذه الرقة

واللطف والتواضع .. حقيقة أنها من معدن غير معدن

هؤلاء المتعجرفين .. حتى إيخيل إلى أنها لا يمكن أن تكون ابنة ذلك الأمير المتأله .

وصل الاثنان إلى دارهما وكانت د الطبلية ، العتيقة قد

حلت محلها منضدة خشبية وضعت في منتصف الصالة وفرش فوقها مشمع أبيض نظيف . وكانت الأم قد أعدت الطعام ، ثم بدأت مهمتها الكبرى في تكديسه في معدن ابنها كأنما تعوّض طول تقصيرها في مدة غيابهما .

وانتهى الطعام ، وبدأ الأخوان يتبادلان النظرات كأنما يتساءلان عن أسهل الطرق للهروب من أبيهما اللذين يريدان الاحتفاظ بهما أطول مدة ممكنة للتمتع بهما بعد طول غيبة وفرط شوق وحنين .

وبدأ حسين خطة الهروب بقوله وهو ينظر إلى الساعة في يده :

— علي . . لقد تأخرنا .

وتساءلت الأم في دهشة :

— تأخرتما علي ماذا . . ألم تقولاً أن موعد العودة في الثامنة مساء ؟ إنكما لن تنزلا قبل الساعة .

وصدق الأب على قولها قائلاً :

— أجل ساعة تكفي جداً للعودة . . نصف ساعة إلى المحطة ، ونصف ساعة إلى المدرسة .

ولم يجب ، علي ، فقد أحس بشيء من الخجل وهو يحاول

النهرب من أبويه قبل أن يشبعا من لقائه . وقال حسين في لهجة
أضنى عليها شيئاً من الخطورة :

— إني أقصد أننا تأخرنا عن موعدنا مع علام ابن افندينا .
وتساءل الأب في دهشة :

— أيينكما موعد ؟

— أجل سنجرب له إحدى البنادق الجديدة .

— وهل أصبحتما من ذوى الخبرة فى البنادق ؟

— طبعاً .. شهر ونحن غارقون فى البنادق .. هيا يا على
حتى لا نتأخر عليه .. سنعود ثانية .. لن نتغيب كثيراً .

ونفض حسين وشقيقه على ووالدتهما تتمتم فى حسرة :

— ألا تخشعان قليلاً ؟ ! ألا تريحان جسديكما ؟ !

وغادرا البيت ، وبعد برهة كانا يسيران فى ممرات الحديقة

باحثين عن أنجى .

وتحت شجرة فيكس ضخمة من نوع البنجالنس ذات

ال جذور المدلاة من السيقان والمسماة " أم الشعور " كانت " أنجى " ،

تجلس على مقعد طويل من الخيزران مرتدية سويترا أبيض ،

وجيب كحلى ، وحذاء أبيض من الكاوتش ، وقد وضعت

على منضدة قريبة ثلاث بنادق للصيد وبعض الخرطوش .

وكان علام مقبلاً من ناحية القصر وقد أمسك بندقية رابعة

وأخذ يطلقها خلال سيره على قمم الأشجار .
ونَهَضت أنجى تحي الأخوان في رقة قائلة :
— هذه هي البنادق .. أتريدان تجربتهما ؟
وحمل د على ، أحدها وقال وهو يحرب التنشين بها :
— إنها أخف كثيراً من بندقية المدرسة .
وأقبل علام . وبلا تحية ولا ترحيب قال لهما :
— ألستما ضابطين .. وصناعتكما حمل السلاح .. إني
أتحدكما .

ولم تعجب د أنجى ، لهجته المهاجمة وقالت في مرح :
— لا داعي للتحدي ، نحن نريد أن نتسل .
ولكن علام رفع البندقية إلى كتفه قائلاً :
— أنظر هذا الفرع المتدلى من الشجرة .. هذا الفرع
المجاور المنضدة سأصيب الورقة الثالثة التي به .
وأطلق البندقية فأصاب الورقة ، وانطلق ضاحكاً وهو
يقول :

— إني أتحدى أن يفعلها أحداً .. وأنتما ضابطين .
ولم يكن لعل أيّة رغبة في التحدي ، بل لم يكن لديه رغبة
في مجرد الإمساك بالبندقية أو الصيد . كل رغبته كانت تنحصر
في أن يبصر أنجى ، ويسمع صوتها ، ويتحدث إليها ..

وكان يتمنى لو استطاع أن ينتحى بها جانباً فيسيراً معاً بين الأشجار والزهور .

ولكن حسين كان مناضلاً بطبعه ، فخطف إحدى البنادق وعمرها ثم رفع بها إلى كتفه قائلاً فى سخرية :
— الورقة الرابعة .

ثم أطلق فأصابها وأردف قائلاً فى نفس اللهجة الساخرة :
— والخامسة .
وأسقطها .

— والسادسة والسابعة .
وأسقطهما ثم أخفض البندقية وهو يقول :
— هذه أهداف بسيطة . . عندما تتحدى الضباط يجب أن تتحدى فى أهداف أصعب من هذه .

وتملك الغيظ علاء وعض على شفتيه ، فقد كان يعتقد أن إجادة التنشين واستعمال السلاح يجب أن تكون قاصرة على الطبقات العليا . وكان يكره أن يشاركه فى قدرته ابن الجنائى حتى بعد أن أضخى ضابطاً .

وفى تلك اللحظة كانت « أنجى ، و ، على ، قد انتهزا فرصة انشغال أخويهما بتحدى بعضهما فى الضرب ، وأقبل كل منهما على الآخر متباعدين عنهما . . وأحس الإثنان

وقد خلا أحدهما لصاحبه بدقات قلبه تعنف ، وأنفاسه تتلاحق وكان ، على ، أول من تحدث . قال في لهجة ذائبة :
 — كنت أخشى ألا أراك .. وكنت أود أن أفقد نصف عمري وأخرج أمس حتى انتظرك في دروة الغاب .
 — أنا أيضاً أحسست بخيبة شديدة عندما أنبأني أبوك أنك لم تحضر .. ورغم هذا فقد ذهبت وانتظرتك في الفجر .
 وكنت أحس براحة كبيرة وأنا أنتظر هناك .. فقد خيل لي أنك ستأتني بين آونة وأخرى .. لقد كنت أنتظرك فجر كل جمعة وكنت أذهب بالحصان إلى التربة حيث لقيتك آخر مرة وكنت أهبط فأجلس وراء كومة الغاب وأعبث في الماء كما كنت تعبث .. لم أكن أظن أني سأفتقدك كما افتقدتك ..
 ولا كنت أعتقد أنني سأحس لك بهذا الشوق والحنين .
 وأحس ، على ، كأنه يتسامى إلى أعلا ، وكأن جناحين قد ركبا له فحملاه إلى الفردوس .. أحقاً أنجي تقول له هذا ؟! أحقاً كانت تحس له بالشوق والحنين ؟! أحقاً قد انتظرت أوبته في كل فجر ؟!

وارتج عليه فلم يعرف كيف يجيب ووجد يده تمتد إلى حوض قريب للورد فقطف منه واحدة وأخذ يعبث بها بين أصابعه وهو يهمس :

— أنا لم أحس بشوق إليك لأنك لم تفارقيني لحظة ..
كنت في رأسي وفي قلبي وفي عيني .. كنت في دمي .. كنت
أراك في وردتك التي أعطيتها لي آخر مرة والتي استقرت
أوراقها الجافة في درجتي تحمل إلى عبيرك .
وصمت برهة ثم أردف هامساً :

— أسمحين أن أقدم لك هذه علك تذكريني بها كما
ذكرتك بوردتك .

ثم رفع بها يده وهمت ، أنجي ، أن تأخذها في اللحظة التي
انطلقت طلقة من بندقية علام فأطارت الوردة .. وجرححت
أصبعه على ، وسمع علام يقهقه وهو يقول لحسين :
— أتحداك في هذه الإصابة .



عَبْدُ الْقَيْسِ



صرخت ، أنجى ، صرخة جزع وأقبلت على د على ، فى
لطفة تحاول أن توقف الدماء التى تنزف من
● أصبعه بمنديلها الصغير ، وأمسكت يده فى حنان شديد قائلة
والبكاء يخنق صوتها :

— ضع منديل على عليه حتى أحضر لك قطنه وصبغة يود
سأعود حالا .

ونظرت إلى علاء وهو يبتسم ابتسامته الصفراء ، وقد
وقف حسين بجواره مذهولاً حائقاً وقالت :
— مجنون .. سافل .

ثم انطلقت تعدو تجاه البيت .
وأقبل حسين على أخيه يفحص أصبعه جزعاً وهو
يغمغم :

— كان يجب أن أفرغ طلقتى فى رأسه .
ورفع د على ، وجهه فى دهشة وقال زاجراً أخاه :
— ماذا تقول ؟ أجننت ؟ إن المسألة لا تستحق كل
هذا .. إنه جرح بسيط .. ولا شك أن الطلقة خرجت دون
قصد منه .

وصاح علاء :

— لا .. لم تخرج بلا قصد .. إنما قصدت بها أن أعلمك
ألا تعطى ما ليس لك لمن ليس لك .. يجب أن يعرف المرم
حدوده التي يجب ألا يتعداها .. إن الملابس لا تمنح النفوس
حدوداً أوسع مما يمنحه أصلها .. إن الملابس لا تحيل السيد
عبداً .. ولا العبد سيذاً .. هذه المرة في أصبعك .. المرة
القادمة ستكون الإصابة أسهل ، لأن الهدف سيكون
أكبر .

وأحس د على ، من قول الفتى بجرح أشد إيلاماً من
جرح أصبعه ، وتصاعد الدم إلى وجهه ، واحتدمت في
صدره عاصفة من المقت ، حاول جهده أن يكبتها . وأخيراً
قال في هدوء وهو يقذف بالمنديل الصغير الذي كان يضمده
جرحه على المنضدة الخيزران :

— الملابس لا تمنح النفوس شيئاً .. والأصل كذلك
لا يمنحها شيئاً .. النفوس هي التي تمنح كل شيء .. النفوس
أثبت وأقوى من الملابس والأصول .. وكل أصل يبدأ
من الأرض .. ويعلو إلى السماء .. ثم تسقط بذرته إلى
الأرض .. لنبدأ من الطين مرة أخرى .. ليس هناك أصل
ثابت في الأرض أو في السماء .. ولكنه دائماً متأرجح
بين هذه وتلك .. جيل في الأرض .. وجيل في السماء .

وهمّ بالسير عندما أقبلت ، أنجى ، تعدو لاهثة وقد
أمسكت بقطعة قطر . وزجاجة صغيرة بها صبغة يود ،
واندفعت إليه تضمد جرح أصبعه بقطعة القطن وهي تهمس
والدموع تترقرق في عينيها :
— إني آسفة جداً ..

وأحس ، على ، بشوائب الكدر ترسب ، وبنفسه
تصفو وشعوره يرق ويرهف ، حتى لكان أصبعه لم
يجرح وكرامته لم تن .
ووجد نفسه يهمس :

— لا داعي للأسف .. أنعم بجرح تضمده يدها .
وكان حسين قد حاول التشاغل بفحص إحدى البنادق ،
وتباعد علاء معاوداً الانهماك في إطلاق بندقيته على الطيور
فوق أعالي الشجر ، كأن لم يحدث منه شيء ، ورمقته ، أنجى ،
وهو يوشك على الاختفاء بنظرة حنق واستياء وقالت :

— أرجو ألا تأبه له .. لا تلق بالآلى ما يفعل أو يقول
فهو مخلوق غير طبيعي .. إنه يقدم على الأذى بلا مبرر ولا
سبب .. لقد سبق أن قتل قطي .. وحاول قتل حصاني ..
إنه دائماً يكره من أحب .

وأحس ، على ، بنشوة من قولها .. إنها تعتذر عن فعله

أخيا ومحاولة إيدانه بأنه يكره من تحب .. فهي تسلّم ببساطة أنه قد أضحى ضمن من تحب .

وكان قد رفع أصبعه المصّاب وأخذت هي تربطه بقطعة شاش . وانتقل بصره من جدائلها الذهبية المتهدلة على كتفها إلى أصابعها وهي تلف الشاش في حرص وحذر ، وأحس بها تمس يده مسات خفيفة ، ووجد نفسه يرفع أصبعه إلى أعلى رويداً رويداً ، وأصابعها مازالت تدور بالشاشة حوله . . وبلا وعى ولا إرادة وجد رأسه ينحني حتى قارب فيه يدها ، وبأقصى آيات الرفق والحنان والتعبد والتبتل مس بشفتيه أطراف أصابعها .

وأحست هي من مسه شفتيه ونظرة عينيه برجفة سرت في جسدها ، ووجدت أصبعها المماس لشفتيه يتحسسهما في بطاء ثم يتحرك ليمس طرف أنفه ، ويعود ثانية إلى شفتيه في حنين عجيب وطافت بشفتيها ابتسامة رقيقة ذائبة وهمست قائلة وهي تنظر في عينيه :

— شكراً .

وأجابها في مثل همسها ونظراته تطوف بوجهها كأنما يتحسسه في عبادة :

— شكراً لك أنت . . على كل ما فعلته . .

— أرجو ألا يكون بنفسك شيء ؟

— بل بها شيء كثير .. فى كل مرة ألقاك .. تدفعين بها
من الأمل والقوة ما يهون على كل صعب .. الحياة أمامى
قد خفت أعباؤها وتضاءلت مشاقها حتى بت أشعر بقوة
خارقة على تخطى كل عقبة وإزالة كل حائل .

وكان علام قد عاود الاقتراب فهمست : أنجى ، وهى
تعقد الرباط حول أصبعه :

— متى ستعود ثانية ؟

— فى الخميس بعد القادم .

— ولماذا لا تعود الخميس القادم ؟

— يوجد عندنا صنف حريق .

— لست أفهم ؟

— فى كل أسبوع يبقى صنف (جماعة) فى المدرسة ليقوم
بواجب نوبتجية الحريق ، حتى إذا حدث حريق فى المدرسة
وجد من يطفئه .

— وهل سبق أن حدث حريق ؟ ! وهل استطاعوا
إطفاءه ؟

وضحك على وأجابها :

— الواقع أنه لم يحدث طيلة وجودى فى المدرسة ولا
أظنه قد حدث قبل وجودى ، وإن كان ذلك لا يمنع من
أن يحدث فى أى وقت . . أما سؤالك عما إذا كان الصنف
يستطيع إطفاءه ، فذلك لا يعلمه إلا الله . . على أية حال
إنها نوع من مضايقات المدرسة ، أو على الأصح ما نراها
مضايقات ، وإن كنت أجد فيها نوعاً من رياضة النفس على
فعل ما لا تحب ، وقبول ما لا ترضى . . والنسليم به بلا جدل
ولا مناقشة . . وهى رياضة واجبة على كل نفس فى حياتنا
هذه ، لأن الحياة كثيراً ما تجبرنا على ما نكره وتفرض
علينا ما لا نشتهى . . وأعتقد أن النفس العسكرية خاصة أحق
بهذه الرياضة التى تؤهلها لقبول الأوامر العسكرية فى السلم
والحرب وتنفيذها بلا جدل ولا مناقشة حتى ولو كانت
غير معقولة ولا مقبولة .

— لقد وجدت فلسفة للعسكرية تبرر بها سخافاتنا .
ثم رفعت عينها إلى رأسه وأردفت وقد افتر ثغرها
عن ابتسامة واسعة :

— وأظن من بين تلك السخافات حلاقة الرأس .
— قد تبدو فى مظهرها سخافة . . وإن كانت تخفى
فى باطنها أبلغ الحكم .

— كيف ؟

— أولها ترويض النفس كما قلت لك على قبول
مالا تشتهى مهما بدا من عدم فائدته وسخافته .

— وثانيها ؟

— تعويد المرء على ألا يضع اعتداده وثقته بنفسه
في مظهر تافه . . كأنما هو شمشون إن زال شعره زالت
قوته . . إن نفسه هي نفسه . . بشعر أو بغير شعر .

— وثالثها ؟

— النظافة . . وعدم تضييع الوقت في التمشيط
والنزين . . و . .

وقاطعته ضاحكة :

— كفى . . كفى . . حتى لا تجعلى أعدو لقص شعرى
وتحقيق كل هذه المزايا التى تذكرها .

وشاركها ضحكها وهو يقول :

— إني أقصد بقولى . . الشعر . . لاخيوط الذهب .
ورفعت إليه عينها متسائلة فى خبث :

— أيعلمونكم فى المدرسة دروس غزل . . إلى جانب

الدروس العسكرية ؟

وكان علام قد اقترب ، فأردفت تقول مؤكدة :

— ستحضر إذن في الخميس بعد القادم .

— إن شاء الله .. أدعى الله أن يمنح البندقية نمرة ٧٩
نظافة من عنده .. أو إذا استعصت نظافتها ، وأظنها
مستعصية .. فليصب الباشجاو يش نمرة ١٤ ، محمد علي رجب ،
بوجع في عينيه يجعله لا يبصر وساختها .. حتى يمر الأسبوعان
القادمان على خير .

وضحكت أنجي قائلة :

— سادعو الله أن يخرجك وكفى ... فلا أظنني
بمستطاعة حفظ كل هذه النمر التي قلتها .. سأنتظرك هنا
بمجرد عودتي من المدرسة إلى حوالى الرابعة والنصف ،
وسنتفق على الذهاب إلى سينما .

— سأكون هنا في الموعد ولو أدى الأمر إلى قتل
الباشجاو يش ، والجاو يش الأحمر .. سأتركك الآن ..
فأخوك لا يسره كثيراً وجودى .

— دعك منه .

وسلم دعلى ، مودعاً ، وأقبل علاء يقول لحسين متسائلاً
في استخفاف :

— أتقبل تحدياً آخر؟

ونظر إليه حسين في غيظ وقال :

— تحدياً آخر؟ .. أنا أقبل كل تحد ، ولكن دعني
أختار الهدف .. إمسك الوردة ، وسأريك كيف تكون
الإصابة .

وقهقه علاء وقال ساخراً :

— أنا لا أمسك بالورد .. أنا أمسك سلاحاً فقط .

ونادى على أخاه :

— هيا يا حسين .. لقد أزف الوقت .

وقال حسين لعلاء وهو يتجه إلى أخيه :

— نحن نملك الورد لمن يريده ، والسلاح لمن يستحقه ،

سنلتقي ثانية .. دع التحدي إلى فرصة أخرى .. العمر
طويل ، والأهداف كثيرة .

وقهقه علاء ، وصاح وهو يشيع الأخوين العائدين
قائلاً بلهجة هازئة :

— ضباط .

— ثم أخذ يطلق بندقيته وراءهما في الهواء وهو

يقهقه في حق .

وصاحت به أنجي حانقة :

— علاء .. كف عن هذا .

ثم حانت منها التفاتة إلى المنضدة فوجدت منديلها

الصغير وقد بدت عليه بقع حمراء من أصبع علي .
وهمت بأن تصبح بعلي لتعطيه المنديل ولكنها أطبقت
عليه يدها قائلة لنفسها :

— إنني أحق بالاحتفاظ به .. إن به منه أكثر مما به مني
لقد حمّلت عطرى ، ولكنه حمّله دمه .. سأحفظه لدى ..
كأعز ما أملك .

ووقع بصرها على الوردة التي أسقطتها الطلقة من يد علي
فالتقطتها من فوق الحشائش ولفتها بالمنديل ثم أطبقت عليه
يدها ، وعادت إلى البيت ، وكأنها تحمل كنزاً .

ورجع الأخوان إلى البيت ، وعندما أظف موعد الرحيل
غادرا البيت متجهاً كل منهما إلى مدرسته .

عاد علي ، إلى المدرسة محملاً بععبء من المشاعر ..
وجلس على طرف فراشه بعد طابور التمام يخلع حذاءه
الطويل ، الووانجتون ، وأخذ يرقب زملاءه العائدين من
أجازاتهم مرحين ضاحكين يقصون مغامراتهم ويرد تحياتهم
شارد الذهن غارب البال .

إن مشاعر ، أنجي ، تتواتر عليه بسرعة وعنفاً شديداً
يتوقع أو يحتمل ، وهو عندما يحاول استعادة ما جرى
بينهما اليوم لا يستطيع أن يصدق وقوعه بسهولة ..

ولا يستطيع كذلك أن يتذوق حلاوته من شدة انهماكه
وفرط حلاوته .

هو لا يستطيع أن يصدق إنها قالت ما قالت ، وإنه قال
لها ما قال ، وأكثر من هذا لا يستطيع أن يصدق أنه
مس بأصبعها شفثيه ، وأنها قالت له في صوتها الذائب
« شكراً » .

وانتقل ذهنه بعد ذلك من الجانب الحلو إلى الجانب المر ،
وقفز من السهل إلى الوعر .. فسامل نفسه مانهاية كل ذلك ،
وذكر شعور أخيها وتهديده وتحديه ، وأحس بالظلمة التي
تخيم على النهاية ، وأحس بسرابية أمله فيها ، وبفرط يأسه
منها .. ثم حاول أن يطرد من ذهنه النهاية البعيدة وأن
يقصر تفكيره عنها فيتركها لله والظروف والحظ والقدر ،
وغير ذلك من نواحي التواكل التي يوكل إليها اليأس كل
ميؤوس منه .

ولكنه حتى مع قصر تفكيره عن النهاية البعيدة المظلمة
السرابية الميؤوس منها ، وحصره في الحاضر الحلو المرجو
منه المأمول فيه .. أحس بالكثير من الخوف والقلق .
إلى أي حد يمكنه السير في ذلك الحاضر ؟ وإلى أي
مدى تساعد إمكاناته على الانتفاع به ؟ .. أتراه ينوي

أن يقصر لقاءها على جلسة في العربة ؟ ثم كيف يستطيع لقاءها ، وعطلته - إذا أخذ عطلة - يومى الخميس والجمعة وعطلتها يوم السبت والأحد ؟ وإذا عرضت عليه الذهاب إلى السينما كما قالت اليوم ماذا يفعل ؟ أيسطيع أن يذهب ؟ أيمكنه نصف الريال الذى يمنحه إياه أبوه - وهو يعرف كيف يمنحه إياه - والذى يصرف نصفه فى المواصلات .. أيمكنه الشان الباقى من الذهاب معها ؟ أيمكنه الشان من دعوتها ؟ أم تراه سيسألها أن تدفع له ؟ كان فيما مضى يستطيع أن يدعوها فى أوهامه كما يشاء ، كانت الأوهام لا تكلفه إلا مجرد التفكير .

أما الآن ، وبعد أن تحققت الأوهام .. فقد أضحت المشكلة عويصة حتى لقد بات يتمنى لو عادت أوهاماً كما كانت ، أو .. لو وقع عليه الباشجاو يش الحبس .. فأنقذه من الورطة التى يوشك أن يزج بنفسه فيها .

ولكن الحنين إلى رؤيتها جعل فكرة الحبس تبدو بغیضة إلى نفسه ، وإلى متى الحبس ؟ ! أنراه سيحبس كل جمعة .. فراراً منها ، ومن عجزه عن الذهاب معها إلى السينما ؟

لو عرفت هى أن لقاءهما فى السينما لم يهيئه إلا الخمسون

قرشاً الباقية من مصروفات حسين من مشوار اسكندرية ،
لجنته دعوتها ، ولا اكتفت بلقاء بسيط في الحديقة .

ولكن إلى متى يمكن أن يستمر لقاء الحديقة سهلاً
ميسوراً .. أسيركه علام ؟ ألن يشعر به الأمير ؟ ألن
يهمس به أحد العمال أو الفلاحون ؟

وأهل القرية ؟

إن هذه الأشياء لا تخفى كثيراً عن الأعين الريفية
الفضولية ، والهمس بها لا يمكن أن تصمت عنه ألسنتهم
الثرثارة ، وإن بلغ مسامع الأمير .. فهل يأمن بعد هذا
على رزق أبيه ؟

أف .. إن رأسه يكاد ينفجر !

ولكن ماله يرفق ذهنه بكل تلك السخافات ؟ !
ألا يكفيه أن أحلام الدجى ، وأمانى الخيال .. قد تحققت
كأقوى ما يكون التحقق ؟ ألا يكفيه أنها تحبه ؟ !

أجل .. أجل .. إنها تحبه .. إنها تفكر فيه .. إنها تدعوه .
ويح من غبي أحق ! !

ووجد نفسه يقفز من طرف فراشه في فرح وقذف بحذائه
في العين السفلى المخصصة للأحذية من الدولاب .. ثم علق
بدلته ومد يده في الدرج العلوى الأيمن المخصص لحاجيات

الطالب الخاصة غير الصرفية الأميرية والذي يوضع فيه المشط
والفرشاة وعدة الحلاقة ، وأخذ يتحسس أوراق وردة
جافة ذابلة ، ويدندن بأغنيته المحبوبة :

ردت الروح على المضنى معك

أحسن الأيام يوماً أرجعك

ثم اندفع بين رفاقه ضاحكاً لاهياً .

ومرت أيام الأسبوع بعد ذلك سريعة متوالية ..
مشحونة بكل ما يمكن من أنواع الإرهاق والعمل الذي
يمسك بتلابيبهم فلا يدع لهم فرصة راحة ولا تفكير ، وإن
كانت الطواير قد خفت بعد أن انتهت مدة المستجدين ،
والأجساد قد أضحت أكثر تحملاً من فرط ما تعودت
الإرهاق ، والنفوس أشد صبراً على الأذى والجزاء من
طول ما مارسته حتى بات الجزاء عندها من لوازم
العمل .

وانقضى الأسبوع الأول .. وجلس د على ، وصاحبه
سليمان في مكانهما المعتاد في مدرج الكرة ، ونعم د على ،
باجترار الذكرى وسرد تفاصيلها على سليمان ، واستمع
سليمان إلى حديث صاحبه كما تعود دائماً أن يستمع إليه
مسروراً بسروره سعيداً بسعادته ، ولكن بعض الحديث

رسب في ذهنه فعكر صفوه ووجد نفسه يعمق بتفكيره فيه ويلتقطه ليصله بتفكيره الخاص ويربطه بموضوعه الذي يشغل ذهنه .. فلا يكاد ، على ، ينتهى من حديثه حتى يلفظ من صدره تهيدة حارة ويقول في صوت عميق :

— تلك هى العلة يا على .. لقد عرف أخوها كيف يشخصها .. ووضعنا حيث نحن كائنون .. لا كما تضعنا الألفاظ البراقة التى نتشدد بها وتعمى بها عيوننا عن الحقيقة المرة .. وأحرار فى بلادنا .. كرماء لضيوفنا .. ونحن عبيد فى بلادنا أذلاء لضيوفنا .. نحن عبيد للإنجليز وللأمراء وللحكام وللإقطاعيين .. ولنا حدود يجب ألا نتعدها .. والملابس لا تمنحنا حدوداً أوسع .. ونحن للأسف لا نفعل أكثر من أن نغير ملابسنا .. ونظل كما نحن بنفوس العبيد .. أشياء كثيرة فى هذا البلد يجب أن تتغير .. حتى تضجى بلادنا لأهلها .. لا للإنجليز والأتراك .. ومن دار فى فلصهم .. لا بد أن تتغير نفوسنا .

وصمت سليمان وقال ، على ، معقباً على قوله :

— إن الزمن كفيل بتغيرها .

— الزمن لا يكفى .. مفعول الزمن بطل ، وغير مضمون

لا بد من الجهاد الشاق والكفاح المرير .

ولم يفهم د علي ، ما يقصد سليمان بألفاظه المهمة الواسعة
غير المحدودة .. وتركها تمر عابرة كما كان يمر به بقية أحاديث
سليمان عن الاستعمار ، والاستعباد ، والكفاح ، والظلم
والطغيان وغير ذلك من الألفاظ التي كان د علي ، لا يجد فيها
أكثر من ألفاظ جوفاء يستعملها قادة المظاهرات والخطباء
دون أن تقصد شيئاً أو تؤدي إلى شيء .

ومر أسبوع آخر .. وفي يوم الخميس خرج د علي ، مع
بقية الطلبة دون أن تحول البندقية بينه وبين الخروج .. رغم
أنه تمنى في كثير من اللحظات أن تنقذه من مواعده
في الحديقة ومن ورطة السينما التي يوشك أن يزج بنفسه فيها
دون أن يعرف لها حلاً .

وعاد إلى البيت وهو يطبق على نصف الريال المتبقى من
مصرف الجمعة السابقة وكان يأمل أن يكون حسين مازال
يحتفظ ببقية من النقود ليعتمد عليها في ورطته .. ولكن
أمله خاب عندما علم من أبيه أن حسيناً لن يخرج هذا الأسبوع
لأنه نوبتجي .

وفي الرابعة والنصف كان د علي ، يدلف من الباب الخلفي
ويتجول قرب السوبة كأنه يشاهد الزهور ، وقد أحس أن
على كتفيه عبئاً يتشاقل كلما اقترب الموعد حتى بات يتمنى

لو استطاع العدو .. أو لو عاقب أنجي ، عن الحضور عائق .
ولكن ، أنجي ، أقبلت بعد هنية وقد بدت عليها
العجلة وكان أول مآقالتة :

— لن أستطيع البقاء لأن أخى ينتظرنى للنزول إلى البلد
لقد قطعت أربع تذاكر حتى نضمن الجلوس متجاورين ..
خذ هاتين التذكريتين لك وحسين ، وسأحتفظ بالتذكريتين
الآخرين لى ولعملاء .. وسيدو تجاورنا كأنه محض
مصادفة . سنكمل الحديث فى السينا .

وقبل أن يجيب عايلها بكلمة واحدة عادت مسرعة من
حيث أنت ، بعد أن دسّت التذكريتين فى كفه .
ووقف يرقبها وهى تتباعد مسرعة ، وتحسس التذكريتين
فى دهشة .. وأحس على بالعبم ينزاح عن كاهله .



نذیر مہاجر



أن القدر قد أصابته نوبة كرم طارئة ذلك
الأسبوع . فهو لم يكتف بتدبير تذاكر السيما
فحسب بل تطوع بتدبير لقاء لم يكن ، على ، يحلم به .
ذهب ، على ، إلى السيما يحمل التذكرتين اللتين قذفت
بهما إليه ، أنجى ، في لقاءهما العاجل .

وجلس في مقعده وبنفسه بعض الأسف لأن ، حسين ،
حرم من التذكرة التي في جيبه وتمنى لو استطاع أن يذهب
إليه ليخرجه ويحضره معه .

وأطفىء النور دون أن تحضر ، أنجى ، ولم يحاول
، على ، أن ينظر إلى الشاشة ، بل أخذ يرقب كل شبح من
المقبلين في الظلمة محاولاً أن يتبين ، أنجى ، وأخاها ، حتى
أبصر شبحاً يقترب من الصفوف استطاع أن يميز فيه
، أنجى ، وحدها وسمعها تهمس في أذنه وهي تشد
على يده :

— أتأخرت عليك ؟ لقد عطلى علام . . انتظرتة مدة
طويلة ثم أرسل لي السائق يقول لي إنه لن يأتي لأنه مدعو
إلى سهرة في نادى الصيد .

وأحس على أن قلبه يوشك أن يقفز من بين حناياه . .

أيمكن أن يكون هذا واقعاً ؟ حقيقة أنهما سيجلسان
وحدهما طوال مدة العرض ؟

وتلفت ، أنجي ، بحذر وقالت مستدركة كأنما قد نسيت
أمراً !

— أين حسين ؟ إلى متى لم أسلم عليه !

— إنه لن يأتي . . لأنه في المدرسة .

— أحقاً ؟

وخرجت كلمة ، حقاً ، من شفيتها تتأرجح بين الأسف
الظاهر والغبطة الخفية . وكان لسان حالها يقول :

« أحقاً سنجلس سوياً هذه المرة دون أن يشاركنا
في خلوتنا ثالث ؟ »

كأنما قد نسيت كل هؤلاء الخلق الجالسين حولها في
مقاعدهم .

وانتهى الفيلم . . انتهى هكذا في غمضة عين . . ولم ير
الإثنان منه صورة . . ولم يسمعا منه صوتاً . . لقد ركزا كل
حواسهما في أصابعهما المتشابكة المختفية تحت معطف
« أنجي » الذي فردته على ساقيهما واستقر طرفه على
ساقه .

وعاد الإثنان إلى العزبة . . وبنفسيهما من النشوة

والإحساس بالتقارب والتلاصق والاندماج ما جعلهما
يشعران أنهما شريكان في حياة واحدة .. وأن ذهابهما
إلى السينما وحدهما وعودتهما إلى العزبة أمر طبيعي من
الواجب حدوثه .. وأن الشيء غير الطبيعي هو حدوث
الفرقة بينهما .. وأن يكون كل منهما في ناحية .
وافترقا أخيراً .. إلى لقاء .. وبنفس كل منهما إحساس
بحقه على الآخر وواجبه نحوه .. حق مسلم به .. وواجب
لا مفر منه .

وعاده على ، إلى المدرسة في هذه المرة .. دون أن
يستبد به القلق من المصير .. والخشية من النهاية .. لقد منحته
ثقة كبرى .. منحته ثقة غير مباشرة .. من مجرد طريقتهما
في الحديث إليه .. ومن تسليما جدلاً .. بأن كلا منهما
أصبح الآخر .

كان ما يشغله هذه المرة شيئاً آخر غير مصير حبه ..
شيئاً آخر .. استطاع أن يدركه من ملامح أبيه ومن فلتات
لسان أمه ، وهو القسط الثاني من المصروفات المدرسية الذي
قارب موعده على الحلول .

لقد صرف أبوه الكثير على البيت حتى يجعله يبدو
بالمظهر اللائق به وبأخيه ، وغلبت رغبته في إرضائهما وفرحته

بهما حرصه على التقدير الواجب لتدبير المال . وهو رجل شديد
الإيمان بالله ، شديد الثقة به .. يعتقد اعتقاداً جازماً أن الله
لا يخذله مادام يفعل ما يرضيه .

ويبدو أنه كان يأمل في مكافأة سنوية تعود أن يهبها له
الأمير آخر كل عام ليستعين بها على تكملة القسط ، ولكن
حال الأمير هذا العام لا يبني بخير وثورته الدائمة على
الفلاحين وشكواه من خفض الإيجارات ومن محاولتهم
نهبه وسلبه لا تبشر بأنه ينوى أن يمنح شيئاً .

ولم يبق أمامه للتسديد غير الفدائين .. وبيع الفدائين
في هذا الوقت الذي هبطت فيه قيمة الأرض يعتبر
جنوناً .

هذا هو ما استطاع أن يدركه من مظاهر الضيق والقلق
البادية على أبيه .. ومن الأحاديث العابرة التي يفرج بها عن
نفسه بين حين وآخر .

وانتقل الضيق من الأب إلى الابن بل كان ضيق الابن
مضاعفاً .. فهو ضيق من أجل أبيه الذي كان ينزله من نفسه
منزلة عليا ، وضيق بالمشكلة نفسها وبما يمكن أن يعقبها من
ضياح مستقبل أو من لجوء إلى قرض أو من فضيحة السؤال

أو . . أو . . إلى آخر كل ما يمكن . أن يقوده إليه ذهنه
من النتائج السيئة والخاتمت الشقية .. التي كان يربض وراءها
كلها . . شبح ، أنجي ، والخوف من فقد ها .

وكان المفروض أن يخرج في الأسبوع التالي . وكان
الآمل في لقاء ، أنجي ، يضيع الكثير من مرارة الخوف
والقلق ، ولكن الطالب الذي كان عليه الدور في نوبتجية
العبر دخل المستشفى وكان هو النوبتجي المنتظر فاضطر
إلى البقاء .

وزاره ، حسين ، في يوم الجمعة . . وأكد له في حديثه
ما تبينه من إحساس أبيه بالضيق والأزمة .

وزاده هذا ، بالإضافة إلى الضيق الذي يسببه بقاؤه في
المدرسة ، وتخليه عن موعد ، أنجي ، ، إحساساً بالحزن ،
ومر به الأسبوع التالي وهو يشعر بحمل من اليأس يحتم على
نفسه . وهو يحاول سدى أن يجد حلاً لازمة أبيه .

إن كل ما يستطيع أن يفعله هو أن يبذل أقصى جهده في
الدروس والطواير عسى أن يفوز بترتيب متقدم يمنحه
مجانبة التفوق ويوفر على أبيه المصروفات .

ولكن حتى هذا لو فاز به — رغم أنه يجده أمراً عسيراً
وهو يرى نفسه في المدرسة بلاميزة واضحة ولا كفاءة ظاهرة

أمام الضباط وصف الضباط — حتى هذه الأمانة لن تتحقق إلا في نهاية العام . . عندما يعقد امتحان الانتقال من القسم الإعدادى إلى القسم المتوسط . . والقسط مطلوب سداً في آخر هذا الشهر .

وأقبل يوم الأربعاء . . وعاد على ، من طابور الألعاب منك الجسد ، مخدوش الركبة ، عقب إحدى محاولات النط العالى . ووقف أمام الدولاب يخلع ملابس الألعاب البيضاء ليستبدل بها ملابس الطابور الكاكية استعداداً لطابور الهتاف .

وقذف بالقبعة التيل البيضاء المتهذلة أطرافها على أذنيه ، ثم بالحزام الأبيض العريض داخل الدولاب ، وجلس على حرف الفراش فى حذر خشية أن يتلف ترتيب الملاءات والبطاطين ، وأخذ يخلع الحذاء الأبيض الخفيف ويرتدى الحذاء الأسود الثقيل ويربط فوقه القاشين .

وكان يشعر — لأول مرة خلال الأسبوعين الماضيين — أن عبء الموم الذى أثقل كاهله قد أخذ يخف ، وغيوم الضيق قد أخذت تنقشع بمجرد الإحساس باقتراب يوم الخميس . . وبأن متاعب الأسبوع أوشكت على الانتهاء وأنه

بعد وقت قصير متبدأ حصص المذاكرة (أو حصص نور
كما كانت تسمى) وتبدأ معها تصاريح الفسحة أو تصاريح الحرية
وجوازات المرور من الجحيم إلى الجنة .

وانتهى من ربط إحدى فردي القالشين ، والشبح الجميل
يطوف بذهنه طوافاً خفيفاً عابراً .. مسلطاً عليه أبهى
الأضواء ، مغرداً أعذب الألحان ، محاولاً أن ينتشله من
وهدة السكابة والقلق التي ألقاه فيها طوال الأسبوعين
الماضيين إحساسه بأزمة أبيه وعجزه عن دفع القسط .

وهكذا علاونه الإحساس بقرب الخروج وأمل اللقاء
على تبديد كآبة اليأس والهم . ووجد نفسه يربط فردة
القالشين الأخرى بشدة وعزم ثم ينهض ليخلع القميص
الابيض وكأنه يخلع عنه همومه وأحزانه ويهتف بنفسه :
« دعها لله يدبرها كيف شاء » .

ولجأة ، وقبل أن يضع الجاكتة على جسده ، انطلق
صوت البروجي يدوى .. وذهل د على .. ونظر إلى الساعة
في يده فوجدها ما زالت الخامسة وخمس دقائق . وموعد
نوبة طابور التمام والهتاف هو الخامسة والنصف . وهز
الساعة وأدار مسمار الملء لعابها واقفة ، ونظر إلى بقية الرفاق
فوجدهم ما زالوا يتسكعون في ارتداء ملابسهم وقد بدت

عليهم الدهشة واندفع الأومباشى « بكر ، بالفانلة والسر وال
إلى الطرق مطلا برأسه ، فوجد البروجى « حبلص ، قد وقف
بالبنطلون والفانلة ، وأخذ ينفخ فى البروجى وقد احمر وجهه
وانتفخت أوداجه .

وصاح الأومباشى « بكر ، بالبروجى :

— حبلص . . ما هذا ؟ ! أجننت ؟ . . مازال باقياً على
التمام نصف ساعة ؟

ولكن « حبلص ، استمر فى النفخ ، وانطلقت نوبة
الجمع تتجاوب أصداؤها فى أنحاء المدرسة محدثة بانطلاقها
المفاجئ نوبة من الذعر والدهشة ، واندفع الطلبة من
الحمامات ، والعنابر ، والطرق أشباه عرايا متسائلين عما
حدث .

وقبل أن ينتهى البروجى من نوبته ، اندفع أركان حرب
المدرسة من الطريقة السفلى إلى الفناء ورفع عقيرته بالصياح :
— باشجاویش ، اجمع الطلبة ، كما هم ، عندك فى
الطريقة .

واندفع الباشجاویش يردد صيحة الأركان
حرب :

— اجمع الطلبة كما هم ، بسرعة

وسرى الصدى إلى بقية صف الضباط وفى لمح البرق
ترددت الصيحة فى أنحاء المدرسة :

— اجمع الطلبة

وفى غمضة عين كانت المدرسة قد اصطفت طابوراً
عجيباً فى الطريقة العليا ، وقد ظهر الطلبة بتشكيلة عجيبة من
الملابس والمناظر ، وقد أمسكوا بالفوط وقطع الصابون
فى أيديهم .

وأخذ الجاويش تماماً من أومباشية الأصناف عن
أصنافهم ، وترددت فى الطرقات الصيحات التقليدية للتمامات
ثم انتقلت التمامات من الجاويشية إلى الجاويش
النوبتجى :

— تمام واحد ؟

— تمام يافندم .

— تمام اثنين ؟

— تمام يافندم واحد شفخانة وواحد معاف .

وصاح الباشجاويش :

— المعاف يحضر ، إنه معاف من الطواير والألعاب

وهذا ليس طابور أو ألعاب .

— حاضر يافندم .

وفي تلك اللحظة سمعت أصوات أقدام صاعدة على السلم المؤدى من أسفل إلى الطريقة العليا . . واستطاع الطلبة أن يميزوا بطرف أعينهم أشخاص القادمين فازداد ذهولهم ، إذ تبينوا في مقدمتهم كبير المعلمين الإنجليزى ، الطويل القامة ، الضيق الكتفين ، الضخم الأنف ، وقد ارتدى طربوشه الغامق على وجهه الأحمر ، وسار محركاً عصاته القصيرة بين أصابعه ، ووراءه أركان حرب المدرسة بجسده الضخم ووجهه الأحمر ، والزبد الأبيض على طرفي شفتيه ، ولفيف من ضباط المدرسة يتبعونه فى شبه طاوور .

وصاح الباشجاویش وهو يرى الراكب يتقدم نحوه :
— مدرسة .

ثم انتظر حتى اقترب الراكب وأطلق نداءه (انتباه) ممدود المقطع الأول مخطوف المقطع الثانى :

— انتہ ... بياہ .

وفي طريقة واحدة ضمت الأكواب إلى بعضها ووقف الطاوور كأنه صف أصنام .

وتقدم الباشجاویش إلى كبير المعلمين ورفع يده بشدة محيياً ، واهتزت أطراف أصابعه برهة من شدة التحية كأنها

خير ان يلب ، ثم ما لبثت سبابته أن استقرت على حاجبه
وصاح :

— تمام يافندم المدرسة .

ورفع الانجليزى عصاه مشيراً بها إلى جبينه ، مجيئاً تحية
الباشجاو يش ثم قال له :
— صفا .

ونادى الباشجاو يش :

— مدرسة . . صفا .

ونقل الطلبة قدمهم الأيسر نقلة بسيطة واستمروا في
أماكنهم كالأوتاد وأذهانهم حائرة ونفوسهم مشدوّهة
وقلوبهم واجفة ، فما كان أحد منهم يمكن أن يتوقع خيراً
من الانجليزى الرهيب .

وبدأ الرجل حديثه قائلاً بعربية ركيكة مستعیناً
بإشارات من عصاه يلوح بها في الهواء :

— إسمع الطلبة . . فيه كلام إنه ينكن (قاصداً يمكن
واضعاً النون بدل الميم) . . ينكن (وأخذ يكررها بضع
مرات) . . يعنى ليس شيئاً مؤكداً . . بل مجرد احتمال . .
أن يكون هناك ترقية . . قبل آخر السنة . . أعنى أن القسم

النهائي يتخرج ضباطاً .. قبل مواعده .. وجزءاً
من القسم المتوسط يحل محل النهائي ، لكي يخرج آخر السنة .
و جزءاً من الإعدادى ينتقل إلى المتوسط ، بدل المتوسط
الذى ذهب إلى النهائي ، ولذلك سيجرى امتحان يوم السبت
القادم ، وأمامكم من الآن فرصة للذاكرة ، شدوا
حبلكم .

ثم رفع عصاه إلى جبينه محياً وصاح الباشجاویش :
— مدرسة .. انتباه .

وقبل أن ينصرف الأركان حرب قال للباشجاویش :
— انصراف يا باشجاویش بدون ضجة .. التمام في
مواعده .. وكل شيء في مواعده .. وستعلن باكر مواعيد
الامتحانات في لوحة الإعلانات .

وتباعد الركب في طريقه إلى العودة هابطاً السلم إلى
سفل وصاح الباشجاویش :
— مدرسة .. صفا .

وكان الانصراف بلا ضجة أمر عسير ، بل
مستحيل ، بعد هذه القنبلة التي ألقاها كبير المعلمين ببساطة ،
وعاد إلى قواعده كأنه لم يفعل شيئاً .. ولم يكذب
الباشجاویش ينادى صفا .. حتى سرت مهمة جعلت

الطابور أشبه بخلية النحل بما حدا بالآركان حرب أن يلتفت
خلفه ويصبح منذراً :

— باشجاویش .

وبما حدا بالباشجاویش ، أن يصبح بدوره في الطلبة :

— وبعدين .. ياغجر .

ولكن المهمة استمرت ، فقد كان النبا أكبر من
أن تحمله أعصاب الطلبة .. وكان من العسير التحكم فيهم
والسيطرة على الضبط والربط بينهم ، ولم يجد الباشجاویش
بدأ من أن يسرع بصرفهم صائحاً :

— مدرسة .. انتباه .. مدرسة .. انصراف .. لا أريد
أن أسمع صوتاً أو ضجة .. التمام في موعده .. وكل
أومباشى مسئول عن صفه .

واندفع الطلبة كالمجانين لا يدرون ماذا يفعلون .

أمعقول هذا ؟! هذه المدرسة التي جرت عاداتها على أن
تخرج طلبتها بالقطارة ، وبنظام ومواعيد وروتين لا يتغير ،
تجرى امتحاناً بعد غد !

وكان أول من فقد السيطرة على نفسه هم صف الضباط
المفروض فيهم أن يحافظوا على نظام الطلبة .. فقد رأوا أنهم

سيصبحون ضباطاً في غمضة عين . وينطلقون بعد
بضعة أيام من سجن المدرسة .

واندفعوا يحتضنون بعضهم البعض وانهاالت التعليقات
من أفواه الطلبة الآخرين ، وأخذ معظمهم يضربون كفاً
بكف وصاح أحدهم في ذهول :

— امتحان يوم السبت .. ومن الذى يستطيع أن يستذكر
كل هذه الدروس في يومين ؟

— الكل فى الهوى سوى .. سيكون الامتحان ..
إختباراً للذكاء .. لا .. للاستذكار .

وسار د على ، فى صمت ووجوم وذهول .. دون أن
ينبس بينت شفة . عجباً هذا القدر !! أيمكن أن يكون الله
قد نوى تدبير أمره بهذه السرعة وبهذه الكيفية ، لقد ألقى
هو العبء عليه وهو يرتدى ملابسه عندما طافت د أنجى ،
برأسه وبددت قلقه وخشيته فهتف لنفسه من أعماق قلبه ..
«دعها لله يدبرها كيف شاء ا» ،

وعندما قال هذا ، لم يكن يدري كيف يمكن أن يدبرها
الله .. ولكنه قالها محولاً العبء الذى أثقل على نفسه ..
إلى قوى قدير رحيم بعباده .. لقد ترك المشكلة إلى الله ..

لا بأمل تدبيرها فعلا ، بل بأمل إبعادها عن نفسه . . وإلقاء همومها ، حتى لا تعكر صفوها عندما يلتقى بانجى .
ولكن الله يبدو وكأنه كان ينتظر دعوته ليستجيب له ويدبر أمره .

إن الإمتحان بعد غد ، وسينقلون عشرة الأوائل إلى المتوسط بدل العشرة الذين سيحلون محل النهای المتخرج ، وهكذا أتاحت له فرصة القرب من امتحان يمكن أن يجرب فيه قدرته ، ويحصل على مجازية تفوق توفر على أبيه مصروفاته وتجنبه حاجته ، وهى بعد ذلك ستوفر له عاماً من عمره . . وتقرّب له أمله المرموق إثني عشر شهراً .

ولكن هل سيهيىء له الله النجاح ؟ أم ترى المسألة لا تزيد على شعلة برق لا تلبث أن تخبو بعد التمام ؟

على أية حال لقد سنحت الفرصة ، وعليه أن يبذل جهده والامتحان بهذه الطريقة العاجلة ، هو أفضل طرق الإمتحان بالنسبة له ، فهو دائم الفوز فى الإمتحانات المفاجئة الخاطفة التى لا يطول التحضير لها ، وكلما طالت مدة الاستذكار كلما قلت فرصته ، فهو شرود الذهن بضيق بكثرة الاستذكار ويعمل طول الانكباب على الكتب ، فإذا تساوى الجميع فى قلة الاستذكار والتحضير ، أصبح الذكاء وصفاء الذهن هو

العامل الحاسم في نتيجة الإمتحان ، وهو سلاح يعتبره من أمضى أسلحته .

وانتهى طاوور الهتاف ، ودخلت كل فرقة إلى فصولها ، ومازالت المدرسة كخلية النحل ، وطلبة القسم النهائي يكاد يكون سيرهم رقصاً ، وحديثهم غناء وصفيراً .

وجلس « على » على مقعده في الفصل وذهنه ينطلق في شروده لا يستطيع أن يسيطر عليه لاستعماله في المعركة الجديدة التي يوشك أن يخوضها .

وبدأ حكمدار الفرقة يوزع التصاريح التي انهمك الطلبة في كتابتها .. وأمسك « على » بالتصريح ، وارتسمت على صفحته البيضاء صورة حبيبة إلى قلبه ، ذهبية الشعر ، وضاعة القسمات حلوة البسمات ، وأحس بالحنين إليها .. وبدأ بكتابة اسمه محاولاً إقناع نفسه أنه يستطيع أن يأخذ الكتب للاستذكار في البيت .. على أن يكتب في لقاء « أنجي » بضع دقائق في الحديقة يطفيء فيهما ذلك الحنين المستعر في حناياه ، ثم ينبئها بأن لديه امتحاناً وأنه لا بد أن يعود للاستذكار .

وانتهى من كتابة التصريح ثم أحس بوجه آخر يحل محل الوجه الأول ، وجه مغضن لا ذهبي الشعر ولا حلوة البسمات قد أحاط به الشال الأصفر وارتسمت عليه ملامح ضيق

حاول جهده أن يضيقها بإيمانه وصبره .
وخيل إليه أن الوجه يوشك أن يريق ماء مرة أخرى
فأمسك بالتصريح ومزقه ، وتمتم بشفتيه بضع كلمات كأنما
يعتذر لأنجي المنتظرة العانية ، ولقلبه المشوق
اللائم .



طبرستان



فترة الإمتحان ، وكان ، على ، يحس أنها فترة
بدأت جهاد شاق عنيف لا بد له أن يجتازها ، فأبعد عن
ذهنه كل عوامل الشرود ومسببات الترفيه ، وجرّده من
أوهامه الجميلة وأحلامه المعسولة ، وانطلق يعدو بكل ما يملك
من قوة وجهد في صحراء جرداء من الطواير والمحاضرات
وامتحانات التكتيك ، والطبوغرافيا ، وهندسة الميدان ،
والتاريخ العسكرى .

ولم يخرج في الجمعة التالية فقد كانت الإمتحانات لم تنته
بعد ، وكان قد عزم على ألا يمنح نفسه فترة استرخاء أو
استجمام حتى ينتهى الإمتحان ، وأن يستمر فى حرمان نفسه
وصوم قلبه وفطام ذهنه حتى تمر فترة الجهاد .

وكان حسين قد زاره مستفسراً عن سبب غيبته منبثاً إياه
أن ، أنجى ، سألت عليه فى الأسبوع الماضى ، ناقلاً إليه شوق
أمه وأبيه ، وفى الأسبوع التالى تقرر سفر المدرسة إلى منقباد
لعمل المناورة ، ولإتمام بقية الإمتحانات العملية للمشاة
والتكتيك والطبوغرافيا ، وبدأ الإستعداد للرحيل ، وتسلم
الطلبة مهبات المناورة من مخلات لوضع الملابس ومشمعات
للنوم ، ومعاطف كأكية ، وزنطات (طراير تلمصق بياقة

المعطف) وأخذوا يحزمون أمتعتهم استعداداً للرحيل
يوم السبت ، عقب أن يعود الطلبة من أجازاتهم
الأسبوعية .

وحل يوم الخميس وكان قد مضى على د علي ، شهر من
الصوم ، وأحس أن سفره إلى المناورة سيلقى به إلى شهر
آخر من الحرمان . . وأنه إن لم يتزود هذا الأسبوع بما
يقيم أوده من اللقـاء الجميل والذكرى الممتعة فقد جلدته
وأضاع صبره .

وارتدى ثياب الفسحة وملأ قلبه الحنين وملأ نفسه
الشوق ، وذهب إلى الدار . فالتقى بأبيه ، وأمه ، وأخيه ،
وأمسكت به أمه تعلفه كما تعلف الماشية ، وتزعطه كما تزعط
الأوز ، وعندما انتهت من مهمتها الكبرى ، أقبل عليه أبوه
متضحكاً وسأله :

— أوحشتنا يا د علي ، . . لماذا كل هذه الغيبة ؟

— كنت في حاجة إلى كل دقيقة للاستذكار ، وخشيت
أن أضيع الوقت في الذهاب والإياب .

— لقد كنا في أشد الشوق إلى رؤيتك . . وكان
الذهاب والإياب فرصة تريح نفسك فيها من عناء
المذاكرة .

— فرص الراحة كثيرة يا أبى . . . ولكن فرصة قفز
سنتين فى سنة نادرة كان يجب أن أبذل فيها كل جهدى .
— عوضك الله عن جهدك خيراً ، وأثابك عن
تعبك بالنجاح .

— أرجو هذا يا أبى ، ولو أن النجاح لا يكفى .
— كيف ؟

— المهم هو الترتيب . إن الذين سينقلون هم العشرة
الأوائل ، ولو نجحت وكان ترتيبى الحادى عشر لما انتقلت ،
وهذا هو ما يقلقنى .

— يقلقك لماذا ؟ ألم تبذل كل جهدك ؟
— أجل .

— ألم ترض ضميرك ؟
— أجل .

— إذن دعها لله ، نحن لا نستطيع أن نفعل أكثر من
بذل الجهد وإرضاء الضمير . . . أما النتيجة فعلى الله تدبيرها ،
وكل تدبير من عنده مشكور محمود .

وانتهت فترة التحيات وتبادل الأشواق وبدأ د على ،
يحس بالقلق ، وود لو استطاع أن يثب من بينهم ويعدو إلى
القصر ليضمهم ، أنجى ، إلى أحضانه ، وكان يشعر من فرط

حينئذ أن هذا هو العمل الطبيعي الواجب عمله بعد طول غيبة وصوم وحرمان .

وانسحب « علي » وأخوه إلى حجرتهما ، وكان الفراش الحديدي القديم قد استبدل به فراشان صغيران ، والحصير قد حلت محله سجادة أضفت على الحجرة بعض الرونق .

وأحس « علي » بالحاجة إلى معونة « حسين » ، وود لو استطاع أن يعرف منه معلومات عن « أنجي » أو يصطحبه إلى حديقة القصر ، ولكنه وجدته قد بدأت في خلع ملابسها ايذاناً بالاستقرار في البيت وهو الذي لا يستقر فيه أبداً ، فسأله في دهشة :

— ماذا تفعل ؟

— كما ترى !

وضحك « علي » وتدارك سؤاله :

— أقصد لماذا تخلع ملابسك ؟

— لأنام .

— تمام ؟ الآن .. أنت ..

— أجل .. سأنام .

— ولكن لا يبدو عليك المرض !

— إني لست مريضاً .

— لماذا إذن ستنام ؟

واقرب حسين بشفتيه من أذن د علي ، وهمس :

— لأنني سأسهر .

— ستسهر ؟ . ماذا تعني ؟ . أستاذي إلى السينما ؟

— سينما ؟ يا غبي .. أهذا سهر ؟ سأسهر عند سنية .

— سنية من ؟

— سنية الضباطي .

— من تكون ؟ لم أسمع عنها من قبل .

— لضرورة لأن تكون قد سمعت عنها من قبل ، هذا

لا يضيرها كثيراً ، لقد سهرت عندها في الأسبوع الماضي

عندما كنت محبوساً مع تيم الكرة لأننا هزمنا في مباراة

الزراعة .

— وكيف خرجت وأنت محبوس ؟

— بعد أن نام الضابط النوبتجي ارتدينا ملابس الفسحة

ووضعنا المخدات في السراير وفردنا عليها البطاطين حتى

لا يكشف أمرنا عندما يقوم الضابط النوبتجي بالمرور

ليلاً ، ثم خرجنا من البوابة الغربية ، وكان معنا الشاويش

رزق كابتن التيم وهو صديق حميم للشاويش النوبتجي .

— أنت مجنون ؟! هذه مغامرة خطيرة .. كان يمكن أن ترفّت فيها لو ضبطت .

— الحمد لله .. لقد مرّرت على خير .. على أية حال ، الليلة كانت تستحق المغامرة .. لا تتصور أية ليلة قضيناها ولا كيف استمتعنا بها .. لقد رحبت « سنية » بنا جداً .. إنها تغوى الضباط .. ولاعبى الكرة .. فتصور كيف تلقى لاعبى الكرة الضباط فى الوقت نفسه .. لقد بتنا هناك .. كأننا فى بيتنا .. ولديها نساء مدهشات .. ولكنى شبكت مع « سنية » نفسها .. لقد استلطفتنى من أول نظرة .. ولم تعجبني فى أول الأمر .. فقد بدت لى سمينة وكبيرة .. ولكن بعد فترة قصيرة وجدتها لطيفة جداً وفى النوم وجدتها هائلة ، وهى متساحة جداً ولقد عرضت علىّ امرأة تعجبني .

وكان « حسين » يتحدث فى صوت خفيض ، وقد أتم خلع ملابسه ، « وعلى » ينظر إليه وقد بدت فى عينيه أقصى أمارات الدهشة والذهول وأمسك بذراعى أخيه وهزه وقال مسكراً :

— ما هذا يا حسين ؟! كيف تجسر على ما فعلت ؟! إنه أمر خطير جداً .. إن هذا الطريق الذى تسير فيه سيبنى إلى

مستقبلك وإلى سمعتك وسيبقى إلى صحتك أيضاً .. ثم النقود
من أين لك النقود التي تمكنك من كل هذا ؟

— نقود ؟ أية نقود ؟! إني لم أدفع ملياً واحداً ..
لقد كنت أشبه بصاحب بيت .. والمسألة ليست بهذه
الخطورة التي تتوهمها .. لقد قضيت بضع ساعات في جو
لطيف مرح .. مع نساء جميلات .. بلا نقود .. أية
خطورة في هذا ؟!

— والهرب من المدرسة ؟

— لن يتكرر .. سأقصر ذهابي على أيام الفسح .

— وماذا تقول لأبيك عن السهر ؟

— سأقول له إنه ليس لدىّ أجازة سوى الخميس وأنى
سأبيت في المدرسة .

— وفي الأسبوع القادم ؟

— لن آتى الخميس .. وسأخبره أنى لم أخرج إلا الجمعة .

— والذي بعده ؟

— يحلها ربنا .

ولم يبد الاقتناع على وجهه على ، واستمرت علامات
القلق بادية على وجهه وظهر عليه الشرود .
وسأله حسين وهو يجر الغطاء على جسده :

— مالك يا على ؟

— لا شيء يا حسين ، إني قلق عليك من هذا الطريق الذى تندفع إليه ، هذا جنون .

— لم تقلق يا د على ، ؟ إنك مازلت على نياتك نحن قد أضحينا رجالا وهذا هو ما يفعله الرجال ، لابد أن نمتع أنفسنا .

— نستطيع أن نمتع أنفسنا ، ولكن بغير هذا السبيل الشائك الوعر .

— شائك ؟ ! وعر ؟ ! أنت موهوم منه جداً ..
لو أنيت معى ليلة ، لعرفت إن المسألة أبسط مما تتصور ..
ستجد نفسك جالسا فى بيت ، بيت عادى جداً ، مريح جداً ، وستجد حولك نساء ضاحكات وزملاء مرحين ،
وستجد عندك الحرية أن تفعل ما تشاء وقتما تشاء .

وصمت برهة وهو يحدق فى وجه أخيه الشارد .. ثم أردف قائلا :

— مارأيك يا د على ، لو أنيت معى الليلة ؟ أوكد لك أنك ستسر جداً وستجد المسألة أيسر كثيراً مما تتصور ، وستبدد كل أوهامك عنها وأؤكد لك أن د سنية ، سترحب بك جداً ،

لقد حدثتها عنك ، ووصفتك لها ، وسألتني أن أحضرك
معي مرة ، ما رأيك يا د علي ، ؟

ورفع د علي ، وجهه ورمقه بنظرة استنكار قائلاً :

— رأيي في ماذا أيها الأحمق ! إنني لن أذهب إلى تلك
الاماكن أبداً . . إن نفسي تشمئز من مجرد تصورها .

وضحك د حسين ، وقال متسائلاً :

— تتصور ماذا ؟ . كيف تستطيع أن تتصور شيئاً
لم تره ؟ أنشمئز نفسك من بيت أنيق مريح ونساء جميلات
لطيفات ؟ ثم تقول عني أنا الأحمق . اسمع نصيحتي وتعال
معي الليلة وقل لأبيك إنك لابد أن تعود إلى المدرسة من
أجل المناورة .

ورمقه د علي ، بنظرته الإستنكارية وقال له في اقتضاب :

— لا تتعب نفسك ، أنا أكره هذه الامكنة .

— جرب مرة واحدة . .

وهز د علي ، رأسه في إصرار وأردف د حسين ، قائلاً :

— ألق على المكان نظرة واحدة .. ثم انصرف إذا لم
يعجبك .

— قلت لك لا .

— أنت عنيد . . بعد بضعة أشهر سترجوني أن آخذك
عندما تفهم الدنيا جيداً .
ثم جر الغطاء على رأسه قائلاً :
— دعني أغفل لحظة .

ووجد ، علي ، أنه لم يظفر بما يريد ، وأن المفاجأة التي
ألقاها عليه ، حسين ، قد أنسته ما يرجوه منه . وتردد برهة
محاولاً أن يجد مفتاحاً يفتح به الحديث . أو معبراً يعبر به
إلى ما يريد .

ومضت فترة صمت وهو لا يجد شيئاً يقدم به لما ينوي
أن يقول ، وأخيراً لم يجد بداً من أن يلقي بسؤاله دون
مقدمات فقال :

— اسمع يا حسين .
وأجابه حسين دون أن يرفع رأسه من تحت الغطاء :
— ها . . .

وحك ، علي ، جبينه يده وأحس بشيء من
الارتباك ، وعاد صوت أخيه يقول من تحت الغطاء ،
وكأنما يستحثه على الحديث :
— ها . . ماذا تريد ؟
— أرايت أحداً ؟

— أحداً .. طبعاً رأيت أحداً .. ماذا تظننى ؟ أسير
مغمض العينين ؟

وحدق ، على ، فى رأسه المغطاة بغیظ وهو یعلم أنه
یدرك ما یقصد ، ولكنه فقط یرید محاورته ، وقال فى
نفس اللهجة المترددة المرتبة :

— أقصد أ رأیت .. ، أنجى ، ؟

— آه .. لا .. لم أر أحداً .

وساد الصمت البغیض ، وعاد ، على ، يتساءل :

— ولكنك قلت ، إنها سألت عنى الجمعة الماضية ؟

— أجل سألت عنك .

— ماذا قالت بالضبط ؟

— لقد قلت لك ما قالت بالضبط .. قلته لك فى الأسبوع

الماضى خمس مرات متوالية .. أترید منى أن أتלוه عليك

مرة سادسة .. حسن .. سألتنى : « هالو حسین .. أين على ؟ » ،

قلت لها : « فى المدرسة » .. قالت : « لماذا لم یحضر ؟ » ..

قلت لها : « على عليك » .. قالت : « لقد مضى علیه أسبوعان

دون أن یحضر ، قلت لها : « كان فى الأسبوع الماضى

نوبتى » .. فقالت : « ولكنه لم یخبرنى » .. قلت : « إنها

نوبتية مفاجئة » .. قالت : « لعله محبوس هذا الأسبوع ؟ »

قلت : « يمكن ، قالت . « ألا تنوى زيارته ؟ » .. قلت :
« أجل ، .. قالت : « بلغه سلامي ، .. هذا كل ما قلت وكل
ما قالت .. أتريد أن أتלוه عليك مرة سابعة ؟
كل هذا والغطاء فوق رأسه .

وساد الصمت برهة وعاد « على ، يقول :
— ألم تقل لك شيئاً آخر ؟ .. أعني ألم تقل أين ستكون
هذا الأسبوع ؟ أقصد هل ستظل في القصر .. أم ستذهب
إلى السينما .. أم ..

— لا .. لم تقل . ولكنني أعرف .
— أين ؟

— لن تكون في القصر .. ولا في البلدة .. ولا في
القاهرة بأكملها . لأنها في الأقصر .

وبدت الدهشة والحذلان على وجه « على ، وتساءل
مردداً قول أخيه في عصبية :

— الأقصر !

— أجل .

— وكيف عرفت ؟

— عرفت من أبي أن أهل القصر كلهم ذهبوا إلى
الأقصر لمناسبة أجازة رأس السنة .

وامتلاً على ، شعوراً بالمرارة وأحس أن ، أنجى ، قد
خذلته وتخلت عنه .. ألم تقل أنهما سيلتقيان كثيراً في عطلة
رأس السنة وأنهما سيركبان الخيل وسيتنزهان في المزارع ..
كيف نسيت وعدّها وسافرت إلى الأقصر ؟

ولكن ألم يكن هو البادىء بالخذلان ؟ ألم يتركها
شهرأ دون أن يذكر لها كلمة واحدة ؟ ولكنه أكره على
هذا .. لقد مكث الأسبوع الأول لنوبة طارئة ثم أتى
بعد ذلك الإمتحان ، وكان واجبه يحتم عليه البقاء في المدرسة .
ولكن ألم يكن من الخير أن يعتذر عن غيابه وينبئها بسببه ؟
ولكن كيف ؟ .. إنه لا يجسر على أن يكتب إليها .. كان
يمكن أن يطلب من أخيه أن ينقل لها اعتذاره ولكنه خشى
أن تذكره هي أن يعلم أخوه بما بينهما .. ولكن ألم تسأل هي
عنه ؟ أجل . أجل . كان يجب أن يبلغها سؤاله واعتذاره .
أتراها غاضبة عليه .. أم تراها أكرهت على السفر ؟ أترى
غيبتها ستطول أم تراها ستعود قريباً ؟ ولكن ماذا يهمه
هذا ، وفرصة اللقاء لا تتجاوز اليوم وغداً ، ثم تتلوها فرقة
طويلة خلال سفره في المناورة .

وتملكه حزن شديد ويأس ثقيل مضمّن .. وطالت فترة
الهممت ، وضاق بها حسين ذرعاً ، فقد كان رغم تناومه مازال

ينتظر رداً من أخيه ، وأخرج رأسه من تحت الغطاء وقال
له وهو يرى أمارات الضيق واليأس البادية على وجهه :
— أستذهب معي الليلة ؟

وهزّ د على ، رأسه رافضاً في إصرار وحزم .
وأخذ حسين يرمقه وهو مطرق في حزنه الصامت ، ثم
قذف بالغطاء وقفز من الفراش ووقف بجواره يتحسس
رأسه الجرداء ويربت ظهره المنحني على المنضدة قائلاً في
إشفاق :

— الطريق الوعر الشائك .. هو الذي تسير فيه أنت
ياد علي ، .. أنا لا أشد نفسي إلا بمتعة ليلة .. وإسكنك توثق
نفسك بهوى عمر .. أنا إن تخلصت عني لفظتها وأنت إن تخلصت
عني حطمتك شظايا وبددتك هباء .. إني أمد يدي إلى
ما تستطيع أن تصل إليه .. أما أنت فتعتمد يدك إلى النجوم
والسحب . أنا أمسك بها الثمرة وأنت تمسك أوهاماً ملونة
كقوس قزح .. أنا إن أقبلت على ضحكك وأن أدبرت
ضحكت أكثر .. وأنت إن أقبلت عليك همت وإن أدبرت
ترككت أشد هياماً وأكثر وجداً .. أنا أقبض المتعة فوراً
وأنت لا أمل لك في سداد ولا رجاء في قبض .. أنا أمسك
بمن في طريق .. وأنت تسير في طريق وترجو ما في الطريق

الآخر . . وطريقك سفلى . . والطريق الآخر علوى . .
والطريقان — بأوضاع حياتنا الراهنة — التى لا أمل لنا فى
تغيرها يسيران مستقيمين متوازيين . . أحدهما فى الأرض
والآخر فى السماء . . والطريقان المستقيمان المتوازيان . .
كأنعلم لا يلتقيان أبداً . . يا أخى التى بها من ذهنك واقذف
بها من فوق كاهلك .

وصمت حسين ونظر إلى أخيه فوجده مازال فى
إطرافه فأردف قائلاً :

— أنأتى معى الليلة ؟

ولم يجب ، على ، فتركه حسين فى صمته وعاد إلى فراشه .
استغرق حسين فى النوم وغادر ، على ، الحجرة مرتدياً
مسترته وطربوشه ، وعندما أبصرته والدته سألته :

— إلى أين يا ، على ، ألا تستريح كأخيك ؟

— سأتمشى قليلاً . . كلما غبت أحسست بشوق إلى
البلدة . . إلى أهلها وحقوقها وترعتها وكل ما بها .

— متى ستعود ؟

— لن أغيب كثيراً .

وغادر ، على ، البيت واضعاً يديه فى جيبى بنطلونه .
وعبر مساحة المنزل بخطوات بطيئة هادئة . . متناسياً خطواته

العسكرية الشديدة السريعة الصارمة .. وترك العنان لقدميه
توجهانه كيف تشاء . وترك العنان لذهنه يرعى في ذكريات
عذبة لم يفقدها الزمن جدتها وحلاوتها .
وإلى حيث ذهب ذهنه يرعى ، قاداته قدماء .. ولسان
حاله يقول :

وما زرتكم عمداً ولكن ذا الهوى
إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل
وطاف يبقعة على القناة احتشدت فيها كومة غاب ،
حجبت لقاءهما الأول عن الأعين ، ومربحوض وراء السوبة
كان مقراً لأول وردة وهبتها له ، وبشجرة عتيقة شاهدت
أول مسة من أصابعها لشفتيه .. وانتهى طوافه بكعبة أحلامه
وموطن ذكرياته .. ثم عاد إلى البيت ونفسه أكثر طمأنينة
وروحه أكثر استقراراً .

ورجد أخاه قد ارتدى ملابسه وهم بالخروج قائلا
لأبيه :

— سأبيت في المدرسة لأن لدىّ نوبتجية باكر .

وأردف هو قائلا :

— وأنا أيضاً .. لدينا مناورة لن نعود منها إلا بعد

عشرين يوماً .

وذهل حسين وهو يرى أخاه يخرج معه وقد نوى المبيت
في الخارج .. ولم يكاد يغادران البيت حتى التفت إليه
ضاحكا وقال في لهجة شماته وفوز :

— أنويت المجيء معي ؟

— بل سأعود إلى المدرسة فعلا .. مازالت لدينا بضعة
امتحانات عملية تحتاج إلى مذاكرة .

وعاد د. علي ، إلى المدرسة وهو يحس أنه لم يعد له خارجها
مطلب .. وكان أول ما فعل هو أن فتح الدولاب وأخرج
من أحد أدراجة علبة صغيرة ضمت أوراق وردة جافة أخذ
يتحسس ما بها في حنان ورفق .



.. عجز



« على ، مع الطلبة إلى منقباد . وكان يعتقد أنه
رحل ليس هناك أشق من حياة المدرسة .. حتى باشر
حياة المناورة .

كان في المدرسة يضيق ذرعاً بتسوية الفراش .. أما في
المناورة فلم يجد الفراش الذى يضيق ذرعاً بتسويته . إذ كان
عليه أن يرقد مع بقية الصنف داخل خيمة صغيرة (طرز
استبالية) ترص فيها المشمعات على الأرض وتفرش فوقها
البطاطين ، أما الوسادة فقد كان أمرها متروكا لابتكار
النائم .. فإما أن يستعمل ذراعه تحت رأسه وإما أن يطوى
تحتها بضعة ملابس تستقر عليها .

وكان يضيق في المدرسة بنوبة صحيان ، أما في المناورة
فلم يكن هناك مبرراً للضيق بها إذ كان عليه أن يستيقظ
قبلها لطفى الفراش (أى المشمع) ثم تسوية كئانات الخيام
(وهى جروف من الرمل تحيط بكل خيمة) ومحاذاتها
بكئانات الخيم الأخرى ، ثم الاشتراك فى تزحيف الجزء
المخصص له من أرض المعسكر ، حيث تسوى الأرض
الرملية بجر أحد المشمعات أو البطاطين عليها .. لى يعاد
« لخبطتها ، بمجرد أن تمر عليها قدم .. وليس أكثر فى
المعسكر من الأقدام المارة .

وكان يضيق في المدرسة يبعد الحمام عن عنبر النوم واضطراره إلى الخروج ليلاً في الطريقة المكشوفة والتعرض للهواء ، أما في المناورة فلم يجد طريقة يضيق بها ، إذ كان عليه أن يقطع كل المعسكر في العراء للوصول إلى الحمامات ، وكانت الحمامات نفسها مكشوفة لاتعدو دروة من الصاج بلاسقف أما دورات المياه فكانت دروات من قماش الخيام يدعونها بالزالك .

وكان في المدرسة يضيق بالطواير المتعددة ، أما في المناورة فلم يعد هناك وجه لضيقه من تعددها ، فقد أضحى كلها طابوراً واحداً يبدأ من الساعة عندما يصطفون . . وبرودة الصباح تلسع أطرافهم وتنفذ إلى عظامهم دون أن تفلح الفائلة الصوفية المسماة (فائلة ضرب النار) ولا القميص الصوفي السرج ، في صد غائلتها .

كان الطابور يبدأ سيره وقد شدوا البل ، على أكتافهم وملأوا الكفف بالجباخانة ، الفشنك ، وعلقوا البندقية بالقائش على أكتافهم ، وقد تهدلت حافة المظلة الخلفية التي كبس فيها الطربوش على أكتافهم واستقام رفرها الأمامي فوق أعينهم ، وأخذوا يدقون الأرض بكعوب أحذيتهم الحديدية . وأخذت الزمازم وشنطة الجراية تحدث «خشولة»

باحثها كما ورجرجتها كأن الطابور السائر قافلة جمال .
ويظل الطابور يضرب في بطن الأرض .. يسير ..
ويسير .. دون أن يدري السائر شيئاً سوى أن اليوم هجوم ..
أو دفاع .. أو حرس جنب .. أو مؤخرة .. أو غير هذا من
الاسماء التي لا يخرج عنها التكتيك وقتذاك .. وبعد ذلك !!
وتأخذ الشمس في الصعود ويبدأ الجو في التغير ..
وتتحول البرودة الشديدة التي كانت تجعد الأطراف إلى
حرارة قاسية تلهب الأجساد .. وتصبح الأصواف التي كان
البرد يديها خفيفة لا تصد ريحاً ولا تقاوم صقيعاً .. عبأ
ثقيلاً ترزح تحته الأبدان ويتصبب من أسفله سيل من العرق .
والطابور يسير ويسير .. حتى يعلن فجأة أن العدو قد
ظهر .. وظهوره — رغم أنه لم يكن أكثر من بضعة يبارق
منتشرة على الروابي هنا وهناك — كان مفرعاً في تأثيره ،
فقد كان إيذاناً باقتراب مرحلة الاقتحام .. أو بلغة مفهومة
انقلاب السير .. إلى جرى .. والانبطاح في الأرض
وضرب بضع طلقات ثم النهوض .. والجرى مرة أخرى ،
حتى تقطع الأنفاس .. وتنك الأجساد .. فلا يصل الطابور
إلى العدو ، إلا وقد قضى على نفسه قبل أن يقضى على العدو .
ثم يبدأ بعد هذا لم الشمل والعودة .. ولم الشمل هذا ..

أكثر إزعاجاً من تشتته ، فقد كان بلغة العسكرية .. يعنى ..
لم الفاضى ، .

أجل .. كان على الجيش الذى قضى على العدو أن يعود
التهقرى ليجمع الظروف الفارغة للطلقات التى أطلقت حتى
لا تنقص الذخيرة الفارغة طلقة واحدة .

وكان لم الفاضى فى الواقع أهم كثير من إطلاق المليون ..
أى أن إصابة العدو وقتله لم تكن تهم المهاجمين قدر ما يهمهم
أن تعود الذخيرة الفارغة تامة غير منقوصة .. لأن هذا
هو الذى سيحاسبون عليه .. أما العدو .. فلن يستطيع أحد
أن يحصى إصاباته .

وعلى ذلك .. ولكى يوفر المهاجمون على أنفسهم مشقة
لم الشمل .. أو لم الفاضى فى العودة .. كانوا يلبونها وهم
يهاجمون العدو .. فكان الطالب قبل أن يطلق الطلقة فى وجه
العدو يبحث عن الطلقة الفارغة التى أطلقت ثم يدسها فى
جيبه مطمئناً على نفسه من نقص الذخيرة قبل أن يطمئن
على نفسه من العدو .

ويعود الطابور - بعد الانتصار على العدو طبعاً - ليقطع
المشوار الذى قطعه فى الذهاب .. والصوف يخز أجسادهم
كالإبر ، والرمل والثرى قد حط على رؤوسهم وملاً أفواههم .

وكان عليهم بعد ذلك . . أن يرفعوا عقيرتهم بالغناء
منشدين :

• بلادى بلادى فـداك دى
وهبت حياتى فـداً فاسلى ،
والتعب يهون إذا ما انتهى إلى استلقاء أو استرخاء . .
ولم يكن تعب الطابور كان ينتهى بشر منه وهو تفتيش السلاح .
وفى المدرسة كان «على» يضيق ببندقيته ووساختها وهى
قابعة على السلاحيك فكيف بها الآن وقد ألقيت فى الثرى
وغمرت فى الرمال ولوثت ماسورتها بوساخة الفشنك .
كان الطابور يعود بعد أن انتهى من الهجوم على العدو ،
لللهجوم على المطبخ . . لا للطعام . . بل لأخذ جرادل الماء
الساخن لتريره فى مواسير البنادق حتى تكون عملية التنظيف
تامة كاملة .

ويقف «على» أمام البندقية وهو يدخل حبل التنظيف
ويخرجه المرة بعد المرة . . وقد بات أقمى أحلامه رقدة
واسترخاء . . لا على الفراش لأن الفراش أضحى متعذراً ،
بل على المشمع أو الأرض .

وتنتهى النظافة والتفتيش ، ويعيد الطلبة السلاح إلى
خيمة السلاحيك ثم يدخلون إلى خيمة الميس لتناول الطعام .

وكان د على ، يذكر أن من أولى قواعد الصحة التي تعلمها أن يستريح الإنسان بعد الطعام مدة لا تقل عن الساعتين حتى يمكن للطعام أن يهضم وحتى لا تتلف المعدة . ومع ذلك فلم يكن نظام المناورة يعترف قط بهذه القاعدة إذ كان لا يكاد يتناول الطعام ويبدل ملابس الألعاب البيضاء بملابس الطابور حتى يبدأ الألعاب . ولم يكن يدهشه أن المدرسة لا تأبه بتلك القاعدة الذهبية من قواعد الصحة . ولكن الذي كان يدهشه حقاً . . هو أن معدته نفسها لم تشك قط من خرق هذه القاعدة . . بل كانت في أوج قوتها وأتم صلاحيتها . . فلم يحدث أن تلفت أو توقفت عن الهضم .

وكان د على ، يضيق في المدرسة بقصر وقت النوم فهو لا يكاد يضع رأسه في الفراش حتى يستيقظ . أما في هذه الليلة من ليالي المناورة ، فلم يكن هناك وجه للشكوى من قصر فترة النوم . . لأنه لن ينام .

كانت الليلة نوبته في الدورية وقد وقف في تمام المساء مرتدياً المعطف والزنط وفوقه البل وأمسك بالبندقية في وضع جنبا سلاح .

ونادى الباشجاويش : د مدرسة . . انتباه . . داوريات . . كتفا سلاح ، ثم أعطى تماماً للضابط النوبتي : د وأجرى

الضابط تفتيشه على سلاح الداوريات ثم نادى : « سلام سلاح ، وهتف .

وكان دوره هو الخدمة الثانية فى داورية السلاح التى كان عليها أن تتولى حراسة خيمة السلاح ، وكان عليه أن يقوم بنوبتين من الخدمة أولاهما من الساعة الثامنة حتى العاشرة والثانية من الثانية حتى الرابعة .

وبدأت الخدمة الأولى ، وكان أمرها سهلاً ، إذ كان المعسكر مستيقظاً والحياة ما زالت تدب فى أرجائه ، وحاول النوم بعد انتهاء الخدمة . ولكن النوم استعصى على عينيه فقد كانت أعصابه متوترة وكان من المتعذر عليه أن ينام بالحذاء والقالشين وبالملابس الكاملة . وفى الساعة الثانية بدأت الخدمة الثانية وكان يحس بجسده منهكا والقالشين يضغط على مفاقيه ، والحذاء يثقل قدميه ، وأمسك بالبندقية وعلقها على كتفه وتحسس الرصاص فى كفف البلى . وكان رصاصاً حياً . . وكان عليه أن يستعمله ضد أى معتد .

ودار حول الخيمة وهو يحس برهبة وسط السكون الشامل ، ولفحت ريح الليل الباردة وجهه ولسعت أنفه وتسالت من ثنايا المعطف والزنط لتسرى فى حنايا جسده وتتخلل رأسه .

ومد يده فضم المعطف وكبس الزنط . وتنحنح نحنحة
عالية كما كان يفعل الخفراء في بلدتهم . وردت له النحنحة
من فرد الداورية السيارة وكان قد اقترب في لفته حول
سور المعسكر من ناحية الخيمة وسمع على صوت سليمان يناديه :

— على :

وأجابه د على ، منادياً :

— سليمان .

— كيف الحال ؟

— تكاد أطرافى تسقط من فرط البرد ، ويكاد عظمى
يسحق من طرق الريح .

— لم لا تمشى ؟

— لقد لففت حول الخيمة ما يقرب من المائة مرة حتى
دخت .

واقترب سليمان من د على ، حتى أضخى منه على قيد
خطوات وعاود الحديث قائلاً :

— ألم تسمع شيئاً عن النتيجة ؟

— وأنى لى ؟ .. ألم تسمع أنت ؟

— سمعت . ولكن أغلب ظنى أنها كلها شائعات .

— يقولون إن المفتش العام سيزور المعسكر غداً

لرؤية طلبة القسم النهائي الذين سيتخرجون ضباطاً. وأغلب ظنى أن النتيجة لا بد أن تكون قد عرفت .

— طبعاً عرفت، لقد انتهت كل شيء، وهى موجودة لدى كبير المعلمين . والقسم النهائي سيتخرج بعد المناورة مباشرة .
— ولكن علام هذه العجلة ؟

— نحن مقبلون على أحداث كثيرة . فإن انجلترا قلقة من ناحية إيطاليا وألمانيا . وغزو إيطاليا للحبشة وقوتها فى البحر الأبيض يجعل انجلترا متلهفة على استقرار فى مصر وعلى ضمان أكبر مساعدة لها فى حالة حدوث حرب بينها وبين دول المحور .

وهذه على ، رأسه ورفع كتفيه قائلاً :

— لست أفهم علاقة ذلك كله بتخرج القسم النهائي !

— عيبك يا على، أنك تعيش وكأنك مغمض العينين ..

لست أدري أغبي أنت ، أم تحاول التغايب ؟ لماذا لا تهتم بأبعد من محيط حياتك الفردية ؟ إن انجلترا يقلقها موقفها المائع فى مصر ، وهى قد ضاقت ذرعاً بمناوئة المصريين . . ومطالباتهم بالجلال ، وتريد أن تضمن استقراراً فى مصر بواسطة اتفاق مشروع يتضمن لها موالاته مصر ومعاونتها ، اتفاقاً مشروعاً يمكنها من معاونة مصر لها معاونة صديق ،

ويمكنها من استغلال أقصى ما يمكن من مواردها في حالة حدوث حرب . وهذا الاتفاق وشيك الوقوع وهو سيمنحنا جزءاً كبيراً من استقلالنا وسيهيء لنا فرصة لتنمية جيشنا .. إن الإنجليز دائماً ينظرون للأمور من وجهة نظر صالحهم ، ويخيل إلى أن صالحهم الذي كان فيما مضى يحتم عليهم إضعاف جيشنا قد بات يحتم عليهم الآن تقويته ، لأنهم قد يستعينون به ، ذلك هو سبب الاتجاه الجديد إلى زيادة الجيش ، والذي كان أثره المباشر تخريج القسم النهائي . ألا ترى معنى هذا ؟ وصمت . على ، برهة ثم أجاب :

— يحتمل .. على أية حال إنها ظاهرة طيبة واتجاه محمود فتقوية جيشنا شيء مرغوب فيه .. حتى ولو كان مبعثه استعانة انجلترا به .

— أجل .. إنها ظاهرة طيبة واتجاه محمود .. ولكن إلى أى مدى يمكن السير فيه . إن القوة المنفذة لأى مشروع أو اتفاق أهم بكثير من الاتفاق ذاته .. ويخيل إلى أننا بوضعنا الراهن لا نملك أية قوة منفذة حرة تعمل لصالح البلد .

— ماذا تعنى ؟

— أعنى أن القوة الحرة تصطدم دائماً بقوة العرش . وهى قوة مغرضة لا أظن صالح البلد الحقيقى يعنىها فى كثير

ولا قليل . فلا بد من إزالة هذه القوة المعرقة .

— إزالتها؟ إزالة ماذا؟ إزالة العرش!! أنت مجنون؟

— لا أقصد إزالته بحاله .. بل إزالة الجالس عليه ..

وهذا ليس على الله ببعيد .. إن حالته الصحية على غير ما يرام .

— ياسليمان لا تنفوسه بمثل هذا الكلام .. إنه كلام
خطير جداً .. إنه خيانة .

— أنا أعلم أنه كلام خطير .. ولكني لا أقوله إلا لك ..

إنه مجرد أفكار تسبح لى .. أنفوس عن صدري ببشها

إليك .. إن تفكيرى دائماً ينتهى إلى أن العرش بحالته

الراهنه وبالجالس عليه سيكون عقبة كأداء ، فى سبيل أى عمل

حاسم يجرى لصالح هذا البلد . إني لا أشعر قط بأنه مصرى ..

إن عنصر السيادة التركية متغلغل فى نفسه ولا أظن صدره

يمكن أن يصطبغ بحماس من أجل مصر أو يشور لصالحها .

وساد الصمت بين الاثنين وصفرت حولهما هبة ريح

باردة أصابت كلا منهما برجفة ، وبدأ تفكير على وجه

« على » ما لبث أن قطعه بقوله :

— لشد ما أخشى عليك من أفكارك ياسليمان .. لست

أدرى لم تتعقد الأمور فى ذهنك بهذه الكيفية ؟ لم

لا تكون أفكارك بسيطة مثل أفكارنا ؟ لم تأبى دائماً أن

تتجاوز حدودك . وتشغل ذهنك بأكثر كثير مما لك ؟

هذه الأفكار لها أصحابها .

— الأفكار « يا على ، حرة لكل إنسان . . ليس التفكير مقصوراً على شخص دون شخص ، وشؤون وطننا الذى يكون كل فرد فينا جزءاً منه يجب أن يعنيننا كلنا . ليس صالح الوطن حرفة يحترفها أشخاص بذاتهم ، بل هو شعور يجب أن نتشارك فيه جميعاً .

— لست أدري مدى ما فى قولك من الصحة . . إني أعتقد دائماً أن كلا منا يجب أن يؤدي واجبه نحو وطنه فى حدود عمله . ونحن ما زلنا طلاباً . فيجب أن نكون طلاباً نافعين ، وعند ما نصل إلى الحد الذى نصبح مسئولين عن سياسة البلد يمكننا وقتذاك أن نفكر فيما تفكر فيه . المهم الآن هو أن نؤدي امتحاناتنا بأقصى ما نستطيع من جهد . وقبل أن يجيب « على ، سمع وقع أقدام تقترب فأر هف « على ، أذنه ثم صاح بصوت حاد :

— قف من أنت ؟

وأجابه من الظلمات صوت يصيح :

— ضابط نوبتجى .

وصرخ « على ، بأعلى صوت :

— ضابط نوبتجى . . داورية سلاح .

وأيقظت صرخته المدوية أفراد الداورية وهب حكامهم

يصيح وهو نصف نائم :

— اصحى الداورية . . اجمع سريع .

واندفع يهرول مع بقية أفراد الداورية إلى العارضة الخشبية الصغيرة في مقدمة الخيمة التي وضع عليها سلاح الداورية ، وأخذ كل سلاحه وهو يحاول إصلاح ملابسه قدر ما تسمح به هروولته وتفكيره المشتت بين غيبوبة النوم وشرود الفزع . ووقف الحكمدار يستحث جماعته على الاصطفاف والانتظام محاولاً بكل ما يملك من وعى أن يقوم بالتفتيش على سلامة ملابسهم وتمام سلاحهم ، وفي نفس الوقت يحاول أن يتحسس ملابسهم . وهمّ بإعطاء تمام الضابط النوبتجى الذى وقف ينتظر على مقربة من الخيمة بجوار الجاويش النوبتجى والأومباشى النوبتجى . وعند ما سمع « على ، يمس به : — المظلة والطربوش يا أمباشى .

وتحسس الأومباشى رأسه فوجده عارياً فاندفع فى ارتباك وذعر إلى مرقد الداورية ، ومد يده فى الظلمة يتحسس طربوشه ومظلته وما لبث أن عاد بها فى عجلة ووقف بجوار داوريته على استعداد لتفتيش الضابط النوبتجى . وتقدم الضابط فى خطوات هادئة متزنة وقال للأومباشى فى شيء من السخرية :

— خمس دقائق لكى تعد داوريته . . إنها كافية جداً

لسرقة الخيمة وتجريد المعسكر من سلاحه .. يجب أن تجمع
داوريتك بأسرع من هذا .

— حاضر يافندم .

— هذا عمل يجب ألا يعجز عنه أومباشى عادى فى
الجيش ، وأنت بعد بضعة أيام ستكون ضابطاً .

ثم بدأ الضابط يجرى تفتيشه على أفراد الداورية مبدئاً
بعض الملاحظات . ثم أمر بانصراف الداورية واصطحب
الأومباشى إلى داخل الخيمة ، ومر بصفوف البنادق
المرصوفة على السلاحليكات الخشبية والتي كان الزيت يلمع
على مقدماتها وخزائنها .

وقال الضابط وهو يلقي نظرة على صفوف البنادق :

— هل أتممت على البنادق جيداً ؟

— أجل يافندم .

— وفحصت الجنزير جيداً وتأكدت أنه يمر فى قنطرة

التك لكل بندقية ؟

— أجل يافندم .

— والآفال ؟

— مغلقة جيداً يافندم .

وكان « على » يسمع تلك المناقشات وقد وقف يباب
الخيمة مصلوباً كأنه لوح من الخشب ، وقد شد كتفيه وأبرز
صدره . وخرج الضابط من الخيمة يتبعه ثلة من ضباط الصف

وعندما مر « بعلی » توقف أمامه برهة . وأخذ يفحصه وبدأ كأنما يود أن يقول شيئاً . وكان « علی » يعرفه جيداً إذ كان هو الضابط الذى يقوم بتدريس التاريخ العسكرى . وكثيراً ما أحس منه « علی » نوعاً من العطف والرقّة افتقدتهما فى حياته العسكرية وكانت له بلسماً وسط الجفاف والصرامة والشدّة التى أحاطت به من كل جانب .

وتحدث الضابط متسائلاً فى رفق :

— أهذه أول مرة تقوم بالداورية ؟

— أجل يافندم .

— وكيف الحال ؟

— الحمد لله يافندم .

والتفت الضابط إلى الجاويش النوبتجى وحكمدار الداورية قائلاً :

— هذا الطالب من خير طلبة المدرسة إن لم يكن خيراً من جميعاً !

ثم وجه إليه الحديث قائلاً :

— إن شاء الله نهنتك قريباً .

ثم سار فى طريقه وحياء حكمدار الداورية ثم عاد إلى

« علی » وشد على يده قائلاً :

— مبروك « يا علی » .

بح الرجاء



عاد

« على ، من المناورة وخرج في أول أجازة بعد
طول غيبة عن الأهل ، وكانت النتيجة قد
أعلنت وظهر ترتيبه الثالث فاستحق النقل إلى القسم المتوسط
ضمن العشرة المنقولين ، واستحق - خيراً من هذا - المعافاة
من دفع بقية المصروفات .

كان القطار يحمله إلى البلدة وقد جلس بجوار النافذة
الزجاجية مرتدياً معطفه الكحلي ذى الياقة العريضة والأزرار
النحاسية اللامعة وقد وضع حقيبته الصغيرة فوق ساقيه
وحدق بناظره من النافذة الزجاجية ، وقد توالى عليها
الأراضي الخضراء المليئة بالبرسيم والقصب تبدو من وراء
جذوع الكافور والجازورينا الضخمة القائمة على الطريق
الأسفلت المجاور للسكة الحديد والتي تعالت أوراقها الخضراء
الرمادية لتحجب السحب المتلاحقة في أديم السماء الأزرق .

وكان « على ، في جلسته يحس بالاستقرار بعد طول
عدو ، والهدوء بعد طول كفاح ونضال ، وكان يملأه
شعور مريح بتأدية الواجب والتضحية وبذل الجهد ،
وإحساس بحمد الله الذي كافأ جهده وعوّض تضحيته ولم
يضع كفاحه سدى .

كانت الثقة تملأ نفسه لأنه استطاع أن يقدم لأبيه من
المساعدة ما يفك ضيقه ويحل أزمته ويحفظ ماء وجهه ،
ولأنه تمكن بجهد أن يشارك أباه حمله الذي طالما
نام به وحده .

وعلى هذه القاعدة من الإحساس بالرضاء والاستقرار
والراحة كان يقوم إحساس آخر ملأه الغموض والحيرة ..
إحساس أشبه بالدخان لا تبين له ملاح ولا توضح له
حدود ، إحساس يتدفق من القلب ، مزيج من الشوق والحنين
والقلق والنشوة والفرح والخوف واللهفة .. و .. الخ .
كان يشعر أن غيبة الشهرين كأنها غيبة دهر .. وكان
يسائل نفسه .. كيف يراها ؟ وكيف يكون لقاءها له ؟ !
أما زالت كما هي .. أم تبدل شعورها ؟ ! أما زالت تذكره
أم دب النسيان في قلبها ؟ ! أما زالت تحن إليه .. أم سلته
على طول البعد ؟ ! وكانت الذكريات تتدفق في ذهنه
مزدحمة متكاثفة .. ولا تلبث حتى تتلاشى كأنها حشد من
الفقائيع .

ووصل إلى البلدة واتجه إلى الدار وطرق الباب ، ومن
الداخل أتى إليه صوت بهية يرن في عذوبة :
— مين ؟

وأجاب على الإجابة التقليدية :
— أنا .

واندفعت « بهية » إلى الباب في فرحة شديدة .. لقد
كان صوت الشقيقين متشابهاً ، ولم تجعلها غيبة « على » الطويلة
تتوقع أن يكون هو القادم . فظنته حسيناً ، وصاحت وهي
تهرول نحو الباب :

— حاضر يا حسين .

وابتسم « على » لنفسه ، فقد كان يدرك ميل « بهية » إلى
أخيه ، ويعرف أية خيبة ستصيب بهية عندما تجده هو بدله .
وفتحت « بهية » الباب وفاجأتها رؤية « على » بابتسامته
الهادئة ، ووقفت تتمتع في خجل ودهشة :

— على ! لقد ظننتك حسيناً .. حمد الله على السلامة ..
لقد أوحشتنا غيبتك .

وسارت تهرول إلى الداخل معلنة خالتها نبأ قدومه :
— خالتي .. لقد أتى على .

واندفعت الأم من المطبخ تصبح في فرحة شديدة :
— على ..

ثم أخذته بين أحضانها وقبلته دامعة العين قائلة في عتاب :
— ما هذه الغيبة يا على ؟ وما مال جسدك قد نحل

ووجهك قد اسمر حتى كأنى بك لم تأكل منذ غادرتنا .

— تعب المناورة يا أماء . . لقد قاسينا أياماً شاقة .

وضمته أمه إليها فى رفق وهى تقول :

— مسكين يابنى . . ربنا يتوب عليك من هذا

الشقاء والتعب .

— على أية حال لم يذهب سدى . لقد أخذنا ثمنه مضاعفاً .

— كيف ؟

— لقد نجحت فى الامتحان . وانتقلت إلى السنة الثانية

وكان ترتيبى الثالث فعوفيت من المصروفات ، ما رأيك يا أماء ؟

وبلا إرادة انطلقت زغرودة مجلجلة من فمها وصاحت

غير مصدقة :

— أحقاً تقول ؟ ! ومتى ستتخرج ؟

— فى العام القادم إن شاء الله . . لقد وفرت سنة .

— وحسين . . هل نجح ؟

وضحك د على ، وقال :

— لم يكن عندهم امتحان . . لقد كان امتحاننا مفاجأة

غريبة . . لم تحدث منذ عشرات السنين .

وتلفت د على ، نحو الحجرات ثم أردف متسائلاً :

— أين أبى ؟

— ما زال فى الحدائق . إن لده عملا كثيرا ولن
يعود للغداء .

— سأذهب إذن إلى رؤيته .

وهروا إلى الخارج وأمه تلاحقه صائحة :

— ألا تنتظر حتى تتغدى ؟

— لا . . لا . . سأذهب لإبلاغه النبأ .

وعدا د على ، تجاه القصر . . ليلقى أباه . . وليسأل
الصف . . ويستجدى الحظ . . لقاء جميل اشتد به الحنين
إليه . . وعصفت بنفسه اللففة عليه .

وسار فى الطريق المجاور للترعة ، وكلما اقترب من القصر
أحس بقلبه يضج فى حناياه . . حتى خيل إليه أنه يكاد يثب
من بين أضلعه ليسبقه إلى القصر .

وراح يسائل نفسه : كيف يلقاها ؟ وكيف يمكن أن
تعرف هى بعودته بعد طول غيابه ؟ ! بل من يضمن له
أنها إذا عرفت أن تكون بها رغبة فى لقائه ؟

وكان يسير مسرع الخطا شارد الذهن ، وعندما قارب
الباب الخلفى المؤدى للسوبة انحرف إليه محاولا عبور
الطريق عندما بلغ مسمعه صوت بوق عربية يدوى منذراً :
وقفز بسرعة إلى الجانب الآخر . وربط السائق فرامله

بشدة ووقفت العربية وفتح بابها ، وفي غمضة عين وبلا سابق
إنذار وجد د علي ، د أنجي ، تقف أمامه وتهتف به في فرحة
شديدة لم تستطع كتمانها :

— علي .

وهتف هو الآخر بلا وعي :

— أنجي .

وأحس كل منهما برغبة شديدة في أن يندفع إلى أحضان
الآخر ، فقد كان ذلك هو المخرج الطبيعي لمشاعر الشوق
المضطربة في نفسيهما ، والمظهر الملائم لما يعتمل في باطنيهما
ولكنهما لم يمتلكا سوى أن يمد كل منهما يده إلى الآخر
ويشد على يده ويضغط عليها بحرارة كأنما يبلغها رسالة ضم
وخطاب عناق ، أو كأنه يقول :

« عندى رسائل شوق لست أذكرها ، .

وأخذ كل منهما ينظر في عيني الآخر وقد تلاحقت
أنفاسهما وبدا علو وانخفاض صدريهما واضحاً ودقات
قلبيهما مسموعة جلية .

وأحس د علي ، أنه قد ظلها بظنونه وأوهامه وقلقه
وخشيته . فقد كان لقاءها ونظرهما مبددة لكل ظن قاضية
على كل قلق ووهم وخشية .

وتساءلت : أنجى ، وقد افتر ثغرها عن ابتسامته
الريقة اللطيفة :

— ما هذه الغيبة الطويلة يا على ؟ أهذا هو ما اتفقنا
عليه ؟ لقد مضى شهران دون أن نراك ؟
— لقد حضرت مرة خلال الشهرين ولمكنك كنت
في الأقصر .

— حقاً ! إني لم أقض في الأقصر أكثر من أسبوع ..
قضيت معظمه راقدة في الفراش .

وسأل : على ، في جزع :

— ماذا ألم بك ؟

— انفلونزا شديدة .. جعلتني لا أغادر الفندق طيلة
المدة .. أنت أيضاً يبدو عليك الهزال ؟

— من الامتحان والمناورة .

— يبدو أنك أجهدت نفسك فيهما كثيراً ؟

— كان لابد من ذلك .. حتى لا تفلت الفرصة وحتى
نوفر عاماً من الشقاء والجهد .

— وهل ظهرت النتيجة ؟

— أجل .. لقد نجحت والحمد لله .

وبدت الفرحة واضحة في أساريرها وهتفت :

— مبروك يا على .. متى ستخرج ؟

— فى العام القادم .

وظهر بعض العمال بالقرب من الباب وبدأ الارتباك على الاثنين ، وأحس كلاهما أن الحديث قد طال وأن فرط الشوق أنساها حرج الوقفة على قارعة الطريق . ومدت « أنجى » يدها مصافحة وهى تقول فى صوت خفيض :

— متى سنلتقى ثانية ؟

— وقتما شئت .. من الآن حتى مساء غد .

— اليوم فى الساعة السابعة عند الشجرة الكبيرة التى جرح تحتها أصبعك .. أتذكر ؟

— كيف لا أذكر مكاناً لقيتكم فيه ؟

وسارت العربى تتابع طريقها إلى القصر ودلف هو من الباب الخلفى إلى السوبة للقاء أبيه .

وفى الساعة عاد إلى الحديقة يسترق الخطى فوق الحشائش متخذاً طريقه بين الأشجار وأحواض الورود . وكانت أولى أنفاس الربيع الدافئة قد بدأت تسرى بين الأوراق الخضر المفتحة التى كست الأغصان العارية بعد طول تجرد ويبس وجفاف ، وأزهار المشمش البيضاء قد كملت فروعه كأنها تاج من اللآلىء أو كأنها قطرات

الندى الأبيض اللامع ، وأشجار الخوخ قد تجردت
إلا من أزهارها البمبي الرقيقة المنظومة على الأغصان ،
وسكون الليل تكاد تسمع فيه أنفاس الزهور ، والقمر
قد بدا منه هلال مبكر أحمر كأنه مصباح واطيء الذبالة
ناعس النور ، والنجوم تتراقص كمهج تخفق أو قلوب تهفو .
وعناصر الطبيعة قد تعاونت على الرقة وتآلفت على
الجمال حتى بات المكان كأنه مهد هوى وموطن حب .

واقترب د على ، من الشجرة الضخمة المدلاة فروعها
إلى الأرض كأنها عمد تسند أجنحتها المنبسطة وفروعها
المرفرفة . وأخذت عيناه تبحثان في الضوء الباهت الذي
تعاون القمر الناعس والنجوم الخافقة والمصاييح البعيدة
الشاحبة على أن تبدد به ظلمة الليل ، وتبدى خلاله الكائنات
باهتة غامضة . وكأن وراء سكونها الظاهر جوفاً يصخب
بالمشاعر وحشاً تضج بالأحاسيس .

وعلى أريكة هزازة ذات مظلة أشبه بالأرجوحة لمح
بغيته ، وكان ظهرها تجاهه وقد أخذت الأريكة تهتز في
رفق وهدوء كأنها بندول الساعة وبدأت على مسندها موجات
شعرها الذهبي ينسدل في لين وانبساط .

واقترب د على ، في خفة وسكون وقد ملأ أنفه عبير

زهر البرتقال حملته إليه في حناياها نسمة طافت بالأشجار
المنتشرة في أرجاء الحديقة وتوقف قليلاً وأخذ من النسمة
شيقاً طويلاً ملاً به صدره وكأنه يملأ صدره بأنفاسها
العطرة ، ورب هبة نسيم خلناها استمدت عيبرها من الأنفاس
لا من الزهر .

ووصل إلى الأريكة وتوقف وراها ونظر إليها فأبصر
رأسها الصغير بـمفرق الذهب في منتصفه وقد انسابت خيوط
الذهب من المفرق على الكتفين وعلى مسند الأريكة .
ووقف يرمق الرأس في تعبد وأحس يديه ترتفعان ببطء
فتستقران في خشوع على جانبي المفرق وتحسسان الشعر
كما تتحسس أكف المؤمنين آثار الرسل أو معجزات الخالق .
ولم يبد عليها أنها أخذت أو فوجئت ومضت لحظة وهي
صامته ساكنة كأنها كانت تنعم بمسة اليدين الحانيتين الواهتين
وأحست بقلبها يزداد خفقاً وأنفاسها تزداد تلاحقاً وبكفها
يرتفع ببطء فيستقر على ظاهر كفه ويتحسس به بحنين زائد
وشوق شديد وأخذت أصابعها الصغيرة تتخلل ظاهر أصابعه .
ورفعت عينيها فالتفت بعينه وأشرق وجهها بابتسامته
الحلوة وجذبت يده لكي يدور ويجلس بجوارها على الأريكة .
ولف حول الأريكة ووقف قبالتها متردداً وسأله
ضاحكة :

— ألا تنوى الجلوس . . أم تظن نفسك في طابور ؟
وتلفت تجاه القصر وبدأ عليه القلق وهزت هي رأسها هزة
نافية كأنما تنفي ما يخشاه من نظراته القلقة وابتسمت ابتسامة
مطمئنة وقالت :

— لقد خرج أبي وعلام . . ولا أظنهما يعودان قبل
العاشرة . كان مفروضاً أن أخرج معهما للذهاب إلى السينما
مع علام فقد دعينا من أبناء البرنس كمال . ولكنني اعتذرت
بالصداع . . وهو المرض الذي لا يستطيع أحد أن يجزم
أنى لست مصابة به . وليس بالدار غير الخدم والدادة ،
وقد قلت لها إنى سأتمشى في الحديقة . اجلس .
وجلس على الأريكة المتأرجحة وثبت قدميه في الأرض
فتوقفت عن الاهتزاز وقال ضاحكاً :

— سأجلس على شرط أن أوقفها عن التراجع .
— ولم ؟

— لأنى كنت أكره الأراجيح في صغرى لأنها تصيبني
بدوار وغثيان .

— والآن ؟

— أشعر أنى مازلت أكرهها . . لأنى أكره التراجع
وأفضل الثبات والاستقرار .

— ولا حتى على سبيل التسلية ؟

— إني لا أتسلى بالترجيع أبداً .. إنه ضد طبيعتي .

— وما هي طبيعتك ؟

وكانت تنقر بخفة على ساقه التي شد عليها البنطلون ذو الشريط الأحمر ، وأحس بشعور ممتع من نقرات أصابعها ، ومد يده فضم الأصابع الرقيقة المنقرة في كفه وضغطها برفق وأجاب وقد شرد يبصره في ظلمات الأشجار المتكاثفة أمامه :

— طبيعتي إذا ما اندفعت إلى اتجاه ألا أتأرجح ثانية إلى الاتجاه المضاد ، بل أثبت في اتجاهي وأستمر فيه .. وإذا تعلق قلبي بمخلوق معين ، ثبت على التعلق به وأصبح من المتعذر زحزحته عنه إلى غيره ، وقد يحمد مشاعره العجز وقد يشد إحساساته اليأس ، ولكنه إخماد ظاهر وواد شكلي ، يجعل من القلب رماداً على جمر ، وكفناً على حي ، تطيح به أول هبة من أمل وريح من رجاء .

وضغطت « أنجي » على كفه وهمست ، وقد شردت يبصرها هي الأخرى في الظلمات :

— أو قد هبت عليك ريح الرجاء ؟

— كأعصف ما تكون الريح وأقوى ما يكون الرجاء .
لقد أطاحت بالرماد ووهجت جمره القلب .

— إني أريده دائم التوهج لأنني أشعر أنه قد بدد

بتوجهه ظلمة كانت تحيط بى وتجعل من حياتى فراغاً موحشاً
لا تبدو به بارقة ولا هدف ولا أمل .

— ما دامت ريح الرجاء تهب فلن يكف عن التوهج .
ولكنى أخشى على الريح أن يضيعها طول الطريق وشدة
المنعرجات وكثرة السدود والحوائل . . إن ريح الرجاء قد
تقوى على النفخ فى منبسط محدود من طريق العمر . . منبسط
الصبا السهل المعبد ، ولكن لو تجاوزنا هذا المنبسط إلى ما بعده
لراعتنا المنعرجات والسدود التى يضيع فيها ريح رجاءنا .
— لست أرى شيئاً يمكن أن يوقف أملنا أو يضيع الرجاء .
— ولا سدود التقاليد والفوارق الطبقية ؟

— لست أعترف بتقاليد ولا فوارق . . إني لا أعترف
إلا بقيم الأشخاص وطبيعة خلقهم . . إن طبيعتى من طبيعتك
وتفكيرى من تفكيرك . . إني أحس بروحنا تقارباً عجيباً
أحس كأن هناك انطباقاً بين نفسينا . لهذا أحببتك . ولهذا
سأندفع فى حبك بلا ترجع ولا توقف ولا خشية من تقاليد
ولا خوف من فوارق . . إننا بقلبين المتوهجين وروحينا
المتأججتين سنتخطى كل سدود الدنيا ، ولن يفرق بيننا إلا
الموت .

— وحتى الموت لن يفرق بيننا . . سأحبك حتى بعد
الموت . . فإن حبك أبقى فى روحى من الروح الباقية .

خطايا البشر



افترق

« على ، و » أنجى ، ليلتذاك ، وبينهما ما يشبه
الميثاق الدائم ، والعهد الأبدى . . ميثاق حب
إلى الموت كما قالت « أنجى ، أو إلى ما بعد الموت كما قال
« على ، .

وعاد « على ، إلى بيته وب نفسه من الثقة بالحياة
والمستقبل ما جعله يكاد في سيره يخلق في السماء . ولم يعد
يشعر أن الأمل في حبه قد بات — كما كان —
محدود الأفق ، لا يجسر أن يتخطى منبسط حاضره إلى قفار
مستقبله . . بل أحس أن الذبالة التي كانت تنير له حيزاً
محدوداً تحيط به الغياهب والظلمات التي لا يجسر إلى التطلع
إليها أو التفكير فيها . . قد باتت ضوءاً ساطعاً يضيء كل
حياته ، وأن الغياهب قد تكشفت ووضحت مجاهلها واستوت
وهادها وتلاعها ، وفرت أشباحها وتضاءلت مردتها ،
وانكمشت سدودها وحوائلها . . وبات طريقه فيها واضحاً
حتى النهاية . . بل وما بعد النهاية .

بمثل هذه النفس الواثقة المطمئنة المليئة بالإيمان في
المستقبل والثقة بالحياة . . عاد إلى الدار . . وكانت الساعة
تقرب من الثامنة ، وطرق الباب ففتحت له بهية . . وكان أيه

يؤدي صلاة العشاء . . وأمه تتشاغل برتق بعض الثياب . .
وقد جلست على حشيتها الأرضية الموضوعة في الركن
بين باب المطبخ وباب الصلاة والتي أبت أن تغادرها إلى
الأريكة التي جهزت بها الصلاة ضمن الأثاث الجديد .

وتلفت ، على ، إلى حجرته ثم تسامل :

— ألم يأت حسين ؟ .

ورفعت أمه يديها مبسوطة على ساقها وقالت في أسف
وضيق :

— أبدأ يا بني .

— ألم يخبركم في الأسبوع الماضي عما إذا كان سيأتي هذا
الأسبوع أم لا ؟ .

وأجابت بهية في لهجة حزينة :

— إنه لم يأت في الأسبوع الماضي .

وأردفت الأم وهي تتمصص ، بشفتيها :

— مضى عليه ما يقرب من شهر وهو لا يبيت هنا . .

إما أن يحضر الخميس ويذهب للبيت في المدرسة ، وإما أن
يأتي الجمعة صباحاً . . ربنا يتوب عليكما من المدرسة . . إنى
لا أكاد أرى الواحد منك إلا مرة في الشهر .

— كله يهون يا أماء . . ليس هناك شيء في هذه الحياة بلا جهد .

— أجل يا بنى . . كان الله في عونكما . . وأعاد أخاك بالسلامة . .

وأحس د على ، بالقلق على أخيه ، ولكنه قلقاً غير قلق أمه . . فقد كان يعرف أين يوجد ، ويعرف أن الله سيحضره بالسلامة . . ويعرف أيضاً أنه لاشك يقضى وقتاً طيباً كما قال له .

ولكنه مع ذلك يحس بالقلق عليه من ذلك الطريق المجهول الذى يسير فيه . . ويضاعف قلقه . . أنه غير ذى تجربة وغير ذى علم بذلك الذى يدعى أخوه إنه يقضى فيه بعض ساعات طيبة . . وهو دائماً يخشى ما يجهل . . ويراه أشبه بالظلمات التى يتوهم فيها الأطفال مرده وعفاريت وشياطين .

إن أخيه قد وضع له الأمر ببساطة ، وبّين له أنه ليس عليه منه خوف ولا حذر . . ولا خسارة من أى نوع . . بل لقد حاول المقارنة بين هذا الطريق وبين الطريق الذى يتخذه د على ، واستطاع أن يؤكد له أن طريقه هو أكثر أمن وأوفر سلامة .

و د علي ، يعرف أن النصيح في هذه الأمور غير مجد ،
وهو يجد أن د حسين ، باستهتاره واندفاعه ومرحه كان
أقرب إلى سلوك مثل هذا الطريق .. ولذا لم يجد خيراً من
أن يترك الأمر يمر ببساطة حتى يأخذ حسين متعته منه
ويتركه إلى غيره كعادته في كل متعة باشرها في لهُوه منذ
الصغر .

وخلع د علي ، ملابسه .. وانتهى الأب من صلاته
وصاح بالأم :

— العشاء يا زهره .

وأجابت الأم وهي في جلستها على الحشية :

— أعدى المنضدة يا بهية .. إن ساقى تؤلماني ولا
أستطيع النهوض .. سأنعشى وحدي على الطبلية .
وقال الأب :

— وسأنعشى معك على الطبلية .. فلا تفتح شهيقى سواها .
وضحك د علي ، قائلاً :

— وأنا أيضاً سأنعشى معكما .. لقد أوحشتني جلستها .
وقالت الأم ضاحكة :

— من ساب قديمه .. هات يا بهية الطبلية .

وتلكأت بهية في موضعها وقالت متممة :

— ألا ننتظر حتى يحضر حسين ؟ .

ونظر إليها « على » ، في رفق وأحس لها بشيء من الرثاء وهو يجدها تلتقي بقلبها في جب عميق لا تستطيع حتى أن تسمع صدى سقوطه في القاع وقال :

— لا أظنه سيحضر الليلة . لا بد أنه سيبيت في المدرسة .

وتحركت « بهية » ، تجاه المطبخ ، ولكن قبل أن تبلغه طرق الباب فاندفعت إليه وهي تهتف في تمن ورجاء :

— لا بد أنه حسين .

وفتح الباب وبدأ حسين . . وأفسحت بهية له الطريق بعد أن أخذت حقيبته الصغيرة من يده .

وحيا حسين أبويه وسلم على أخيه في شوق وسأله في لطفة :

— متى عدت من المناورة ؟

— بالأمس .

— والنتيجة ؟ ألم تظهر ؟

— بل ظهرت .

— وماذا فعلت ؟

— الحمد لله . . كان ترتيبى الثالث وحصلت على معافاة

من المصروفات .

— مدهش .. هائل .. أنا أعرفك لا تنفع إلا في
امتحانات الطوارىء .. مبروك .. ألف مبروك .

ودخل حسين في حجرته لكي يخلع ملابسه ، واستطاع
على ، أن يتبين فيه شيئاً غريباً .. لم يكن هو حسين بطبيعته
الأصيلة .. بل كان به اختلافاً جعله يحس بقلق .

حقيقته إنه سلم عليه في شوق ، وأن فرحته بنجاحه
كانت شديدة مخصصة .. وحقيقة أنه ضحك بضعة ضحكات ..
وأنه حاول أن يمزح مع أمه ومع بهيه ، .

كل هذا حقيقة ، ولكن ، على ، يستطيع أن يجزم مع كل
ذلك أن حسين .. ليس هو حسين بطبيعته المرححة الضاحكة
الصادقة التي لا تشوبها شائبة كدر ولا هم ولا ضيق .. وأنه
منذ أن بدا بالباب قد استطاع أن يلمح مسحة الهم والشحوب
الذي يعلو وجهه . ثم .. سلامه وطريقة مجوانه وهذره
ومزاحه كل ذلك كان شيئاً مفتعلاً .. قد يخدع به الجميع -
حتى أمه وأبيه - ولكنه لا يخدعه هو .. هو الذي كان
من فرط ما عاشره وزامله يستطيع أن يفهم كل سمة من
سماته وإيماءة من إيماءاته .. بل يستطيع أن يعرف ماذا
يفكر فيه .. وماذا ينوى أن يفعله .

وأعد العشاء على الطبلية .. وكان حسين مازال في
الحجرة . وصاحت به أمه :

— العشاء جاهز يا حسين .

— كلوا أنتم يا أماء . . . ليس لي شهية للأكل .

— كيف ؟ ! أجنذت حتى تنام بلا عشاء ؟ !

— لقد أكلت سندويشات في العصر .

— أهذه السندويشات التي لا تزيد عن عقل الصباغ

تسمى أكلا . ومنذ متى ؟ ! من العصر . . تعال واجلس معنا
تفتح نفسك .

ويبدو أن حسيناً لم ير داعياً لاستمرار المجادلة ، فأقبل
وتربع بجوارهم على الأرض أمام الطبلية .

وأخذ « علي » يرقبه . . وهو يلوك اللقعات بلا استساغة
وذنه نافر لا يكاد يستدعيه أحد من الأهل حتى يشرد
ثانية . . وعندما انتهى الطعام . . تأكدت شكوك « علي » ،
واستطاع أن يحزم أن أمراً خطيراً يشغل بال أخيه وأنهما
يطبق عليه .

وبدأت الوسواس تتسرب إلى رأسه . . وأحس أن
هم أخيه قد انزلق على كتفيه . وأخذ يسائل نفسه : ماذا
ألم بحسين ؟ ! ولماذا أتى بعد أن تأخر هكذا ؟ ! هل أصابه
شيء في المدرسة ؟ ! هل وقع في حب ؟ ! هل فقد شيئاً ؟ !
وغادر حسين « الطبلية » ، إلى حجرته وكأنما خشى أن

ينم شروده عما به من ضيق خفى فلجأ إلى الفراش . . ولم
يطلق د على ، على وسأوسه صبراً ، وسرعان ما غادر الطلبة
معتذراً بأنه قد تعود النوم المبكر .

وهزت الأم رأسها في أسف وقالت :

— أنا لا أكاد أتمتع برؤيتكما لحظة . . إما في المدرسة
أو في السينما أو نائمان !!
وقال الأب :

— دعيهما يستريحان . . إنك لا تعرفين الجهد الذى
يلاقياه . . كان الله فى عونهما .

وعندما دخل د على ، الحجرة وجد أخاه وقد أطفأ
المصباح ورقد على فراشه وفرد الغطاء على جسده ورأسه
ولم يعد يبدو منه إلا كتلة منبعجة فوق الفراش .

منذ متى يفعل حسين هذا ؟ وهو الذى كان يتركه حتى
يقص عليه كل ما فعل فى خلال الأسبوع مما يستحق
وما لا يستحق .

والليلة - بعد غيبة شهر - يطوى نفسه هكذا بلا كلام
ولا مزاح ولا معاكسات ولا مشاغبات
واقترب د على ، منه ودفعه فى كتفه ، وهو الذى لم يكن
قط البادى بالمشاغبة .

ولم يتحرك «حسين» ، فزادت دهشة «علي» وهتف
به :

— حسين .

وعاد يهز كتفه . وأجاب حسين بزومة من أنفه .
فسأله علي :

— ما بك ؟

— لا شيء ..

— كيف .. لا شيء ؟ أهذه هي عادتك ؟

— بي بعض الصداع وأريد أن أنام .

— كلام فارغ .. ليس هذا ما بك ؟ . قل . ما الحكاية ؟

— أبة حكاية ؟ ١ . قلت لك ليس بي سوى صداع .

— أنا أعرف أنه ليس بك صداع .. أنا أعرفك جيداً

يا حسين .. لا تتخاطب عليّ .

ومد «علي» يده وجذب الغطاء من فوق رأسه . ثم جذب
الوسادة من تحتها ، ولكن لم تكد يده تلامس الوسادة حتى
أحس بها مبتلة .

كان ما بها قطرات دمع .

كان حسين .. المرح المستهتر الضحوك الذي لا يحزنه
شيء .. يبكي ..

وأخذ د على ، ، وأحس كأن القطرات المراقبة على
الوسادة تجذب القطرات الجامدة في مقلتيه .

وتذكر بكائه على نفس الوسادة منذ بضع سنين ،
وتذكر دهشة أخيه وارتياحه ولوعته عليه . وأحس بنفس
الدهشة والارتياح واللوعة ، وتملكه شعور بالحنان الجارف
أشبه بشعوره ليلة افترقا لأول مرة ليذهب كل منهما إلى
مدرسته . وشعر برغبة في أن يضم إليه أخاه وهو الضنين
بمظاهر العواطف والحنان .

وأعاد الوسادة إلى مكانها وصعد إلى الفراش ، متخذاً
مكانه بجوار أخيه كما تعودا أن يرقدا طيلة حياتهما الماضية ..
ومد ذراعه فضمه إليه ، ثم تحسس بسبابته جفنيه المبتلان
وهمس بلهجة ملؤها الحزن :

— ما بك يا حسين ؟ إنك تبكى !

ولم يجب حسين ، وأخفى رأسه في الوسادة . وعاد
د على ، يسأل في دهشة شديدة :

— تكلم يا حسين .. منذ متى تخفى علىّ ما بك ؟

ورفع حسين رأسه من الوسادة وهدق في وجه أخيه
في الظلمة وقد خيمت على عينيه سحابة دمع ، وهتف
بصوت متحشرج :

— إني مريض .

— مريض !! بماذا ؟

— بمرض لا أجسر على ذكره .

ثم عاد يخفي وجهه في الوسادة واندفع في نوبة بكاء .
واستطاع د علي ، أن يدرك ما بأخيه . . وأحس بيد تعصر
جوفه في قسوة .

إن هذه هي العاقبة . . عاقبة الطريق الشائك الذي
اندفع فيه .

ووجد د علي ، نفسه يتسامل فاغر الفاء في ذهول :

— كيف يا حسين ؟ ومتى ؟ ! وأين ؟ ! أنى هذا البيت
الذي ذكرته لي ؟

ورفع حسين رأسه من أسفل الوسادة وهزها بالنفي
وأردف يقول :

— لا . . لم يكن هناك . . بل كان في بيت آخر ذهبنا
إليه بالأمس أنا وبعض الزملاء عند عودتنا من مباراة
الكرة . ولقد كنت متعباً . وحاولت أن أعود إلى المدرسة
مباشرة ، ولكنهم ألحوا عليّ وأصروا علي اصطحابي معهم .
وعند العودة إلى المدرسة اكتشفت الكارثة .

وأحس د علي ، أنها كارثة فعلا . . إن الأمراض

العادية الطبيعية التي يصاب بها الإنسان والتي يحس أن القدر قد أنزلها به ، لاتحل آلامها إلا بجسده ، أما هذا النوع من الأمراض فالآلامه مضاعفة .. آلام في الجسد .. وآلام في النفس والروح .. بل إن آلام النفس لأشد كثيراً من آلام الجسد .. إنها تهبط بالروح إلى أقصى الحضيض .. إنه يشعر أنه هو الذي أنزل المرض بنفسه .. ويشعر بين الناس بمهانة ومذلة .. لما تعودوا أن ينظروا إلى تلك الأمراض بالازدراء والاحتقار ، فهي دليل واضح على الخطيئة ، وأثر ملموس للزلل .

ضلة لهم .. كأنهم أبرار أطهار .. لا يعرفون الخطيئة ولا يرتكبون الزلل . ضلة لهم من منافقين كذابين .. يترفعون في مظاهرهم عن الخطايا ، والخطايا ملء أجوافهم .. ويأنفون من مقترفيها وهم في اقترافها أشد ، وفي ارتكابها أعمى ، ويزدرون آثارها ودلائلها وهم بازدراء أنفسهم أولى وباحتقارها أحق . وارنج على ، على ، فلم يعرف ماذا يقول ، وعاد حسين يتمتم في يأس :

— لست أدري ماذا أفعل ؟ إني لا أجسر أن أقول لأحد .. ولا أستطيع أن أبقى كما أنا .. وأخشى الفضيحة هنا وفي المدرسة .. ولست أعرف كيف أخفي الأمر ..

وأنا لا أستطيع أن أستمع في الطواير ولا تمرين الكرة أو
مبارياتها .. وإذا ذهبت إلى طبيب فلا بد من النقود ولا بد
أن يعرف أبي ، وأنا أكره أن يعرف .. إني أخشى ازدرائه ..
إني أشعر أن كل الناس يرمقونني بنظرات الاحتقار كأنهم
يعرفون ما بي .. حتى أنت أشعر بالخجل منك وأخشى أن
تكبره نومتى بجوارك .. إني يأس .

وأحس ، على ، بمدى يأس أخيه .. وكره أن ينغمر
معه في لجة اليأس .. وأن يغرق الإثنين في طوفان من
الاستسلام والعجز ، ورغم إحساسه بأن حسين إنما يجني
ثمرة خطاه واندفاعه في طريق اصطلاح الناس على أنه غير
مستقيم ، وأنه يدفع ثمن متعته آلاماً مضاعفة .. وأن الحياة
كشيمتها تسترد منه ما وهبته له ، بما سماه هو أوقاتاً طيبة ..
ورغم إحساسه بهذا فقد وجد أن من الخطأ أن يردده لأخيه ،
وأنه يجب أن يستمد من اليأس شجاعة تمكنه من أن يمد
يده لأخيه ليرفعه من وهدة .

وضم إليه أخاه وقبله قائلاً :

— تشعر بالخجل مني .. مني أنا ؟

— أجل .. إني أذكر نصحك لي .. وأحس بالتضاؤل

أمام مثاليته واستقامتك .

— أنا غير مستقيم ولا مثالى . . إن لى خطاياى كمالك
خطاياك . مامن بشر إلا وله خطاياہ . . إن الخطايا كامنہ فى
نفوسنا ، ولا فارق بين إنسان وآخر إلا فى قدرته على كبتها ،
اختلاف الظروف المحيطة به والمساعدة على إنمائها وتفجيرها .
— لو سمعت نصحك . . .

— ما كان يجب عليك أن تسمع نصحى ، فإسداء النصح
أضعف من أن يقف فى تيار الرغبة . . الرغبة فى الحياة
والمعرفة والمتعة . . إنما تنصحك تجربتك ومعرفتك .

— لو كنت أدرى ما سيحدث لى ؟ . .
— لأقدمت عليه . . فما أظنك كنت لاتدرى أن هذا
أحد نتائجه .

— إنها نتيجة قاضية .
— ليس فيها شىء من القضاء . . إنها أزمة تمر . . لاتدعها
تعصف بنفسك ولا تهاوى ولا تتخاذل . . إنها مجرد تجربة
علمتك شيئاً .

— واحتقار الناس لى وازدراءهم ؟
— دعك من الناس . . إنهم لابد أن يضرروا شراً أو
ينضجوا بشراً . . إن نجحت حسدوك . . وإن سقطت احتقروك
أما الذين يعرفونك فلم يغير ما أصابك ما بنفوسهم نحوك من

معزة . . إني لم أحس بما قلته لي سوى ضيق اضيقك ، وحزن
لحزنك . . فإذا تجلدت وواجهت الأمر بحزم وشجاعة
أصبحت وكأن لم يصبك شيء .

— وأبي . . ماذا سيقول ؟

— أينا أكثر الناس قدرة على تحمل المصائب والصبر
عليها ، وأكثر الناس تقديراً لنزوات الغير وأخطائه . . سيحزن
قليلاً ثم يواجه الأمر معنا أو يحمله عنا . . ماذا تظنه فاعل
غير ذلك ؟ ! أظنه يجهل أننا قد أصبحنا رجالاً . . وأن من
خصائص تكوين الرجال أن يفعلوا أشياء لا مناص من
فعلها ! ! إن الطريقة التي ركبنا بها والتي خلقنا عليها . . تجبرنا
على أن نفعل ما حرم علينا فعله ، وهذا شيء لا بد أن يكون
هو مسلماً به كما سلم به سواه ، والنتيجة أن تحدث ما نفعل بعض
مضاعفات لا بد أن نتحمل عواقبها . . مرض هنا . . ومأساة
هناك . . هذا شيء طبيعي لا بد من قبوله والتسليم به . .
والأصعب منه الانهيار واليأس . . والفزع والجزع . . وأن
ننظر إلى أصحابه كما ننظر إلى مخلوقات غريبة أنت أفعالا عجيبة
ليس فعلها من خصائص البشر . . بل من خصائص الجن
والشياطين . . نحن بشر . . وما يتوقع من البشر غير ما يتوقع من
الطلائكة . . وإن واجبنا حقاً هو التطهر من الدنس والتسامي عن

الشرور.. ولكن كيف نتطهر من الدنس إذا لم نوجد في الدنس
وننسا مي عن الشرور إذا لم تغمرنا الشرور .. دع عنك يأسك
وألقي عن نفسك جزعك وارتباكك .. لقد فعلت ما يفعله غيرك
من البشر . . وليس ذنبك أن يكون القدر قد اختارك
ليجعل منك عظة لبشر لا تجدى فيهم العظة ولا تنفع التجربة ..
بشرأ يدفعهم تكوينهم إلى الخطيئة دفعاً .. وإلا ما سموا
بشرأ .. أخى لا تحزن ولا تيأس فإني ما أحببتك في وقت من
الأوقات أكثر مما أحببتك الآن .

وأحس « حسين » بالعبء الذى أنقض ظهره قد تضاعف
وانكمش ، والكابوس الذى جثم عليه وأخذ أنفاسه قد
انزاح وانقشع ، ومد ذراعه فأحاط به أخيه وضمه إليه ،
وكانه يضم درعاً يقيه غائلة الشر ويصد عنه شبح الأذى .

وهمس فى أذن أخيه :

— وبماذا تشير على ؟

— دع الأمر لى .. سأدبره كله .. إن عليك هم المرض
وعلى هم التدبير .. ألم نتشارك كل شىء فى حياتنا .. حتى
نتشارك الهموم الآن ؟

وأغض الأخوين أعينهما .. وقد تشاركا الهم ، نخف عن

كل منهما عبثه .. ولم يكونا وحدهما الشريكين في ههما ..
بل كان هناك ثالث لم يحسا به .. شار كهما الهم وحمل منه
نصيبه .. إن لم يكن حمله كله ، حتى نام به كاهله .

في ظلمة الليل .. وأسفل الطاقة الكائنة في جدار
حجرتهما والمظلة على مرضيق يفصل بينها وبين حجرة الأم
كان يجلس شبخ صغير قد التف بشال من الصوف الأسود
وقد تكوّر في جلسته ودفن رأسه بين ركبتيه وأخذ جسده
يهتز من البكاء .

لم يكن ، على ، وحده هو الذي أحس بالتغير الطارىء
على حسين .. ولم يكن وحده هو الذي يعرفه كما يعرف
نفسه .. بل كان هناك مخلوق آخر قد أحس بمابه ، وأخذ يرقبه
في صمت وألم .. وعندما ذهب إلى فراشه جلس ينصت إلى
أنفاسه تتردد من الطاقة .. وهو يحس بقلبه يدمى .. ليأسه
وحزنه وبكائه ، ويود لو استطاع أن يشارك أخاه في ضمه
ورفع الحزن عنه ، ولكنه كان يعرف أنه لا يملك إلا جلسته
الخفية وبكائه الصامت .

كان هذا المخلوق القابع في الظلمة .. المرتجف من البكاء
والحزن .. هو « بهيه » .

از استخوان بیا



عاد

« على ، إلى المدرسة وقد استطاع أن يدبر في

حدود طاقته أمر أخيه . . ولم يكن في عودته

يخس بكثير من المرح ، بل كانت تطوف بنفسه موجة حزن

تلطمه بخفة اللطمة تلو اللطمة فلا تكاد تصيبه حتى تنحسر

لتعاود لطمة .

وكان لمصاب أخيه — رغم كل ما حاول أن يخفف من

وقعه على نفس أخيه — أثر سيء في نفسه . . ولم يكن هناك

شك في أنه أحد الدوافع المحركة لريح الأسى الخفية التي

تدفع بموجات الحزن في نفسه .

أجل .. كانت هي إحدى الدوافع ... أما الدافع الأصلي

فكان حديث دار بينه وبين أبيه وهو يسير معه عند عودته

من الحديقة قبيل المغرب .

سأله أبيه بعد فترة صمت بدا خلالها كأنه يدبر في نفسه

كيف يبدأ الحديث :

— أذهبت ليلة أمس إلى الحديقة ؟

ودهش « على ، من السؤال ولم يجد هناك مبرراً للانكار

لا سيما وهو يخس أن أباه يلقى السؤال ليس للتأكد من

الجواب بل لقيادته إلى حديث آخر أهم من السؤال .

وأجاب د علي ، في اقتضاب :

— أجل .

— ولقيت د أنجي ، ؟

وزادت دهشة د علي ، وعاد يجيب إجابته المقتضبة
وكأنه يستحث أبيه لكي يقول ما يود قوله :

— أجل .

وصمت الأب فترة أخرى ثم أطلق من صدره زفرة
حارة وقال :

— اسمع يا علي .. ليس أكره عليّ من نصحك .. لأنني
أعرفك جيداً ... أعرف أنك رجلاً لا تحتاج إلى نصح ..
بل إنك أقدر على النصح والتوجيه والإرشاد .. ولكنني
مع ذلك لا أجد هناك بدءاً من أن أوضح لك أمراً ربما
يكون قد خفي عليك .. وليس المفروض أن يرى كل إنسان
كل شيء .. بل غالباً ما يعجز الإنسان أن يرى الشيء الشديد
الملاصقة به .. مما يسهل على غيره أن يراه بسهولة .

وصمت الأب مرة أخرى ، وقال د علي ، وهو يحدق
ببصره في الحشائش المتناثرة أمامه :

— قل يا أبت ما تريد .. إني أفهم تماماً الدوافع التي
تدفعك إلى هذا القول .. إنك أبي قبل كل شيء ... ومهما

كنت ترى في من عقل وروية .. فلن أزيد في أية مرحلة
من مراحل حياتي عن أن أكون ابنك الذي يحتاج دائماً إلى
نصحك وإرشادك .

— لقد كنت دائماً أوجس خيفة .. مما يمكن أن ينشأ
بينك وبين الأميرة الصغيرة ... كنت أخشى عليك من
عواقبه .. ولكن كان يطمئني قدرتك على التحكم في
مشاعرك وعلى كبح جماح نفسك .. وأنا لا أستطيع أن
أقدر ما تأتي به الأيام فهي قادرة على فعل العجائب وتحقيق
المعجزات .. ولا أستطيع منعك عما يدفعك إليه قلبك لأنك
ترى به ما لا أرى بعيني . ولكن هناك كما قلت لك أشياء
يجب على من يرى بعينه أن يرشد إليها من لا يرى بغير قلبه ..
ولو لم يحدث ما حدث بالأمس لما فكرت في مفاتحتك
الحديث .. ولكن .. رب ضارة نافعة .

ولم يفهم د على ، ما يقصد الأب . وسأله وهو يحس
كأن هناك خطر مقبل :

— ماذا حدث بالأمس ؟

— لقد عرف الأمير أنك لقيت د أنجي ، .

— الأمير ؟ وكيف ؟

— قال له أخيها علاء .

— وكيف عرف علام ؟

— يحتمل أن يكون قد عرف من بعض الخفراء . .
لست أدري كيف عرف بالضبط . . ولكن المهم أنه عرف
وأبلغ أبيه .

— وماذا فعل أبيه ؟

— لقد سأل ، أنجى ، فأخبرته أنها لقيتك صدقة وهي
تتمشى في الحديقة عند ما كنت تبحث عني ، فأمرها بعدم
الخروج ليلا في الحديقة ، وزجر المربية لأنها تركتها تخرج
وحدها .

— وكيف عرفت أنت ؟

— لقد أخبرتنى المربية اليوم وحذرتني من مغبة علاقتكما
وطلبت مني أن أمنعك من محاولة الإتصال ، بأنجى ، إذا كنت
أريد أن أبقى على رزقي .

وأحس ، على ، من حديث أبيه وقع المطارق . وملاه
شعور خليط من الخجل والمرارة . . الخجل من أن يقف
موقف المذنب العايب الذي يوشك بعبثه أن يتسبب في قطع
رزق أبيه . . والمرارة من الحياة التي لا يستطيع المرء أن يرشف
من كأسها رشفة إلا وأعقبته في حلقة غصة ، مهما أحس
بحاجته إلى الرشفة وحقه فيها . . . ومهما كان غرضه منها

سامياً أم دانياً . ومهما أحس في أعماقه من روحانية أو
شهوانية .. ومهما بدا في مظهره من طهر أو دنس .. كله
سواء .. وكل رشفة لا بد في أعقابها من مرارة وغصة ..
لقد أصاب من رشفته من المرارة والإحساس بالذنب مثل
ما أصاب أخيه .

وأعقب هذا الإحساس بالخلج والمرارة .. إحساس
بالآلم والحشية من أن يكون قد سبب لها متاعب وعرضها
لزجر أو تأنيب أو أى نوع من أنواع الضيق .

وهكذا عاد ، على ، إلى المدرسة .. وموجات القلق
تتواتر على نفسه .. يقاوم لطمتها الحزينة إحساس أقوى
وأثبت ملأ نفسه بالإيمان والثقة .. وجعل موجات الحزن
تنحسر عنها دون أن تنال منها كأنها الصخرة الثابتة يتطاير
من حولها الرذاذ .

كان ذلك الإحساس القوى الملىء بالثقة والإيمان ، قد
غرسه في نفسه اللقاء الأخير ووطد دعائمه في قلبه حديث
ما زالت كلماته تطوف برأسه كأنها النغم الحلوة والترنيمة
العذبة .

كان يطنخى على كل أصوات الآلم والمرارة والخوف
والقلق صوت حنون عذب يهتف به في إيمان عجيب ، إن

طبيعتى من طبيعتك وتفكيرى من تفكيرك ومشاعرى من
مشاعرك ... إني أحس بروحينا تقارباً عجيباً .. أحس كأن
هناك انطباقاً بين نفسيينا . لهذا أحببتك ، ولهذا سأندفع فى
حبك بلا ترجح ولا توقف ، ولا خشية من تقاليد ،
ولا خوف من فوارق .. إننا بقلبيينا المتوهجين وروحينا
المتأججتين سنتخطى كل سدود الدنيا ، ولن يفرق بيننا
إلا الموت .

كان الصوت العذب يطغى على كل ما عداه .. كان يبعث
فى نفسه طمأنينة واستقراراً يتضاءل أمامه كل قلق وتبدد
كل خشية .. كانت اللمسة الساحرة التى تحلى كل مرارة وتلد
كل ألم .

ماذا يضايقه ويقلقه ؟ .. انقطاع عن لقاءها ؟ أو كان
هو يضمن لقاء دائماً ؟ . أليست هذه هى بعض الحوائل
والسدود التى يجب أن يتوقعها والتى قد عقدت معه ميثاقاً
على تخطيها بروحيهما المتأججتين وقلبيهما المتوهجين .
ألا يكفيه هناء ومتعة أن يذكر قولها .. إنها أحبته ..

وإنها ستندفع فى حبه بلا ترجح ولا توقف ؟

أجل .. إن هذا الجد كاف لأن يملأ نفسه بالأمل والرجاء
ويعينه على أن يطوى قفار الحياة .. حتى ولو لم يراها بعد ذاك !

وبدأ الدراسة في فرقته الجديدة فتناولته رحي الحياة المدرسية التي لا تني ولا تكل . . وأخذت تتلقفه أكف الطواير والألعاب والمحاضرات والمشروعات التكتيكية والرسوم الطبوغرافية في فرقة المتوسط .

وكانت دورات الرحي في فرقته الجديدة سريعة مجنونة فقد كان عليهم أن يدرسوا برنامج العام كله في بضعة الأشهر الباقية من السنة ، وكان عليهم أن يؤدوا في نهاية العام الامتحان الذي سينقلهم من القسم المتوسط إلى القسم النهائي . ولم يكن المطلوب هو مجرد النجاح فقد كان يتوقف على ترتيبه مستقبلة في العام القادم كله ، إذ كانت رتب ضباط الصف الذين يديرون المدرسة تعطى حسب الأقدمية ، وكان يتوقف عليه أيضاً إلى حد كبير ترتيبه عند التخرج وأقدميته في الجيش التي ستظل ملازمة له مدى حياته .

وكان القسم المتوسط يتكون من سبعة عشر طالباً : سبعة منهم باقين من الفرقة القديمة التي انتقل منها عشرة إلى القسم النهائي ليحلوا محل طلبته الذين تخرجوا ضباطاً ، والعشرة الآخريين الذين انتقلوا من القسم الإعدادي والذي كان هو أحدهم .

وبدأ النضال بين السبعة عشر طالباً . وكان دعلى ، بحس

في نفسه ثقة كبيرة فقد بدأ يعتاد حياة المدرسة ولم يعد يشعر بعد انتقاله إلى المتوسط وتفوقه في النجاح بشعور النكرة المجهول . وأخذ يبرز في مختلف نواحي النشاط في المدرسة . ونظر إليه الطلبة والمدرسين على أنه أحد الأوائل المنتظر أن تكون في يدهم إدارة المدرسة في العام القادم . فقد كان من المتوقع أن يتمكن الطلبة الناجحين من الإعدادى من المحافظة على أولويتهم في الترتيب عند انتقالهم إلى القسم النهائى ، إذ كان النضال بينهم وبين السبعة القدامى غير متكافئ . فقد كانوا أوفر ذكاء وأكثر جهداً وأعلى روحاً . وكانت فرصة السبق أسنح لهم رغم حصول الآخرين على فترة أطول للدراسة طول السنة في برامج المتوسط .

وهكذا شغل النضال علباً ، ولم يعد الانهماك في الطواير والدراسة والألعاب يمنحه إلا هنيهات قصيرة يجتر فيها أعذب ذكرياته ويهيم في أنضر أحلامه وأبهى آمانيه . ومرت الأسابيع دون لقاء . . . لم يحاوله هو . . . ولم تحاول الظروف أن تمنحه فرصته ، بل حرمت عليه الصدف السعيدة التي كانت تهيئها له في كل لقاء سابق . وأخذ الحنين يزداد به . . . وضيق الحرمان يشتد وهو يحاول أن يرفع عبئه ويقاوم شدته بذكري ماضية وأمل مستقبل . مستعيناً بكلمات

حنون تطوف في رأسه وبقايا وردة جافة تعبت بها أصابعه
وتتحسسها شفتاه .. ونفثة من صدره بين آونة وأخرى
لصاحبه سليمان كلما ضمتهما جلسة أو سبحت بالحديث فرصة .
وكان سليمان كعهده به يبادله بمحدث الصبابة حديث
سياسة ... كان ، على ، يتحدث وملؤه الحنين والحب والأمل ،
وكان سليمان يتحدث وملؤه التمرد والثورة واليأس .

وفي إحدى الأمسيات جلس الاثنان في صالة الجباز
الفسيحة ينتظران دورهما في تمرين الشيش .. وقد أخذ
سليمان يفضي بآرائه الثائرة ، بينما انهمك المدرب الفرنسي في
تمرين أحد الطلبة ، ولمح سليمان من خلال باب الصالة كبير
المعلمين الإنجليزي يسير ووراءه بعض الضباط .

وقطع سليمان حديثه وأشار بعينه إلى الرجل وهمس
في يأس :

— لا أمل هناك في إصلاح ما دامت تلك الوجوه
الحمراء رابضة في بلادنا .

ثم حوّل عينيه إلى صورة للملك معلقة في واجهة الصالة
وعاد يهمس :

— ولا أمل في جلائهم .. ما دام هذا رابضاً على
رؤوسنا .

وهز د على ، رأسه متعجباً من قول سليمان . . إنه لا يحس بضيق من هذا أو ذاك فكليهما أبعد عن نطاق تفكيره وأناى عن محيط ذهنه . ولم يعرف كيف يعلق على قول صاحبه ، وأنقذه من التعليق حلول دوره فى التمرين وإشارة المدرب له بأن يأخذ مكانه أمامه فارتدى القناع الشبكي ووقف أمام المدرب بستره التدريب السميكة والبنطلون الطويل الضيق ووقف وقفة الاستعداد لتمرين د السابر ، الذى أعقب به المدرس تدريبهم على لعبة د الفلوريه . .

وكان التمرين مملاً بطيئاً . . ليس به شىء من مظهر المبارزة الحار النشاط السريع الذى طالما رآه د على ، فى السينما بين أبطال المبارزة فى عهود الأقطاع فى أوروبا . كان التمرين لا يزيد على حركات متكررة متوالية . . وكلمات متشابهة منقطعة تخرج من شفتى المدرب باللغة الفرنسية : « اضرب ، د اتق ، . . د اضرب ، . . د اتق ، . . »

وانتهى دوره فى التمرين . وتقدم سليمان ليتخذ مكانه أمام المدرب . عندما دخل الجاويش النوبتجى بسونكيه المدلى من قايش الوسط . . الذى يميزه عن بقية الجاويشية وصاح بالطلبة الموجودين فى الصالة فى كلمات قصيرة قاطعة آمرة :

— اجمع في الفرق .

ودهش الطلبة إذ لم يكن موعد انتهاء ظابور الشيش قد حان ، وكانت طواير الشيش والملاكمة تعمل دائماً بعد التمام في إحدى حصص المذاكرة . ولم تكن نوبة انتهاء الحصة الأولى قد قربت ، وتساهل الطالب الأقدم (الحكمدار) محاولاً الاستفهام من الجاويش النوبتجي :

— أنجمع الآن أم بعد انتهاء الطابور ؟

وعاد الجاويش يصيح متبرماً بغباء الطالب :

— اجمع حالا في الفرق .

ونزع الطلبة ملابس الشيش واصطفوا بسرعة ثم انطلقوا بالخطوة السريعة إلى فرقهم . ولم يكذب يستقر بهم المقام على مقاعدهم حتى صاح حكمدار الفرقة منادياً :

— ثابت .

ثم أدى التحية لسليم افندي الضابط الذي يدرس لهم مادة المشاة والذي تقدم إلى منصة المدرس قائلاً للطلبة دون مقدمات :

— في خمس دقائق أريد أن يجهز كل طالب بندقيته ويركب بها القايش وتصطف الفرقة كلها أمام عنبر الصنف الثالث .

ثم وجه القول إلى حكمدار الفرقة :

— مفهوم . . خمس دقائق فقط .

— حاضر يا قندم .

— انصراف الفرقة على العنابر .

ودون أن تعطى لهم فرصة للسؤال أو التوضيح اندفع الطلبة كالصواريخ من منطلقين من الفرقة إلى عنابر النوم . وفسكت السلاحليكات وأخرجت منها البنادق وركبت فيها القوايش . وفي أقل من خمس دقائق كانت الفرقة مصطفة في المكان المطلوب ، وكانت بقية فرق المدرسة (الإعدادى والنهائى) قد اصطفت أمام العنابر الأخرى .

وبدأ الهمس والنساؤل يسرى . . .

ما سر تلك المفاجأة ؟! لماذا يغادرون الفصول ليصطفوا ببنادقهم في هذا الوقت من الليل ؟!

ليس الوقت وقت طوابير . . ولو كان هناك تمرين على السير الليلي لوجب أن يعد له من قبل . ولكتب ذلك في البرنامج ولتنبه عليهم للاستعداد له .

إذا ما السبب في هذا الاصطفاف العجيب ؟
أترى هناك أوامر أخرى مفاجئة كتلك التى ألقيت
قبيل الامتحان ؟

أترى هناك .. امتحاناً آخر ؟

وإذا كان .. فما حاجتهم إلى الاصطفاف بالبنادق ؟
لا .. لا .. لا بد أن يكون في الأمر شيئاً غير هذا .
لننتظر .. بعد هنية لا بد أن يقبل أحد رؤوس
المدرسة . كبير المعلمين أو الأركان حرب .. ليجلو الغامض
ويكشف السر .

وسمعت وقع أقدام مقبلة على السلم .. وصاح الحكمدار
منها الطلبة :
— فرقة .

ونظر الطلبة بأطراف أعينهم إلى ناحية السلم .. فلم
يجدوا في القادمين سوى مدرس المشاة يتبعه بعض الصف
ضباط التعليم ، (المعلمين من الجنود) .
وأردف حكمدار الفرقة متمماً نداءه :
— ان يتبه .. . كتنفاً .. . سلاح .

ورفعت البنادق في حركات ثلاثة قوية نشطة ،
واستقرت على الأكتاف وعلى راحة الأيدي اليسرى
بالسواعد موازية للأرض والكيعان ملتصقة بالجانب .
وصاح الضابط أمراً المعلمين :

— كل معلم يأخذ جماعته .. وجماعة الباشجويش معوض
تقسم على الجماعات .

وفي لحظات قصار كانت الفرقة قد قسمت كما تقسم في
طواير المشاة ووقف كل معلم أمام جماعته .
ووقف د علي ، بجوار سليمان مشدوهاً مأخوذاً ..
وهمس متسائلاً :

— ما هذا التهريج ؟ .. أطابور سلاح في هذا الوقت
من الليل ؟ ما سر هذا الاستعجال ؟ ! ألن يطلع الصبح ..
لا بد أن يكون سليم أفندي جن ؟
ورد سليمان هامساً :

— سليم أفندي وحده .. إن المدرسة كلها قد جنت ..
إن كل الفرق قد خرجت في طابور سلاح ليلى ..
— ولكن لماذا ؟

— لا بد أنها سخافة من نزوات العسكرية المفاجئة ..
شيء طرأ على ذهن كبير المعلمين فجعله يأمر بطابور ليلى ..
ماذا سيضيره هو .. مادام مطمئناً في مكتبه !
— لا أظنه جن إلى هذا الحد .. لا بد أن يكون في
الامر شيئاً .

— أي شيء .. صدقني إن المسألة لا يمكن أن تكون
أكثر مما قلت لك .

وصاح سليم أفندي بالتعليمية :
— ابتدى التعليم .. لا أريد د لت وعجن ، .. أريد

تعليم سريع .. وحركات موحدة مضبوطة .. استعمال العدد
في شرك .. لا أريد أن أسمع صوتاً .

وبدأ التعليجية تعليمهم . وصاح الشاويش رزق بجماعته
محاولاً إيقاظها :

— جماعه .. صفاء .. جماعه .. انتباه .. جماعه ..

صفاء .. شديد .. شديد .. مع بعض ..

وعندما اطمأن إلى يقظة جماعته بدأ التعليم :

— سنجرى اليوم تعليم وضع منعكساً سلاح .. عندما
ينادى المعلم منعكساً سلاح بالعدد في واحد .. هات البندقية .
واستمر المعلم في درسه ، يعبر عن الحركة ثم يفعلها
والجماعة تقلده ، وأصبحت الطريقة كأنها برج بابل أو سوق
الثلاثاء تتعالى منها مختلف الصيحات والنداءات والحركات .
وعندما انتهى الطلبة من تعلم منعكساً سلاح ، بدأ
المعلم قوله :

— انتهينا الآن من حركة منعكساً سلاح .. أريد من
كل طالب بعد انصراف الطابور أن يتمرن عليها على حدة ،
ليس لدينا وقت للتمرين .. والآن سنعلم .. نكس سلاح .
عندما ينادى المعلم نكس سلاح بالعدد في واحد ..
ضع البندقية .

ويبدو أن حماس المعلمين في التعليم قد تزايد فقد خرج
الأركان حرب من مكتبه ووقف في الفناء يصيح بحنجرته
الميكروفونية :

— سليم افندى .. قلنا بلا ضجيج يا سليم افندى ..
ليس هناك شيء بعد .. أدخلوا العنابر من فضلك ...
وأجاب سليم افندى على صيحته :
— حاضر يا فندم .

ثم وجه القول إلى التعلجية :
— على مهلك التعلجية .. بصوت واطى .. كل تعلجى
يدخل الجماعة العنبر الذى يصطف أمامه .. ويجرى التمرين
على الخطوة البطيئة .

ودخلت الجماعات إلى العنابر .. وفي أثناء الدخول ..
منحت فرصة الحديث لسليمان فهمس في أذن على :
— صدقت .. إن المسألة أكبر من مجرد سخافة ..
لأنه تمرين على جنازة .

— جنازة من ؟ من الذى مات ؟
— لم يمت بعد .. ولكنه يوشك أن يموت .. إننا
تدرب على احتمال موته .
— من هو ؟

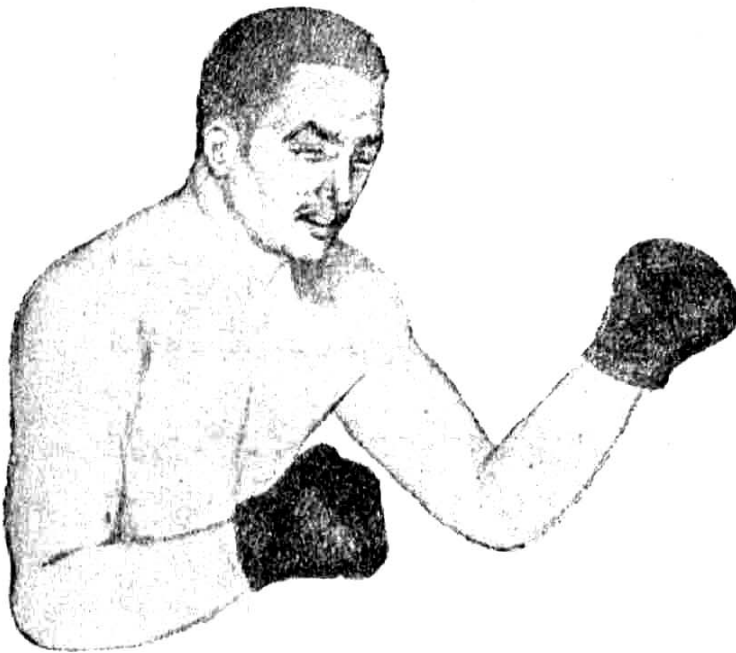
— الملك .

وفي اليوم التالي كان الملك قد انتهى . . وارتدى الطلبة
الملابس الكاكية نمرة ١ وخرج طابورهم يتقدم الجنازة
الطويلة الضخمة الرائعة التي أخذت تخرق شوارع القاهرة ،
وقد حملوا أسلحتهم في وضع « منعكساً سلاح ، الذي أجرى
تدريبهم عليه . . والملك يلفظ آخر أنفاسه . . وكان هناك
سباق بين تدريبهم الحركة وبين خروج أنفاسه . . وبلغ
طابورهم منحدر القلعة وبدأت مآذن القلعة لأنظارهم في
الطريق الصاعد بين الجامعين وانشق طابورهم نصفين ليصطفوا
على جانبي الطريق ووضعوا بنادقهم منكسة على أقدامهم
وأحنوا رؤوسهم والنعش الملفوف في العلم الأخضر يمر
بينهم . . وحمل النعش إلى داخل جامع الرفاعي وبدأت
حشود المشيعين تملأ رحاب شارع محمد علي بفئاتهم المختلفة .
وانتهت الجنازة ، وركب الطلبة اللوريات ، وجلس
سليمان بجوار « على ، وسمع « على ، تنهيدة راحة تخرج من
صدره كأنما أزيح عنه عبء ثقيل . ومر بهما بائع صحف
يحمل أحد الصحف وقد كالت بالسواد وكتب عليها بالخط
العريض « مات الملك . . يحيا الملك ، .

وهمس سليمان وكأنه يحدث نفسه :

« ليحيا . . . إذا استحق أن يحيا ، .

فہرست سرفہ



أُشرف

العام الدراسي على نهايته واشتدت المسابقات الرياضية بين الطلبة والبلاتونات (الفصائل)

البلاتون الأول والبلاتون الثاني . وكانت للرياضة في المدرسة أهمية كبرى للأفراد والبلاتونات ، أما من ناحية الأفراد فقد كان للألعاب الرياضية درجات يحصل عليها الطلبة المتفوقون فيها تضاف إلى مجموعهم الأساسي في الامتحان النهائي وتحتسب لهم في الترتيب ، فكان لكل فرد من الفريق الأول في كرة القدم درجة أقصاها خمسون حسب قوة اللاعب والفريق الثاني درجة أقصاها ثلاثون ، وبالأول في وزنه في الملاكمة خمسون درجة ، والثاني ثلاثون درجة . . وهكذا في كل لعبة . . حتى لقد كان بعض الطلبة المتفوقين في الرياضة يحصلون أحيانا على ثلثائة درجة ، تضاف إلى مجموعه في الدروس فتقفز بترتيبه العشرات أو تضعه في مرتبة الأول .

وقد كانت لتلك الطريقة ما يبررها من ناحيتين : الأولى تشجيع الرياضة وجعلها في مرتبة أساسية كالعلوم ، والثانية مكافأة اللاعب عن جهده ووقته الذي يصرفه في الرياضة ، (بينما غيره يصرفه في الاستذكار) بدرجات تعوّض له الدرجات التي كان يمكن أن يحصل عليها لو صرف كل وقته وجهده في

العلوم .. فلا يشعر أن جهده ووقته المنصرف في الرياضة ضاع سدى .. ولا يعود يرى في الرياضة مضيعة للوقت ، مفسدة للمستقبل .

ولم يكن « على » بالرياضى الممتاز ، ولكن رغبته في التفوق وخشيته من أن يكون تأخره في الرياضة سبباً لضياع مجهوده في الدروس ، جعله يبذل كل مامك من جهد في كل نواحي الرياضة .. وساعدته في ذلك سلامة بنيته وقوة جلده وفرط تحمله وشدة مثابرته .

واستطاع بجهده أن يكون أحد أفراد الفريق الثانى فى كرة القدم .. وفى ذلك العام هزم الفريق الأول للمدرسة فريق مدرسة البوليس ، وكانت مباراة الكرة بين المدرستين من أهم الأحداث فى تاريخ المدرسة .. وعلى نتيجتها تتوقف سعادة أو شقاء طلبة المدرسة طول العام .. وفى غمرة السعادة التى أصابت إدارة المدرسة من الفوز على مدرسة البوليس قررت إغداق الدرجات على فريقى الكرة .. الأول والثانى ، رغم أن الفريق الثانى لم يشترك فى المباراة ، ووجد « على » ثلاثين درجة كاملة تهبط عليه من السماء . وفى « اختراق الضاحية » .. استطاع بجلده وعزمته أن يكون من العشرة الأوائل فحصل على عشر درجات ، وفى الشيش عاونه الحظ فكان من الخمسة الأوائل فأضاف بذلك

إلى درجات الرياضة بضعة درجات أخرى .
وبدأت مباريات الملاكمة .. ولم يكن قد حاول الملاكمة
من قبل .. بل كان ينفر منها بطبيعته المسالمة وخلقه الهادئ ،
ولكن لم يكن من لعبها في المدرسة بد ، فقد كانت رياضة
إجبارية على كل طالب .

وكانت مباراته الأولى مع محمود عبد الحفيظ .. أحد
زملائه في العنبر .. وكان « على » يشعر بالرهبة تزداد بنفسه
كلما اقترب موعد المباراة .. فقد كان عبد الحفيظ لاعباً
قديماً .. ولم يكن يبدو عليه أى تهيب للمباراة .. بل كان
يقول لعللى مازحاً : إنه لن يجعله يتعب كثيراً لأنه سينتهى
منه فى الجولة الأولى .. وكان يجلس ليقص على طلبة
الصنف (العنبر) أخبار ملاكماته الأولى فى مدرسة طنطا
وكيف كسر فك أحد خصومه وأحدث للآخر ارتجاجاً
فى المخ .

وكانت أحاديث عبد الحفيظ .. رغم ما فيها من مزاح ..
تسبب لعللى كثير أمن الرهبة .. وتخفيض من روحه المعنوية ..
وتشعره بأنه قادم على معركة خاسرة .

شئ واحد هو الذى كان يبعث فى نفسه بعض الأمل ..
وهو المقارنة العملية بينه وبين خصمه .

كان يجلس ليرقبه عند ما يعرى جسده أثناء تبديل
ملابسه .. فيجده رفيع الذراعين نحيل الجسد ، ويجد ذراعيه
إذا ما تحسسهما أو أبصرهما في المرأة قوين صلبتي العضلات
ثم يجد أن خصمه مدمن تدخين وهو لا يطيق أنفاس
الدخان ، ويجده كذلك صاحب مغامرات وجولات ، وهو
لم يعرف طريقه بعد إلى المغامرات والجولات .

كان ذلك هو ما يعزیه .. ويبعث في نفسه الأمل ..
إذ كان يشعر أنه في جملته يستطيع أن يحطم خصمه رغم
ما يملكه من فن وتجارب وماض مشرف .

ولم يخب ظن « على » ، بل تحقق كل ما كان يشعر به ..
وعندما حلت المباراة استطاع في حلقة الملاكمة أن يضرب
خصمه علقة جعلته ينسى كل ماضيه وتجاربه وفنه في الملاكمة .

وتمكن « على » ، بعزيمته من أن يفوز على خصومه حتى
وصل إلى الدور النهائي .. وكان خصمه فيها .. صلاح الدين
جمال .. طالب ، ضخم ، طويل لم يكن لديه أى أمل في
الانتصار عليه .

وكانت المباراة النهائية في المدرسة تقام في حفلة كبرى
يدعى إليها كبار ضباط الجيش .. ورجال وزارة الحربية
وغيرهم من كبار المدعوين الإنجليز والمصريين .

وحل موعد المباراة . . . وبدأت صلاة الجباز في ذلك
المساء تشع من نوافذها الأضواء . . . والمدرسة كلها تضج
بالحركة كأنها خلية نحل . . . وأخذت وفود المتفرجين
تتواتر عابرة فناء المدرسة بين الباب الرئيسى و باب الصلاة ،
واصطففت المدرسة عدا الطلبة المتبارين بالملابس السكاكية
والطرايش والقوايش ، ثم قادم باشجاويش المدرسة إلى
أماكنهم فى الصلاة لمشاهدة اللعب .

وجلس ، على ، على طرف فراشه يضع قدميه فى حذاء
الملاكمة الأسود الخفيف ، ثم ارتدى شورت أزرق وقائلة
عادية ووضع الفوطة حول عنقه وكبود الفسحة فوق جسده
والطربوش على رأسه ، ومد يده ليغلق الدولاب وبنفسه
شعور بالانقباض والضيق والرغبة ، وقبل أن يغلق
الدولاب مد يده بحركة لا إرادية ففتح الدرج الخصوصى
وأخرج علبة صغيرة أشبه بعلبة الكروت وفتحها وتحسس
مابها ثم مسه بشفتيه وأعاد العلبة برفق إلى مكانها ثم انطلق
يعدو وقد خف عن نفسه بعض الانقباض .

وبدت الصلاة رهيبة المنظر ، بحلقة الملاكمة فى منتصفها وقد
شدت حبالها ولفت بقماش أبيض ودهنت قوائمها بالأزرق
والأحمر وسلط عليها ضوء كشاف قوى تدلى من السقف

بدا ظاهره كأنه « مكبة » سوداء وباطنه كأنه شمس ساطعة ،
وفي المواجهة منضدة جلس عليها الحكم وقد تدلى أمامه
مصباحان أحدهما أزرق والآخر أحمر . . . وجلس بجواره
الميقاتي وقد أمسك بساعة توقيت ووضع أمامه مطرقة
وصينية نحاسية « جونج » ، وعلى جانبي الحلقة جلس مساعدا
الحكم كل على منضدة صغيرة وأمامه قلم وبضعة وريقات
بيضاء لكتابة النتائج ، وفي ركني الحلقة وقف جنديان من
معلمي التربية البدنية وقد ارتدى كل منهما فائلا بيضاء وبنطلونا
أبيض ولف وسطه بقايش الجباز العريض وبجواره جردل
به ماء وقطعة من الإسفنج .

وفي مواجهة الحكم صفت مقاعد المكتبة والنادي
الأسيوطي وجلس عليها كبار المدعويين يتبادلون الحديث ،
وعلى الجانبين رصت مدرجات خشبية جلس عليها الطلبة
يتهايمون في مرح . . . وبدت سيما الغبطة على المتفرجين
كأنهم يتأهبون لمشاهدة مسرحية فكهة مسلية .

وفي نهاية الصالة الطويلة الفسيحة ذات الجدران العالية
والسقف الجمالون تستقر حجرتان ضيقتان منخفضتان توضع
فيهما أدوات الألعاب ، وفوق سقفيهما غرفة آلة العرض
السينمائي عندما تستعمل صالة الجباز كصالة للسينما .

وفي الممر المنخفض الضيق الكائن بين حجرتي المخزن
والذي يحجبه عن الصالة الكبيرة بابة الشبكي الخشبي المترجح
للأمام وللخلف جلس د علي ، مع بقية اللاعبين والمدربين
وتومرجى القسم الطبي في انتظار دوره في اللعب .

وكان د علي ، يحاول الكلام .. ولكن الرهبة كانت
تعقد لسانه وتطبق على أنفاسه .. كانت المرة الأولى التي
يلاكم في حفل رسمي ويتعرض لمثل هذه المجموعة الهائلة
من الأنظار والأضواء .. لقد انتصر في ملاكماته السابقة
لأنها كانت أشبه بالتمرين منها بحفلات الملاكمة .. كانت
بالنهار ولم يكن هناك من يشاهده سوى الحكام والطلبة
وبعض الضباط .. وكان يشعر — رغم الخشية التي كانت
تتملكه من خصمه قبل كل مباراة — بأنه أقوى منه .

أما هذه المرة فلشد ما يزعجه هذا الحشد المتجمع حول
الحلقة ولشد ما يروعه هذا المظهر الضخم الهائل .. وهو
يحس أن الثقة التي كانت تستقر في قرارة نفسه في المرات
السابقة قد تبددت هذه المرة .. إن خصمه يبدو طيباً مرحاً
لطيفاً .. وهو قد يعجب بطيبته ولطفه ومرحه ، ولكنه
لا يعجب أبداً بطوله وضخامة جسده .. وعند ما يجري
المباراة التي تعود أن يجريها كل مرة ليبعث الثقة في نفسه

يجد أن كفة خصمه أرجح وأثقل . . . ويجد أن الثقة التي كان يشدبها أزره بعملية المقارنة . . . تتطاير وتبدد .

وزاد من ضيقه أن مباراته لم تكن الأولى بل كان عليه الانتظار والتطلع والترقب . . . وكانت كل دقيقة تمر به تزيد الحمل الجاثم على أنفاسه ثقلاً ، وتملأ نفسه بمزيد من خشية ومزيد من قلق ورهبة .

وبدأت المباراة الأولى . . . ولم تسكن مباريات الملاكمة في المدرسة الحربية تمت بكبير صلة أو شبه إلى مباريات الملاكمة العادية ، بل كانت أقرب شهاً وأشد صلة بالمعارك الدموية والمذابح . . . وكان نجاح المباراة يقاس بكمية الدماء المراقبة من وجوه المتلاكمين وبمقدار الكدمات في عيونهم وأنوفهم .

وانتهت المباراة الأولى ، وأقبل المتلاكمان على الحجرة الصغيرة ، وكان من العسير أن تعرف أيهما الفائز ، بل كان من الأشد عسراً أن تعرف أيهما هو . . . أهو أم غريمه ؟ بعد أن أضاعت الدماء السائلة والأعين السوداء والأنوف المتورمة من وجهيهما كل المعالم والسمات التي كانت تميزهما قبل المباراة . وزاد منظرهما من خوف ، على ، ورهبته . . . وأحس بجفاف في حلقه ومرارة في فمه وبارتخاء في عضلاته . . . وود لو استطاع الفرار من الصالة أو من المدرسة .

وسمع صوت الجاويش الذى يقدم المتلا كمين ينادى :
— المباراة الثانية وزن المتوسط .. بين طالب نمرة ١٩
صلاح الدين جمال ، وطالب نمرة ٥ على عبد الواحد .
ثم سمع صوت المدرب وكأنه يناديه من جوف بئر :
— هيا .. لقد حل دوركما .

وأحس بمغص فى جوفه كأن يداً تعصر أمعائه ..
ولكنه لم يملك سوى أن يطرح المعطف وينزع الفانلة ثم
يعدو بالخطوة السريعة وراء خصمه فيدخلان الحلقة المضيفة
من بين الحبال ثم يقفان « انتباه » أمام مدير المدرسة ويتجه
كل منهما إلى الركن الملون بلونه : على إلى الركن الأزرق
وصلاح إلى الركن الأحمر .

وأحس « على » بدقات قلبه تتزايد ، وبرهبتة تبلغ أشدها ،
وقد جلس على المقعد الصغير بينما وقف جاويش التربية
البدنية أمامه يتشاغل بتدليك عضلات ذراعيه وساقيه .

وعلا صوت الحكم يصبح :

— مساعدين خارج الحلقة .. الشوط الأول .. ابدأ .
وضرب الجونج .. ونهض على فى خطوات سريعة
عصية ومد يده بالقفزات الضخمة فشد بها على يدي خصمه
فى تحية سريعة .

وبدأت الملاكمة .. وبمجرد بدئها واندفاعه فيها زال
من نفسه كل شعور .. حتى شعور الرهبة . ولم يعد يحس
بالأضواء المسلطة أو العيون المحدقة .. ولا عاد يرى طول
خصمه ولا يخشى ضخمته .. كل ما كان يحس به هو يد تنطلق
لتثني وتثني لتنطلق .. وقبضة خصمه تصطدم بوجهه ..
وقبضته تصطدم بوجه خصمه .. دون أن يشعر منها بأى ألم .
واستمرت الأيدي تنطلق باللكمات كأنها الطلقات فى قوة
وسرعة .. وهو لا يعى شيئاً .. كأنه لا يقف فى الحلقة ، حتى
وصلت إلى مسامعه طريقة نحاسية وسمع صوت الحكم ينادى :
— قف .

ثم سمع الأكف تدوى بالتصفيق . واندفع المساعدان
إلى داخل الحلقة فوضع كل منهما مقعده وجردله ، وأحس
على ، بقطعة الإسفنج المبتلة تلطم وجهه وأحس بملوحة
الدماء فى فمه ولمح اللون الأحمر يصبغ الإسفنجية ولكنه
لم يكن يحس بأى ألم .

وأخذ المساعد يهوى عليه بالمنشفة حتى دق الجونج
وصاح الحكم :

— مساعدين خارج الحلقة .. الشوط الثانى . ابتدئ .

وبدأ الشوط سريعا قويا كسابقه ، وكانت معظم ضرباته إلى خصمه بيده اليسرى مفرودة (ستريت لفت) وكانت تصيب رأس خصمه في الوقت الذي ينحن خصمه ليصيبه يميناه في أسفل صدره .

واستمر الشوط بضربات القوية المتبادلة ، يسرى « على » مفرودة في رأس صلاح ، ويمنى صلاح مفرودة في جانب على الأيسر .

وقبيل نهاية الشوط بدأ « على » يحس بالتعب ، ولكنه استمر في ضرباته بنفس السرعة والقوة حتى ضرب الجونج وعاد إلى مقعده .

وبدأ المساعد يمسح وجهه ويدلك عضلاته وأخذ يهمس في أذنه :

— اخفض مرفقك الأيسر حتى لا تكشف جانبك .. إن كل ضرباته موجهة يميناه إلى جانبك الأيسر .

وكانت نصيحة المساعد في موضعها .. ولكن « على » لم يكن في حالة تسمح له بتفهم النصيح ولا كان لديه الوقت ليتعلم أساليب جديدة في الملاكمة .

ودق الجونج وبدأ الشوط الثالث والآخر . « وعلى » يحس بالوهن الذي أصابه في آخر الشوط الثاني يزداد

وبأنفاسه تضيق ، ولكنه اندفع يصوب الضربات عنيفة قوية
بنفس الطريقة التي اتبعها في الجولتين السابقتين ، وفي كل جولة
لعبها من قبل ، فقد كان ذلك هو الأسلوب الذي اعتاد عليه .
أصابه خصمه كثيراً في جانبه ، وأصابه هو كثيراً في
رأسه حتى سود عينيه وفسد أنفه . وأحس بالتعب يزداد
وبالوهن يشتد ، ولكنه ضغط على ضروسه واستمر يكيل
الضربات وهو يحرك يديه بطريقة آلية لا شعورية كأنما
يحرك يدي غيره .

وأخيراً ، وبعد انتظار أحس به هو أكثر من سواه .
طرق الجونج . . وتلته عاصفة مدوية من التصفيق . ووقف
أمام خصمه يتصالحان بالقفازات الضخمة ثم حيا مدير
المدرسة وغادرا الحلقة .

وقبل أن يمد الحكم يده ليضئ المصباح الفانز قال :
— الأزرق لعب مباراة ممتازة . والأحمر فائز .

ثم مد يده فأضاء النور الأحمر ودوى التصفيق مرة أخرى .
وعاده على ، إلى الممر الضيق وهو يحس بتلاحق شديد
في أنفاسه وضيق في صدره ووخز في جانبه الأيسر ، وارتدى
على مقعد طويل وهو يحس بالوخز يشتد وبالآلم يتزايد ،
وكان صدره يكاد يتحطم ووضع المنشفة في فمه خشية أن

يصرخ ، وأقبل عليه التومرجى يسأله عما به فأشار إلى جانبه دون أن يستطيع النطق . وحاول أن يتحسس الموضع الذى أشار إليه ، فأحس د على ، كأنما قد وخزه سكين وصرخ صرخة مكتومة فى المنشفة .

وأسرع الجندى الممرض بإحضار الضابط الطبيب وأقبل عليه الأخير يفحصه وقد بلغ أقصى حالات الأعياء حتى أصبح لا يكاد يقدر على التنفس . ولم يكذ الطبيب يتم فحصه حتى رفع حاجبيه فى دهشة وصاح بالتومرجى :

— انقله إلى المستشفى فى عربة الإسعاف . . إنه مصاب بكسر فى الضلوع .

وأحس د على ، فيما يشبه الغيوبة بأنه قد حمل على النقالة ووضع فى عربة الإسعاف . ثم أحس بمطبات العربة فى الطريق إلى المستشفى ، ولم يشعر بعد ذلك إلا وهو راقد فى فراش المستشفى .

ولم يكن الكسر شديداً ، ولم يحتاج الأمر إلا للف صدره وشده بالمشمع وتركه حتى يلتئم من تلقاء نفسه فى وضعه الطبيعى . وكان أول من زار د على ، فى المستشفى بعد سليمان الذى رافقه إليه هو خصمه صلاح . فقد أقبل عليه فى الصباح بعينه

السوداوتين وأنفه المكدوم ، وشد على يده في حرارة وجلس
يجواره على الفراش وقال في لهجة ملؤها الحزن الأسف :
— أنا متأسف جداً يا علي . . . لم أكن أنصوّر أبداً
أنى أصبتك بكسر في أضلعك .. إني لم أنم في الليلة السابقة .
فقد كرهت نفسي ، وأنا أتخيلنى أوجه لك الضربات في ضلعك
المكسور . وأنت صابر متجلد كأنه ليس بك شيء . . . إني
أعتقد أنه كسر في آخر الجولة الثانية ، فلقد بدا عليك ألم
شديد . . . ولكنك مع ذلك استمررت في اللعب حتى خيل
إلى أن ما أصابك لم يكن سوى ألم مفاجيء زال في لحظته .
وضحك د علي ، وقال :

— لا عليك يا صلاح .. إني لم أشعر بشيء مما تقول ..
إني فقط شعرت ببعض التعب في نهاية الجولة الثانية . . . على
آية حال الحمد لله . . . على نهايتها . . . إنك لا تعرف كم كنت
أخشى ملاكمتك ولكنها مرّت على خير .

— أى خير هذا ؟ لقد ضربتني ضرباً لم أتصوّر قط
أنه يمكن أن ينالني منك . . . أوكد لك أنى كنت أتخيل أن
المباراة معك لن تكون سوى مباراة تسلية ، ولكنك
ضربتني ضرباً قاسياً .

وضغط د علي ، على يده وقال ضاحكاً :

— إذا أصبح خالصين . . . لقد كنت أود دائماً أن
تزداد صداقتنا .. إذ كنت أعجب بروحك المرححة اللطيفة ..
وأعتقد أن هذه ، العلفة ، المتبادلة هى أقوى أساس نبني
عليه صداقتنا المقبلة .

— أرجو ألا يكون بنفسك شىء منى ؟

— أبداً . . أبداً . . أنت لم تصبنى عن سوء قصد .
ومنذ ذلك الحين عقدت بين الإثنين صداقة قوية وودمتين .
وقبيل المغرب كان ، على ، يرقد فى فراشه وقد أطلق
ذهنه يتصيد الهموم .

كان أكثر ما يضايقه فى إصابته أنها فى نهاية السنة . .
وقد أوشك موعد الامتحانات أن يحل ، بل إن الامتحانات
العملية قد بدأت فعلاً .. فكيف يمكن أن يؤديها وهو بحاله
تلك . . إن شر ما يخشاه هو أن تضيع عليه رقدته فرصة
الامتحان فيعيد السنة ويصبح كما يقول المثل : « كأننا يابدر
لا رحنا ولا جينا » .

وهو يعلم أن هناك طلبة أعادوا السنة لأنهم مرضوا
قبيل الامتحان وإن يكون هو بخير منهم .

لعن الله هذا القدر الساخر الذى يعطينا باليمين ما ياخذه
باليسار . . ماذا سيقول لأبيه إن اضطر إلى إعادة السنة ؟
وأحس بضيق من نفسه لأنه كان يمكن لو أخفض يده

ألا يصاب وكان يمكن أن يخرج من الجولة الثانية دون أى
حرج . . ولكنها ، الكبرياء ، والعناد .

وأحس بضيق من صلاح لأنه استمر يضربه فى ذلك
الجانب مستغلا كشفه .

وهكذا ساقه ذهنه إلى الضيق بكل شئ . . ولم تفلح
محاولته فى الاستعانة بذكريات ، أنجى ، ووعودها بأن تزيل
الضيق .

وأغمض عينيه محاولا طرد الوسوس والاستعانة
بإيمانه بالله . . عندما أحس وقع أقدام كثيرة تقترب من
باب العنبر الذى رقد فيه ، ثم أبصر كبير المعلمين الإنجليزى
بوجهه الأحمر وأنفه الضخمة وعصاه المترجحة فى يده قد
أقبل وبجواره مدير المستشفى العسكرى وهو ضابط برتبة
الأميرالاي فى لهجته لكنة سورية .

وأصابت ، على ، رهبة من رؤية الرجل فقد كان منظره
يبعث الخوف فى نفوس الطلبة فى المدرسة . . إذ كان الحاكم
بأمره فيها .

وأخذ الرجل يقترب حتى وصل إلى فراش ، على ، ثم
مد يده إليه بلفافة أخرج ما بها فإذا به تمثال صغير لملاك من
الفضة وشد على يده مصاحفاً وهو يقول بالعربية الركيكة :

— لقد قدمت لأهنتك .. إنك قد هزمت في المباراة
ولكن هزيمتك كانت أشرف مارأيت من الهزائم . ولقد
كنت خيراً من الفائز .

ثم نظر إلى مرافقه قائلاً :

— كان يجب عليك أن تشهد هذه المباراة .. لقد فاتك
الشيء الكثير لأنك لم ترها .. لقد استمر متفوقاً على
خصمه حتى نهاية المباراة دون أن يشعر أحد منا أن به شيئاً
لقد ضرب مثلاً عالياً في قوة الجلد والمقاومة وعلو الروح .
وعاد يوجه القول إلى د على ، :

— أنا لا أستطيع أن أعبر لك عما بنفسى من امتنان
نحوك وتقدير لك .. ولكنى أؤكد لك أنى لا بد أن
أ كافئك بما تستحق .. وهذا التمثال الذى أعطيه لك إنما هو
مكافأة رمزية .. ولكنى سأمنحك إلى جواره الخمسين درجة
التي يستحقها الفائز .. وسأتيح لك فرصة الامتحان العملى
وأنت فى فراشك .. وسأدبر كل شيء لصالحك فلا تضق
بشيء ولا تقلق على شيء .. إنى أحب الرجال وأنت رجل .
وتناول د على ، التمثال وهو مشدوه حائر .. لا يدرى
ماذا فعل حتى استحق كل هذا .. وبدأ له كأن انفعال الرجل
وحرارته .. ضرب من ضروب الجنون .

دریت، فقر



العربة تنساب ، بأنجي ، في الطريق الزراعي
كانت عائدة من المدرسة متجهة إلى القصر ، وكانت
مواعيد الصيف قد بدأت وأصبحت العودة إلى البيوت
إبان الظهيرة .

ولم يكن الصيف قد أثقل بحره بعد . . . وكان اندفاع
العربة يدفع بالهواء من النافذة فيلفح وجهه ، أنجي ، ويعبث
بخصلة شعر استلقت في إهمال على جبينها .

وكانت تستغرق في شروء أيقظتها منه ضجة قطار الظهر
القادم من القاهرة والذي أخذ يلاحق العربة بصغيره
وضجيجته فوق الجسر القائم على يمين الطريق . وتوقفت
العربة أمام حاجز المزلقان المخلق عند منحني في الطريق يعبر
السكة الحديد ، وأخذت عربات القطار تمر متلاحقة . .
وتعلق نظر ، أنجي ، الشارد بالنوافذ المتعاقبة في سرعة
وبدا عليها من مظاهر الاهتمام والتركيز ما يوحي بأنها تبحث
عن شيء معين ، وأن نظراتها للنوافذ ليست مجرد نظرات
عابرة تقطع بها ملل الانتظار .

ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي تبدو كأنها تبحث
عن شيء في الطريق . فمنذ تحركت العربة بها من باب المدرسة

وهي تحقق من النافذة في لهفة واضحة وقلق ظاهر .
كان اليوم يوم خميس . والخميس يعنى لديها شيئاً أكثر
من بقية الأيام . فقد كان يحمل إليها أملاً لذيذاً ويدفع في
نفسها رجاء ممتعاً . كان يوم خروج د على ، واحتمال لقائه ..
وكانت هذا الخميس تشعر بفرط حنينها إلى رؤيته بعد أن
خيب الخيسان الماضيان رجاءها وضيعا أملها .
إنها لم تره منذ آخر لقاء لهما في الحديقة تلك الليلة . .
ليلة العهد والميثاق . . التي آمن كل منهما بصاحبه وشد إليه
قلبه حتى آخر العمر . وهي تخشى أن يكون تحذير الدادة ،
التي أسرت به إلى أبيه عقب الحماقة التي ارتكبها علام قد بلغه
وأثر في نفسه . وأنه قد عزم فعلا على أن يحذر لقاءها .
وأخذت ترقب الطريق منذ غادرت المدرسة . محذقة
في الأرصفة والمحطات . . على الصدف التي منحتها اللقاء أول
مرة في الصيف الماضي ، تكرار منحتها ، وتعيد هبتها .. ولكن
الصدف لا تكرر الهبة ولا تعطي أبداً حين تسأل . . إنما
تأتي هبتها على غير توقع أو انتظار .. وإلا لما كانت صدفاً .
ولمحت بدلة كحلية ذات شريط أحمر فأصابته رجفة
وهمت بالصياح موقفه السائق ولكن رؤيتها لصاحب البدلة
حبست الصيحة في صدرها . فقد وجدته مخلوقاً آخر غير
بغيتها المنشودة .

وتمنت لو واتها الشجاعة فأمرت السائق بالعودة إلى
المدرسة الحربية حيث تسأل عنه وتصحبه معها إن لم يكن قد
رحل بعد . ولكن العربى استمرت تنهب الطريق وهى مشرّبة
بعنفها محدقة بعينها من النافذة دون أن تنبس ببنت شفة .
ومرّ القطار دون أن تبصر فى نوافذه أحداً ، وعبرت
العربى المزلقان متخذة طريقها إلى القصر ، وبنفسها مزيج
من ضيق ويأس ولطفة وحنين .

وعند ما بلغت العربى المحطة لمحت شبحاً يعبر الطريق
جعلها تنتفض فى مكانها وتهتف بالسائق :
— تمهل يا أسطى محمد .

ووقف السائق قريباً من عابر الطريق الذى استمر فى
سيره عبر المزارع متجهاً إلى مجموعة بيوت العزبة المجاورة
للجامع . وأدركت ، أنجى ، وهى ترنو إلى شبحه المتباعد
عن الطريق أنها أخطأت للمرة الثانية . إذ لم تجد فيه علماً ..
وإن وجدت أقرب الناس إليه وهو أخاه حسين .
ودون رويّة هتفت منادية :

— حسين .

وبدا كأنها قد صممت على أن تفعل شيئاً إيجابياً فى سبيل
اللقاء بدل هذا الانتظار البغيض لهبات صدف مغلولة اليد ،
مقبوضة الكف .

وتلفت «حسين» وراءه في دهشة ، ولم يكذب بصره
يقع على العربية ويرى «أنجي» بداخلها حتى تهلت أساريره
وأسرع نحوها .

وتصافح الاثنان في حرارة وكلاهما يحس أن بينهما
حبيب مشترك ، وكانت «أنجي» تدرك أن وقفتهما هذه وحدثها
مع حسين غير مستحب المظهر ، ولا مأمون العواقب ،
فأسرعت تقول في عجلة محاولة أن تبلغ مقصدها من أقرب
طريق وبأقصر حديث :

— مضت مدة دون أن يراكم أحد .
— مشاغل المدرسة كثيرة . . . حبس ونوبتجية . . .
ومصائب أخرى .
— وعلى . . . كيف حاله . . . أمشغول أيضاً بالحبس
والنوبتجية ؟

— على !! ألم تعلّى ما حدث له ؟
وأحست برجفة من سؤاله وأجابت متسائلة وهي
تتوجس من رده خيفة :

— ماذا حدث ؟
— إنه في المستشفى العسكري .
— المستشفى .. لماذا ؟ ماذا حدث له ؟

— كسر ضلعه .

— كيف ؟

— فى مباراة الملائكة النهائية .. لقد أو شك على الفوز
بالبطولة .. كانت مباراة عجيبة .. فقد ..

ولم تكن ، أنجى ، فى حالة تسمح لها بسماع وصف
المباراة .. فقد أحست بغشاوة على عينيها وأصابها غشيان
جعل أطرافها تبرد ووجهها يشحب . وكانت تلك الحالة تصيبها
من فرط الألم أو الفزع .

ووجدت نفسها تسأل مقاطعة بصوت خافت :

— وكيف حاله ؟

— الحمد لله بخير .. إن حالته العامة جيدة ... ولكن
العلاج يحتاج إلى رقة طويلة حتى يلتئم الكسر .

ولم تعرف ، أنجى ، بم تجيب . كانت تحس أنها فى أشد
الحاجة إلى الاستلقاء على فراشها حتى لا تخر مغشياً عليها .

وتمتت تقول بليجة مجعدة أشبه بالهمس :

— بلغه سلامى .

ثم هزت رأسها مشيرة بالتحية قائلة بنفس اللهجة الخافتة :
— مع السلامة .

وأجاب ، حسين ، وهو يشير لها وقد أخذ بوجهها

الشاحب وصوتها المرتعد :

— مع السلامة .

ووجهت القول إلى السائق :

— اطلع يا أسطى محمد .

وتحركت العربى ، ووقف حسين يرقبها مشدوهاً .

ماذا حدث للصبيه الرقيقه المرهفه ؟ ١٠ ماذا روعها إلى

هذا الحد ؟ ١١

... إنها أوشكت على الإغماء .

أىكون نبأ أخيه قد أفزعها مثل هذا الفزع .. وآلمها
مثل هذا الإيلام .

... لم كل هذا ؟ وهى ليست أمه .. ولا أخته !

أهذا هو الحب ؟ ١٢

عجباً ١١ عجباً ١١

أيقرب الحب غريبان .. مثل هذه القربى .. التى تفوق

قربى الدم وعشرة السنين الطوال ؟ !

لقد كان يعرف مدى شعور أخيه نحوها .. وكان

يستحسق أخاه ويستكثر أن يمنح إنساناً أياً كان مثل هذا

القدر من الشعور .. ولكنه الآن .. وبعد أن رأى وجهها

الشاحب ، وسمع صوتها المرتعد الذى ما زال يتردد فى

أذنيه .. لم يعد يستنكر شعور أخيه .. فقد بدا شعورها

مكافئاً له .. أو يزيد .

ولكنه مع ذلك مازال يعجب من قوة الشعورين
المتكافئين .. من أى نبع يتدفقان ؟ ... ومن أى أفق
يشرقان ؟ . لماذا ؟ وكيف ؟

أيمكن هذا .. هو الحب ؟ .

وهزّ رأسه ورفع كتفيه وعاد إلى داره .
ووصلت « أنجى » إلى القصر واتجهت إلى حجرتها في
وجوم وشروذ وغثيان ، وارتمت على فراشها منهارة متهاككة
وأقبلت عليها « الدادة » متسائلة في دهشة :

— ماذا بك يا أنجى ؟

— أشعر ببعض التعب والإعياء .

— ألا تنوين النزول للغداء ؟

— لا أستطيع .. إنى فى حاجة إلى الراحة .

— أحضر لك الطعام هنا ؟

— لا .. لا .. سأنزل عند ما أستريح .

وأقبلت عليها « الدادة » تجسها وتتحسسها ، فضاقت بها
أنجى ذرعاً وقالت فى ضيق :

— أتركينى الآن وحدى .. ليس بى شىء .. إنى أريد
فقط أن أستريح .

واستطاعت « أنجي » باستلقائها على الفراش أن تهيم
لجسدها بعض الراحة والاستقرار ، ولكن ذهنها لم يستقر
ولم يهدأ . . . بل أخذ يتقلب في رأسها ويتملبل . . . هُف
نفسها عليه . . في رقده وفي إصابته . .

ترى كيف كانت إصابته ؟ أتراه قد تألم كثيراً ؟ ليتها
كانت بجواره حتى تخفف ألمه وتضمّد كسره . . ليتها
تملك له شيئاً أكثر من هذا الاستسلام اليأس والتفكير
العاجز .

ترى ! ! أما زال يحلم بها كما تعود أن يحلم ؟ ! أكان
يذكرها في آلامه . . وأحزانه وأشجانه ؟

أف . . لهذا العجز واليأس . . . لقد كانت تحس بشدة
الشوق وفرط الحنين قبل أن تعلم نبأ إصابته . . أما الآن
فهي تود لو تدفع نصف عمرها لكي تراه وتتحدث إليه . .
إنها تشعر أن حياتها معلقة بقاء ونظرة وكلمة . . إنها يجب
أن تراه . . فليس هناك ما يمكن أن يحول بينها وبينه . . إنها
ستذهب لزيارته في المستشفى فهم لا شك يصرحون
بالزيارة . . وزيارة المرضى ليست بالآثم الممنوع ولا بالجرم
المحرم .

أجل . . أجل . . ستذهب غداً لزيارته بعد أن تخرج

من المدرسة .. فهي تعرف المستشفى العسكرى الكائن بجوار الشكنات فى الطريق إلى مصر الجديدة . والمسافة إليه ليست بالبعيدة .. والزيارة كلها ان تستغرق أكثر من نصف ساعة .. لن تؤثر كثيراً على موعد عودتها .. والأسطى محمد ، رجل طيب ، وهو يحبها ويكره كل ما يسببها .. ولا تظن أنه يمكن أن ينقل عنها ما يسبب لها أى ضيق .

وبهذه الطريقة فى التفكير . وبهذا القرار الذى انتهت إليه ، أمكنها أن تهيم لذهنها المتمليل المكدود سكينه واستقراراً وأن تمنح نفسها الحزينة الموجهة عزاء وراحة . وعند ما أقبل الليل كانت « أنجى » تجلس على مقعد طويل (شيزلونج) أسفل نافذة عريضة قد تدفق منها نور فضى أرسله ساكن فى كبد السماء ، وضاء المحيا مشرق السمات ، يبسط كفه بالنور على الكائنات فى عدل ومساواة وفى غير بخل ولا تقتير .

وتطلعت « أنجى » إلى ساكن السماء الصامت الكريم وبدأ لها وهى تحديق فيه أنها تلمح على شفقيه بسمه عطف وحنان ، وأحست من نوره المنبسط على وجهها ورأسها بمسه كفين رقيقين يتحسسان شعرها فى لين ورفق .. وخيل إليها أن ساكن السماء يحمل إليها فى بسمته ومسته

رسالة يود أن يسرّ بها إليها ، وأحست باسترخاء لذيذ وفتور
ممتع .. وحدثت القمر حديثاً صامتاً بشفتين مطبقتين وعينين
رائيتين قائلة في شروود وسرحان :

— آه من طول الفرقة .. وبعد الشقة .. وفرط الحنين ..
وقلة الزاد .. لا لقاء .. ولا حديث .. ولا نظرة تروى ..
أو كلمة تشبع .. كم أحس بالوحدة والوحشة والفراغ .
وخيل إليها أن القمر يهمس إليها متسائلاً في عتاب :
— وحشة .. وأنا معك ؟

— أنت صامت لا تتحدث .. إنك ترمقني في رثاء
دون أن تقول شيئاً .

— أخشى أن أقطع بالحديث صمتك الجميل .. وأقلق
إحساسك المرهف .. أخشى أن أقلقك في وحدتك
وأزعجك في خلوتك .

— لا .. لا .. لا تخش شيئاً .. حدثني عنه فليس أحب
إلى نفسي من الحديث عنه .. قل لي كيف يرقد وكيف يجلس ؟
كيف يصحو وكيف ينام ؟ كيف يفكر .. وكيف يحلم ؟
قل لي إنه لا يتألم ؟ قل لي إنه يذكرني كما أذكره .. ويفكر في
كما أفكر فيه ؟ قل له إني مازلت أميرة أحلامه وملسكه
أو هامه .. فقد أضحي هو أمير حياتي وسيد قلبي وملك نفسي

وساطان روى ١١ قل له إني أحبه .. حب يتدفق كالسيل ..
لا ينى ولا ينقطع .. حب يحرف فى طريقه كل عقبة ..
ويهدم كل سد !! قل له إن هيكله القابع فى قلبى قد تضخم
حتى ملأه .. بل ملأ نفسى كلها .. وأضحى هو أنا !! قل له
عن حى فأنا لا أجسر على قوله عند اللقاء .. وقد ألجنى
الوجد .. وعقد لسانى الجوى !! قل له ولا تكف عن
القول .. فحى أقوى من كل قول .. وأحر من كل حديث !!
قل له ولا تخش التزيد والمبالغة .. فكل ما ستقول أقل
مما أحس وأضال مما أشعر .. قل له .. فديت كسره
بأضلى .. قل له إن ألى مما به أشد من ألمه .. قل له :

أرجفوا أنك شاك موجد

ليت لى فوق الضنى ما أوجعك

نامت الأعين إلا مقلة

تسكب الدمع وترعى مضجعك

وغشيت عينيها غشاوة دمع حجبت عنهما القرص
الفضى .. ومدت يدها فى صمت إلى درج بجوارها ..
وأخذت منه منديلًا صغيراً جففت به عبراتها .. وعلى ضوء
القمر بدت فى المنديل بقعتين داكنتين لآثار دماء .
وضمت المنديل إلى شفتيها وأنفها ، ورنّت إلى القمر من

خلال سحابة الدمع التي عادت تهمي مرة أخرى وأردفت
تقول في حديثها الصامت :

— أتدري ما هذا ؟

—

— إنه المنديل الذي جففت به دمه . . لقد مزجت به
دمي . . وبودي لو مزجت به دمي . . إني أحس به في
هذا المنديل . . وأشعر حين أمسك به أني أطبق عليه . .
هذا المنديل يحمل بين أنسجته أعز ما في الوجود . . وأحب
ما في الكون . . لقد أحسست ساعة أن نرف أصبعه . .
أن قلبي هو الذي ينرف . . ومددت يدي بالمنديل أضمد
جرحه . . وكأني أضمد جرحاً في قلبي . . لقد كان عزاني في
جرحه أن استطعت أن أضمده له . . ليتني أستطيع أن أجبر
كسره كما ضمدت جرحه .

وأغمضت عينيها وأحسست بالكفين يمسحان شعرها
في عطف شديد وحنان بالغ .

وعادت تنظر إلى القمر الراني نظرة توسل وتقول
بعينها راجية :

— ليتك تحمل إليه مسة يدي . . كما حملت إلى بنورك مسة

كفيه .

ولم يخيب القمر الكريم رجائها . . ففي تلك الساعة وقد
أطفئت الأنوار في المستشفى العسكرى وساد السكون عنابر
المرضى إلا من آهة هنا وأنة هناك . . كان الطلبة المرضى
قد استغرقوا فى النوم إلا واحداً رقد على ظهره وشد
صدره بالأربطة وأخذ يهز رأسه متملها ضائقا . . وأغمض
عينيه فى الظلمة محاولا استدعاء النوم واصطياذ الذهب
الشارد . . وفى تلك اللحظة هبت نسمة دفعت ضلفة النافذة
التي استقر تحتها وتدفق منها شعاع من ضوء القمر انبسط على
وجهه ، وفتح عينيه فاستقر نظره على بسملة رقيقة تلوح فى
تعاريج القرص الفضى ، وأحس من الشعاع المنبسط كفاً
حنوئة تمتد من النافذة فتمس فى رفق جبينه وتتحسس
وجهه . . وشعر بالحمل الذى أخذ بخناقه وأطبق على صدره
قد تبدد ، وانطلقت من صدره زفرة حارة حملها كل مابه
من ضيق وملل . . وأغمض عينيه واستسلم إلى سبات مريح
ونومة هادئة .

وفى اليوم التالى ذهبت وأنجى ، إلى المدرسة قلقة مهمومة
وعندما جلست خلال الفسحة القصيرة فى الفناء الأخضر
المتسع أسفل النخلة التي تعودت أن تجلس بجوارها كان يبدو
عليها الوجوم والاستغراق فى التفكير . . وأقبلت عليها

صاحبتهما « سناء » ، أخلص صديقاتها .. وأعزهن عليها ..
وقالت مازحة :

— أنجى .. لا تجلسى هكذا كأنك عجوز مائة عام ..
أى همّ تحملين ؟ الأولاد .. أم البيت ؟ .. مازال أمامنا
كثير على هذا الهم والتفكير .

ولم تجب أنجى ، فعادت تنسأل ناهرة :

— قولى مابك ؟ .. آه .. تذكرت .

واقتربت من أذنّها تقول هامة :

— لا بد أنه لم يخرج بالأمس .. أجل .. أجل .. إن
الأمس هو الخميس .. لا بد أنه محبوس .. الذنب ذنبك
أنت .. ألم تجدى خيراً من هذا الشقى الخائب ؟ إني لا أذكر
أنه خرج أسبوعاً واحداً ؟ ..

ولم تضحك « أنجى » ، بل ازداد وجهها تجمهاً وجلست
« سناء » بجوارها وأحاطت كتفها بذراعها وكفت عن
مزاحها .. وتساءلت فى دهشة :

— مابك يا أنجى .. حدثينى .. تكلمى ولا تجلسى
هكذا صامتة حزينة .. أغضبك أحد ؟ .. أبوك .. أم
علام .. أم .. أم على ؟ ألم يخرج بالأمس ؟ .. لعل عنده
نوبتجية .. أم أى مانع آخر ؟

وأجاب : أنجى ، وهى تحاول جهدها أن تكبت رغبتها
فى البكاء :

— إنه فى المستشفى .

— ماذا به ؟

— لقد كسر ضلعه فى الملاكمة .

— كسر ضلعه ؟ من أنباك ؟

— أخوه .

— وكيف حاله ؟

— قال إنه بخير . . . ولكنى لا أصدقه .

— ولماذا لا تصدقيه ؟

— أتظنين أن كسر الضلع أمر سهل ؟ لا بد أن يكون

به خطورة ؟

— أنا لم أجرب كسر الضلع . . . ولكنى لا أدرى لماذا

تجزمين أن به خطورة مادام أخوه قد قال إنه بخير فيجب أن

تصدقيه . . . ويجب أن تبعدى عن نفسك هذه الوسوس

والأوهام .

— إنى أريد أن أراه .

— انتظرى حتى يخرج من المستشفى .

— لن انتظر . . . لقد قررت أن أذهب إليه .

— تذهبن إليه ؟ أجننت ؟ ! تذهبن إليه وتزورينه أمام
الناس ؟ ! بأى صفة ؟ ! كيف تستطيعين الذهاب ؟ ! وهل
سيسمح لك أبوك ؟

— لن أقول له .. سأذهب بعد الخروج من المدرسة .

— إسمعى يا أنجى .. إياك وهذا الحق .. إن السائق
سيعرف .. وكذلك سيراك كل زملائه من المرضى .. لا ..
لا .. إنك تجنين عليه .. إنك لا تدرين ما يمكن أن يفعل
أبوك لو علم بما بينكما .

وزاد تحذير « سناء » من قلق « أنجى » ، وضيقها .. إنها تريد
الذهاب .. وهى تعلم العواقب التى يمكن أن تترتب على هذه
الزيارة .. ولكنها تحاول أن تدفعها عن ذهنها وتبعدها عن
تفكيرها .. وهى تحس بالراحة عند ما تجدها قد استقر على
الذهاب . ولكن الوسواس يعود مرة أخرى لتحذرها من
العواقب .. ويستمر النضال فى ذهنها بين الرغبة فى الذهاب
والخشية منه .

وانتهت الدراسة دون أن تفهم « أنجى » ، كلمة واحدة مما
سمعتة فى يومها . وخرجت تحمل حقيبتها بين أفواج البنات
ذات المرايل الزرق والثياب البنية ، وعبرت البوابة التى
تكأ كآ عليها حشد من المستقبائين ، وسارت تبحث عن
العربة بين صف العربات المتراصة بجوار الرصيف وفتحت

الباب ، واتخذت مكانها في العربة ، والصراع في ذهنها على أشده ... تذهب ؟ ! أولا تذهب !! الحنين والشوق والملهفة والحب يدفعانها دفعاً إلى الذهاب .. والخوف والخشية ... يمنعانها عنه .. الخوف والخشية عليه .. وعلى أبيه .. فهي تذكر قول مريبتها .. وتحذيرها لأبيه .. وهي تذكر تحذير « سناء » .. بأنها تجنى عليه .. إنها تود الذهاب من أجل نفسها .. ولكنها تخشاه من أجله .

أجل .. من أجله .. يجب ألا تذهب .
هذا هو ما استقر عليه رأيها الأخير .
وتحرك السائق متجهاً إلى المحطة في طريقه إلى القصر .
وبلا وعى ولا إرادة .. وكأن شخصاً آخر يتحدث غيرها .. قالت :

— دوّر يا أسطى محمد .. على مصر الجديدة .
ودون أن يسأل السائق لف بالعربة متخذاً الطريق العكسي . وعندما وصلت العربة إلى المستشفى العسكري قالت « أنجى » بنفس البساطة والعزم والإصرار الذي غيرت به اتجاه العربة :

— قف يا أسطى محمد .. انتظرني برهة .
وهبطت من العربة وعبرت الباب . وبالسؤال أرشدها

أحد الجنود المعرضين إلى عنبر الطلبة . وفي غمضة عين
كانت تقف أمام فراش د على ، وقد أغمض عينيه وراح
في إغفائة وشرود .

وأحست كأن قلبها يوشك أن يقفز من بين أضلعها ،
وقبل أن تحاول إيقاظه ، فتح عينيه ، فبدت عليه دهشة
شديدة ، وعاد يغمض عينيه كأنه غير مصدق . ثم هتف وقد
تلاحقت أنفاسه :

— د أنجى ، . . . أنت هنا ؟ !

ومدت يدها فأسلمتها إلى كفهِ الضاغطة ، وقد علت شفيتها
ابتسامتها الرقيقة العذبة التي تملأه بالثقة والإيمان وقالت
هامسة :

— أجل يا على .. كان يجب أن أكون هنا من قبل . .
ولكني لم أعرف إلا بالأمس .

— لقد كنت هنا دائماً .. أنت لا تبرحيني لحظة .

— وأنت أيضاً لم تبرحني لحظة واحدة . . . لقد
أحسست بالكمر في أضلعي .. وليس في أضلعك ..
أتألمت كثيراً ؟

— أبداً .. أبداً .

وعلت وجهه ابتسامة مشرقة وأردف بقول ضاحكاً :

— لم أر في حياتي أغلى من هذا الضلع .. لقد منحتني
سمعة طيبة . وتمثالا ، وخمسين نمره .. وامتحاناً عملياً في
الفراش ... ونجاحاً مؤكداً .. وترتيباً مضموناً .. وأعز
من كل هذا .. منحتني .. أنت .. أي ضلع هذا !! ليتني
يكسر لي في كل يوم ضلع !



سہیلیاں



يكن د علي ، مبالغاً في حسن ظنه بضلعه المكسور
لم فقد منحه فعلاً كل ماتوقع .. منحه السمعة الطيبة
والنجاح المؤكد والترتيب المضمون ، وخير من هذا كله ..
منحه د أنجي .

أما عن السمعة الطيبة فقد أضخى د علي ، من أبرز طلبة
المدرسة وأطيبهم سيرة وأحسنهم ذكراً .. وأما عن النجاح
والترتيب فقد انتقل د علي ، إلى السنة الثالثة واستمر محافظاً
على ترتيبه الثالث واستحق أن يرقى إلى رتبة الجاويش بعد
أن منح الأول رتبة الباشجاويش والثاني رتبة البلوك أمين .
وبدأ يمارس في عامه الجديد في المدرسة سلطة ضبط الصف
العظام ، ومنجته رتبته المهابة والسلطان بين الفيران المذعورة
من المستجدين .. وأخذت سترته بأشرطتها الثلاثة الحمراء فوق
الذراعين تشير الذعر أينما حلت وبدأت تحتل مكانها على باب
الحمام لتحجز له الحمام في يوم المياه الساخنة حتى لا يجسر
الطالبة وصغار الصف ضبطاً على الاقتراب منه .

وكان د علي ، جاويشاً محبوباً .. رغم أن من ألزم صفات
الجاويش في المدرسة أن يكون مكروهاً .. ككل صاحب
سلطان ، وحاكم أفراد .. ومنفذ قوانين ، ومحافظ على نظم ،

وموقع عقوبات ، وقد استمد المحبة من تجنبه الخطأ الشائع
الذى يقع فيه كل صف ضابط .. أو كل حاكم ، وهو سرعة
نسيان متاعب وآلام الفرد .. بمجرد أن ينتقل من وضعه
كفرد .. إلى وضعه كضابط صف أو حاكم ، وسرعة
تلونه وتشككه بقالبه الجديد .. وانطباعه بصفاته وأعماله ،
واقتناعه بأنه هكذا يجب أن يكون الحاكم .. وبأنه يتحتم عليه
أن يتغير هو ليلائم القالب الجديد .. وبقينه بأن الفرد يجب
أن يبقى كما هو ليمارس فيه الحاكم سلطانه ، وأن عليه أن يتألم
كما تألم هو وبقاسى كما قاسى هو .

ذلك هو الخطأ الشائع الذى استطاع د على ، تجنبه ،
فكان يمارس سلطته بكجوايش وملء نفسه شعور الفرد ..
كان إذا ما تصرف مع فرد .. تذكر نفسه فى موضعه ..
كان يذكر حيرته كفار مذعور .. عندما يقف أمام الفيران
المذعورة .. كان يذكر إحساسه بالظلم عندما يوشك أن
يرتكب ظالماً .. كان يذكر نفسه نكرة منسياً يحاول أن يبذل
طاقته لكي يصبح شيئاً .. فلا يفوز فى النهاية بغير العقاب ،
كان يذكر ذلك فيمنح بدل الجزاءات .. كلمات تشجيع ..
للمنسين المكافئين الذى لا يعرفهم أحد ولا يشجعهم أحد .
كان محبوباً لأنه كان قبل أن يصدر الحكم على الخاطيء

يضع نفسه في موضعه ويصدر الحكم على نفسه قبل أن
يصدره عليه . . فإن قبلت نفسه الحكم وقعه عليه ، وإن لم
تقبله . . عفا عنه ، واستبدل بالجزاء نصحاً وإرشاداً .

كان محبوباً لأنه خير من يقدر آلام الناس ، ويعتبر
ظروفهم ، وخير من يستفيد من إحساسه بالآلام لكي
يرد الآلام عن سواء ولا يكرر منجها لغيره .

كان محبوباً . . لأنه لا يرد بغضاً ببغض ولا إساءة
بإساءة .

كان محبوباً . . لأنه ذكي ، والذكي يعرف كيف يكسب
الحب ، ويعرف كيف يحرز الانتصار خالياً - قدر ما استطاع
وما استطاعت نفوس الناس - من شوائب الكره والبغضاء
والحسد .

هكذا كان الجاويش نمره ه على عبد الواحد . . وذلك
مامنحه إياه ضلعه المكسور من سمعة طيبة وترتيب مضمون
وقد توطدت علاقته بخصمه الذي تسبب في كسره الأماشي
صلاح الدين جمال وأصبحا يكونان مع صاحبه القديم
الجاويش سليمان زكي ثالثاً متين الرابطة لا يكاد يفترق لحظة
واحدة .

وكان سليمان قد أصبح أقل سخطاً وأخف ثورة

فقد اعتبر ذهاب الملك الارستقراطي المتعالى القريب الذى كان يمثل سلالة خديويي الأتراك أكثر مما يمثل حكام المصريين ، وتولى الملك شاب يبدو أكثر مصرية وأحسن فهماً لنفوس المصريين وتقديراً لمشاعرهم وإحساساً بأمانهم وآلامهم .. اعتبر سليمان رحيل ذاك وإقبال هذا بالإضافة إلى ائتلاف الأحزاب ، وتوقيع المعاهدة أساساً لبداية عهد جديد ، وتأهباً للسير فى الاتجاه الصحيح نحو بناء أمة جديدة .

وفى إحدى الأمسيات وقد جلس سليمان ود على ، يستذكران فى المكتبة (حيث كانت المذاكرة فى المكتبة أحد مزايا القسم النهائى) أطبق سليمان كتاب الطبوغرافيا وألقاه بعيداً ، ثم أقبل على د على ، يضرب ظهره بشدة وكانت تلك إحدى علامات الانسجام الذى يظهرها سليمان وصاح بعلى :
— كيف الحال ؟

ونظر إليه د على ، دهشاً وتساءل :
— ما هذا ؟! أجننت .. ألم أقل لك مائة مرة أن تكف عن هذه التحية الحيوانية ؟
— أنا سعيد .

— سعيد ؟ . وأنا مالى ؟

— أنا سعيد بهذه الدفعة الجديدة التي قررت المدرسة أخذها في يناير .

— طبعاً كلها كثر المستجدون . . . زاد استمتاعك بالسلطة . . . ستجد مرتعاً للأمانة . . . فقد أخذت الدفعة القديمة على العسكرية ، ولم يعد لنا عندهم هيبتنا الأولى .

— لست أقصد هذه الناحية . . أنت تعرف أنه ليس هناك أتعب من المستجدين .

— إذا ماذا يسعدك ؟

— يسعدني أنها ظاهرة تضخم في الجيش وبداية نمو وترعرع . . . تسعدني كما أسعدني التخلص من سيطرة الإنجليز على الجيش ورفع قبضتهم عنه . . . تسعدني كما أسعدني خروج كبير المعلمين الإنجليزى ووضع مصرى محله . . . ألم يسعدك هذا ؟

وصمت د على ، وأطرق برأسه وتذكر الرجل الإنجليزى يزوره فى المستشفى ويقدم إليه التمثال ويقول له : « إنى أحب الرجال ، وأنت رجل ، وقال على :

— إنى لم أكرهه أبداً . . بل أحبته من كل قلبى . . . لقد كان معلماً أمثل وكان يعطى لكل حقه .

— أنا أيضاً لم أكرهه لشخصه . . بل أحبته كما أحبته

أنت . . . ولكنى مع ذلك سعدت بخروجه . . . فقد زالت
بخروجه قبضة من قبضات الإنجليز الممسكة بخناقنا ،
يجب ألا ننظر إلى الإنجليز كأفراد . . . فهم فى أفرادهم نماذج
طيبة فى المعاملة والخلق ، ولكنهم فى مجموعهم نماذج سيئة
للاستعمار والأناية ، وللخلق السياسى السيء البغيض ، الماطل
الكذوب ، المنافق المحتال ، وهم لا يحتلوننا كأفراد بل يحتلوننا
كدولة ؛ وعلى هذا الأساس يجب أن نعاملهم ونحس لهم . .
إن الرجل قد يكون قدرك وأعجب بك . . . إعجاب بفرد ،
ولكنى أؤكد لك أنه لا يحترمك أو يحترمنى ونحن ضمن
مجموعة المصريين لأنه فى نظرتهم إلى المجموعة يسيطر عليه
التوجيه السياسى الذى يفرض عليه كفرد فى مجموعة
مستعمرة مسيطرة . . . وعلى هذا يجب ألا ننظر لهم نحن
إلا كأعضاء فى تلك المجموعة المسيطرة الجاثمة على أنفاسنا ،
ويجب أن نعمل كل جهدنا لتتخلص من قبضها ، وإنى أعتقد
أن نمو الجيش هو خير وسيلة لذلك التخلص . . . بل هو
الوسيلة الرسمية فى المعاهدة لأنهم يدعون أنهم سيتركونا
عندما يكون جيشنا أهلاً للدفاع عن القناة .

— وهل تظن أنهم من البله بحيث يمكنوننا من هذه
الزيادة التى تضعف قبضتهم علينا ؟

— إنهم سيمكنوننا من الزيادة لأجل الاستعانة بنا في حرب مقبلة .. فزيادته تبدو في صالحهم ، وهذا هو ما يجب أن نستفيد منه .. يجب استغلال المصلحة المشتركة بيننا لكي نعزز مصلحتنا .. لأن تلك هي وسيلتنا الوحيدة للاستفادة ، لأنه إذا تعارضت مصالحنا فنحن الخاسرون لأننا الطرف الأضعف ، وكما ازدادنا قوة ازدادت قدرتنا على اقتناص جزء أكبر من هذه المصلحة .

— أعتقد أننا نستطيع أننا نقاوم الإنجليز بالقوة ؟
— لست أقصد مقاومتهم بالقوة .. بل بالإحساس بالقوة .. إن إحساسنا بها يزيد من قوتنا وينقص من مقاومتهم .. إنني أشعر بالتفاؤل ويخيل إلى أننا نسير في الطريق الصواب .. وسنقتطع حقوقنا على مر السنين قطعة قطعة .

وحمد ، على ، الله على تفاؤل سليمان وعلى انتهاء تمرده وثورته .. حمد الله لمجرد رغبته في سعادة سليمان واستقراره دون أن يكون له إحساس بالمسألة أكثر من هذا .. فقد كان تفكيره لا يتجاوز أفق نفسه وما يحيط به من مجتمع منظوريه تربط به .. لم يحاول التطلع إلى الأفق البعيد المتسع الذي يتطلع إليه سليمان .. فقد كان يشعر أن هذا ليس

من شأنه ، وأن هناك أفراداً مخصوصين من السياسيين
ومن دار في فلکهم مسئولون عن هذا .

كان « علي » ، يعتبر محيطه محدوداً بأفق البيت والمدرسة ،
وأن المتحرکين في فلکة لا يتجاوزون أهل بيته وأهل
مدرسته ، يخيم على كل هؤلاء مخلوق واحد باسط جناحيه ..
ماد سلطانه .. مسيطر على كل آفاقه بحيث لا يتطلع بذهنه
أو بنظره إلا ووجده في مداره .. فكل فكرة مرجعها
إليه .. وكل عمل هدفه هو .

كانت « أنجي » ، منتهى آفاقه ، وقد زادت الأيام من
إحساس كل منهما بالآخر ، وتوثيقه به .. إن كان هناك
مزید من إحساس وتوثيق .

ومنحهما العام الجديد فرصة أكبر للقاء ، فقد سافر علماء
إلى إنجلترا في صحبة الأمير کمال ، وأحسّت « أنجي » بحرية
أكثر .. وزادت فرصة خروج « علي » من المدرسة .. بعد أن
أضحى في السنة الثالثة .. وأضحّت عقوبات الحبس التي توقع
عليه ضئيلة إن لم تكن معدومة .

وبدأ اللقاء في أول الأمر خفياً مختلساً ، ولكن الحب
والزمن والتكرار أعطاه صفة الحق والطبيعة ، ولم يعد

الاثنان يبدلان نفس الجد في إخفائه .. بعد أن تأصل
في نفسيهما الإحساس بأنه لاغنى لأحدهما عن الآخر ،
وأن ميثاق الوفاء بينهما لن تقدر قوة على الأرض على
نقضه .

وأقبل الربيع وانتصف ، وبدأت بوادر نهاية العام
الدراسى فى الظهور ، وسرت إشاعة أن هناك نية فى إخراج
القسم المتوسط فى نهاية العام ، واختلفت الأقوال فى طريقة
إخراجه .. فمن قائل إنه سيجرى امتحان قبل الامتحان النهائى
يخرج فيه القسم النهائى ثم ينتقل القسم المتوسط إلى النهائى
ويحل طلبة من الإعدادى محلهم ، ومن قائل إن القسم النهائى
سيتخرج بأقدميته الحالية بلا امتحان ، ويحل محله المتوسط
ليتخرج فى آخر العام . ومن قائل إن القسم المتوسط سيضم
إلى القسم النهائى ويدخل القسمان فى نهاية العام امتحاناً واحداً
كدفعة واحدة دون النظر إلى كل ماسبق من امتحانات
ودون أن تضم لهم مجموعاتهم كما كان يحدث دائماً فى الامتحان
النهائى .

وكانت الشائعة الأخيرة هى أكثر ما يسيء إلى طلبة القسم
النهائى .. فقد كانت تحرمهم من كل المجهودات السابقة وتحرمهم
من كل كسب حصلوا عليه فى امتحان المتوسط والإعدادى .

وتدخلهم من جديد في معركة مع كل طلبة المتوسط .
بينما كانت المعركة بينهم محصورة على بضعة عشر طالباً ،
وكان كل منهم يكاد يضمن الاستقرار في أقدميته عند
الخروج .

والتقى على يد أنجي ، ذات مساء في مكانها المختار تحت
الشجرة الكبيرة ، وأحست ، أنجي ، ببعض الشرود وتملكه
بين آونة وأخرى فسألته :

— ما بك يا على ؟ إن في ذهنك ما يضايقك ؟
وأجاب على متضحكا :

— لا يفوتك شيء من ذهني . . كأنك تقرئين ما به ؟
— كأني ؟ . . إني فعلا أقرأ ما به .
— إذا قولي ماذا به ؟

— أصبت بشيء من الفشل في المدرسة ؟ ! خسرت
مباراة . . أو أخذت درجة سيئة في امتحان ؟
— إنه كذلك فعلا . . لقد خسرت في مباريات
الشيش .

— أهذا يحزنك ؟ كل إنسان يخسر مرة ويكسب
مرة .

— ليست هناك مرة بعد هذه المرة .. إنها التصفيات
الآخيرة .. وكنت آمل أن آخذ فيها بضع درجات تعاوننى
فى نهاية العام .. ولكن الحظ خاننى .. لقد كسبت فى العام
الماضى عشر درجات فى الشيش .

— لآتحمل هما .. ستعوضها فى لعبة أخرى .. ألم تقل
لى إنك ضامن ترتيبك لأن المنافسة بينكم تكاد تكون
معدومة ، وأن كل منكم قانع بترتيبه وأن الذى يليك مغرق
فى قرض الشعر ؟

وضحك ، على ، وأجاب :

— أجل .. قلت لك هذا ، ولكن أخشى أن يتبدل
الحال .. ونجبر على دخول معركة كبيرة .. فهناك إشاعة
بأن القسم المتوسط سينضم إلينا ، ويضيع كل مجهودنا
السابق سدى .

— وماذا تخشى من ضم الفرقتين ؟ ! إنك ستخوض
امتحاناً كالذى خضته ، وستفوق فيه كما تفوقت فى
سابقه .

— لا أظن .. لقد تفوقت فى الأول لأنه كان امتحاناً
مفاجئاً خاطفاً .. دخلنا كلنا دون استعداد .. ولكن

فرصة الاستعداد لهذا الامتحان طويلة ، وأنا أكره طول
الاستعداد .. وبوادر الفشل في الشيش تجعلني أخشى أن
يكون الحظ قد أدبر .

— لا تكن متشائماً هكذا .. هبك تأخرت في الترتيب
بضعة أفراد .. ماذا يضريك هذا ؟

— يضيرني أن أفقد البعثة إلى إنجلترا .. إنها هي التي
عزتني عن سقوطي في كشف الطيران .

— لقد حمدت الله على سقوطك .. فإني أكره أن
يظل قلبي معلقاً معك بين السماء والأرض ، وكذلك أكره
أن تذهب إلى هذه البعثة .

— إني أريدها من أجلك .. أريدها حتى أعود إليك
إنساناً مثقفاً له قيمته بين الضباط ، وفي المجتمع .. لا أريد
أن أتهم — كبقية الضباط — بالجهل .

— أنا أريدك كما أنت ، أريدك فقط ، ولا أريد التخلي
عنك لأي سبب من الأسباب .. أتفهم ؟

— أجل أفهم .. ! ومن أجل ذلك ، أريد أن أكون
أهلاً لك .. أنت تريدني كما أنا ، ولذلك تجعلين دلائلنا قيمة ..
وتجعليني أريد أن أجعل من دأنا ، هذا .. شيئاً يليق بك

ويستحق حبك وتقديرك .. ومن أجلك أدفع .. أنا ، إلى
المكافحة والنضال .. ليكون أفضل وأخير .. أعرفت
لماذا أحرص على ترقيتي وأخشى على أقدامتي ؟
وأخذت .. أنجى ، تنقر بأطراف أصابعها الرقيقة على
ساقه وقالت ضاحكة :

— دعنا الآن من حديث المدرسة .. مارأيك لو ركبنا
سويًا في الأسبوع القادم .. إنى سأكون فى عطلة يوم الجمعة
وسأمرهم أن يعدوا لنا جوادين ، وسأنتظرك عند الشروق
وراء السوبة ، لنخرج من الباب الخلفى إلى المزارع ؟
— وأييك ؟ هي أنه ..

— لن يكون موجوداً .. سيسافر إلى الإسكندرية
طوال هذا الأسبوع لاستقبال علاء عند عودته .. إنها فرصة
طيبة لكى نركب سويًا ، إنى أتوق إلى الركوب بجوارك .
وعاد .. على ، إلى المدرسة ، وقد بددت أنجى بحديثها
ضيقه وأزالت همه ، ونجحت فى إزالة ما سببته هزيمة الشيش
فى نفسه من تشاؤم ويأس .

وبدأ ضرب النار فى ذلك الأسبوع وألغيت من أجله
الطواير والدروس ، واستيقظ الطلبة يوم السبت قبل

نوبة صحيان ، واصطفوا في أرض الطابور يحملون بنادقهم
معلقة على أكتافهم ، وقد ارتدوا البل والزمازم ووضعوا
ساندويتشات الحلاوة الطحينية والجبنه البيضاء داخل شنطة ،
الجرابية .

وتحرك ، على ، مع الطابور ، وقد غطت المظلة الكاكية
جبينه وتدلّت على ظهره ، وسار أمام الطابور بقرع الأرض
بقدميه في ثبات وشدة ، وقد أمسك بيدسراه قايش البندقية
وعلق صفارته في زرار قميصه الكاكي الذي تدلى خارج
البنطلون .

وقضى اليومين الأولين في تجربة البنادق والتمارين غير
المحتسبة ، وفي اليوم الثالث بدأ الضرب المحتسب الذي
تتوقف عليه درجة ضرب النار العلمى التى ستضم إلى مجموع
الامتحان النهائى .

ويسدو أن سوء الحظ الذى أمسك بخناق ، على ، في
مبارزات الشيش ، أبى أن يفلته في ميدان ضرب النار . .
بدأ الضرب بتمرين بطيء على مسافة المائتى ياردة ، ورقد
، على ، فوق التبة ، وبدأت التخت فوق الدروة واضحة جليلة
وأمر المعلم بالتعمير ثم أمر بالضرب .

وأغمض ، على ، عينه اليسرى وحاذى الدبابة وسط

شير الناشنكاه وثبت البندقية في كتفه ، وكنتم أنفاسه مراعيًا
كل قواعد التنشين والضرب . . ثم ضغط الضغطة الأولى ،
وأخذ يعتصر الثانية . . وخرجت الطلقة رادة البندقية في
كتفه ، ودفع الترباس معمرًا الطلقة الثانية ، ثم خفض
البندقية ، وثبت عينه على التختة منتظرًا نتيجة الضرب . .
وهبطت التخت الأربع ورفع المؤشر على ثلاث منها مشيرًا
إشارات مختلفة بين السوادة والمجباى والخارج ، وبقيت
تختة واحدة لم يؤشر عليها . . هي تختة . . وصاح ضابط
الضرب أمرًا عامل التليفون الجالس على الجهاز الموصل
بالدورة .

— قل للمرة ٣ دور وأشر .

وردد العامل قوله ، وبعد لحظة ظهر العلم الأحمر يعلو
ويخفض علامة الصفر .

وهت د على ، وأحس بضيق شديد ، وتلقى طابور
الضاربين الأمر بضرب الطلقة الثانية ، وضغط على التتك
وخرجت الطلقة . وبعد لحظة ظهر العلم الأحمر مرة ثانية . .
وتكرر الأمر في المرة الثالثة ، واضطراب د على ، يزداد
وضيقه يشتد ، وعندما همّ بإطلاق الرابعة سمع رنين التليفون

وصاح العامل مبلغاً إشارة من ضابط الدروة :

— حضرة الضابط يقول الظاهر إن نمره ٣ يضرب على التخته نمره ٢ لأنه وجد فيها طلقتان ولم يجد في نمره ٣ ولا طلقة .

واكتشف د على ، الأمر بعد أن ضاعت منه إصابات ثلاثة فقد كانت التختان متقاربتين . . وكان لا يكاد يبدأ التنشين حتى يوجه بندقيته إلى نمره ٢ بدلاً من نمره ٣ ، وتوترت أعصابه ، وأحس بالبندقية تهتز في يده وهو يضرب الطلقتين الباقيتين من التمرين . . وكانت النتيجة أن ضاع عليه التمرين بأكمله .

وتملكه النشأوم ، وملأه الاضطراب . . ولم تستطع أعصابه التي خانتها في التمرين البطيء أن تسنده في الخاطف والسريع . . وهكذا انتهى الضرب بتقصير د على ، فيه . . وفتمه لدرجته .

وأحس د على ، بقسوة اللطمة الثانية التي وجهها إليه ، الحظ أو التقصير . . لا يدرى ، وحاول أن يستعين بأقوال د أنجى ، على طرد اليأس وتبديد الحزن والضيق . . وفي يوم الخميس أعد بنطلون الركوب في حقيبتة . . وحاول أن

يتناسى نتيجة ضرب النار بتصوره كيف سيركب في شروق
الغد بجوارده أنجى ، ، وكيف سيعبران بجواديهما المزارع
والمروج . . إن هذا حلم قديم يوشك أن يتحقق .

وقبل أن يغادر المدرسة ليحقق حلمه ، وجه إليه القدر
لطمته الثالثة ، ووقف أركان حرب المدرسة في طاوور الفسحة
ليعلن الطلبة أن طلبة القسم المتوسط قد تقرر ضمهم بدون
امتحان إلى طلبة القسم النهائي ، وأن الكل سيعطون برنامجاً
مقتضياً ، وسيؤدون فيه امتحاناً واحداً يتوقف عليه نتيجة
تخرجهم .

ولم يكن النبأ جديداً على مسامع د على ، ، فقد تناقلته
الأسن كإشاعة منذ مدة طويلة ، وقد حاول أن يوطن
نفسه من قبل على قبوله ، ومع ذلك لم يكذب يسمعه حتى
أحس أن معركة الامتحان ستكون قاسية ، وشعر أن
الأقدمية التي احتفظ بها خلال العامين توشك أن تفلت منه
بعد كل ما بدا من بوادر سوء الحظ .

وحمل د على ، الحقيقة متجهاً إلى داره ، محاولاً جهده أن
يلقي عن كاهله ما أثقله خلال الأسبوع ، وأن يفرغ ذهنه
وقلبه من أحزانها حتى يصفوا له د أنجى ، وحتى لا يثقل

عليها بهوميه ومضايقاته .

أجل ايجب أن يتمتع وإياها بالنزهة المنشودة مهما
حدث .

وعاد إلى الدار ، ولم يجد هناك سوى أمه وبهيه ، وتلقفته
الأم مرحبة مهللة ، وتناولت بهيه الحقيبة من يده متسائلة :
— أبها شيء تود غسله ؟

وكانت قد تعودت دائماً أن تغسل ملابس حسين الذي
يحضرها في حقيبته ، ولكن على أجاب :

— لا .. ليس بها سوى بنطلون ركوب .
وتساءلت الأم :

— وماذا ستفعل به ؟

— لقد أحضرته لأنى أنوى الركوب .

— ركوب !! ألا يكفيك ركوب المدرسة ؟

— هذا ركوب سهل ، سأتنزه قليلا فى الصباح مع
« أنجى » .

ومصمت الأم بشفتيها كأنما لم يعجبها الحال ولكنها
لم تعلق على قوله ، وحولت دفة الحديث إلى ناحية أخرى
قائلة :

— أأعد لك الغداء ؟

— ألا تنتظر حتى يحضر أبى ؟

— أبوك لن يحضر اليوم ، لأنه مشغول فى السوبة لأن
الأمير سيمر عليها فى العصر .

— ولكن الأمير قد سافر طوال الأسبوع .

— لقد عاد مع ابنه ، بعد أن استقبله فى الإسكندرية
عند عودته من سفره .

وأحس ، على ، كأن كابوساً ثقيلاً أطبق على أنفاسه ،
وبدأ له أن سوء الحظ قد أقسم ألا يفارقه .



مورخہ



في ذلك الوقت الذي أحس علي ، بخيبة أمله
بعودة الأمير وابنه ، كان ، علاء ، يتفقد
الاصطبلات سائلا عن جواده ، ووجد ، عبد الحميد
السائس ، منهمكا في تنظيف سرج ، أنجي ، وإعداد سرج
آخر بجواره ، فسأله في دهشة :

- ما هذا ؟ .. من أمرك بإعداد السرج ؟
- ورفع السائس رأسه وهو يضع زخم الركابات في السرج :
- سمو الأميرة .
- أقصد السرج الآخر ؟
- هي أيضاً .. لقد أمرتني بإعداد السرجين وشدهما
على جوادين جوادها ميمي والجواد عنتر .
- عجباً !! إنها لم تخبرني .. أتتوى ركوب الجوادين
وحدهما ؟

- أظنها ستركب مع علي بك ،
- علي بك .. علي بك من ؟
- علي بك الضابط .
- الضابط ؟ .. لا أذكر أننا نعرف ضابطاً باسم علي بك .
- علي بك ابن الرئيس عبد الواحد .

— بك ؟ ! أو قد أضحي ابن الجنائني ، بك ، ؟
وبصق على الأرض في ازدراء ثم أردف يقول
مستنكراً :

— إذا فأنت تعد له هذا السرج ليركب عليه .. ومستشد
له جواداً ليمتطيه .. ولكن أيعرف كيف يركب الجياد ؟
وكان عبد الحميد كغيره من العمال والفلاحين يحبون علماً
إذا كانوا يحسون أن حالة الضابط لم تغير من شعوره نحوهم
ومعاملته لهم .. فقد كان هو هو .. اللطيف الطيب المتواضع
الذي يشعرون جميعاً أنه ابنهم أو أخوهم .

وكره عبد الحميد هذا الازدراء والاستنكار من علماء
وود لو يترك السرج من يده ليناوله صفقة بفرج بها عن
غيطه من كبريائه .. ولكن ، أكل العيش ، والحرص على
الرزق جعله يسكتني بالتصور دون التنفيذ وقال مجيئاً على
سؤاله وهو محني الرأس منهمك في إعداد السرج :

— أظنهم يتعلمون الركوب في المدرسة .
— ليس ما يتعلمونه ركوباً .. إنما هو شغل عرجية
وسياس .

— إن الضباط معروفون بأنهم أقدر الناس في الركوب
وسمو الأمير والدك من خير الفرسان لأنه كان ضابطاً .

— كلام فارغ . . أنا أركب خيراً من سمو الأمير . .
دون أن أكون ضابطاً . . أنت حمار لاتفهم في الركوب . .
فك هذا السرج ، فلن أدع ابن البستاني الوضع يمتطى صهوة
جيادنا الكريمة .

ورفع «عبد الحميد» رأسه وضغط على نواجزه حتى
بدت عظام صدغيه وجانباً جبينه تتحرك في غيظ مكبوت
وقال في إصرار :

— لقد أمرتني السيدة الصغيرة بشدة .
— قلت لك . . فك .
— إني لأستطيع أن أعصى أمرها .
وصمت علام برهة وبدأت عليه سياء التفكير وهو
ينظر إلى السائس العنيد في غيظ وأخيراً قال متسائلاً :
— قلت لي أي جواد ستشده له ؟

— عنتر .
— كيف يركب «عنتر» ؟ . . لا . . لا تشده له . . إذا
كان ولا بد من أن يركب فلتشده له «برق» . . الجواد الأزرق
الجديد .

وكان «عبد الحميد» يعرف قصده من هذا الطلب . .
فالجواد «برق» لا يمتطى من فرط شقاوته . . وحمد الله أن

الجواد مصاب بالعرج ، وأنه بذلك وفر عليه مشقة الجدل
مع الفتى السيء الشرير القصد . فقال :

— الجواد برق .. أصيب بالعرج .

وبدا الضيق على وجه علاء وتمتم في غيظ :

— أصيب بالعرج ؟ لم ؟

— لقد انطلق من الاسطبل واصطدم بالبوابة .

وساد الصمت برهة وعلاء يهز ركبته في عصبية ظاهرة

وأخيراً قال كمن نوى أمراً :

— اسمع .. أعد لي حصاني .. سأركب أنا أيضاً .

وقبيل الشروق استيقظ الثلاثة : أنجي ، وعلاء ، وعلى ..

ولم تكن أنجي قد وجدت فرصة للقاء ، على ، حتى تنذره

بعودة أبيها وأخيها ، ولذلك لم تجد بداً من الوفاء بوعداها

وانتظاره بالجوادين حيث تواعدا على اللقاء ، وكانت تعتقد

أن من السهل الخروج بالجوادين في هذا الوقت المبكر

دون أن يكتشف أمرهما وكانت تستطيع أن تعتمد على

السايس عبد الحميد في كتمان الأمر .

وحق لو اكتشف الأمر .. فإنها تستطيع أن تحتمل

بضع كلمات تأنيب وبضع ساعات غضب .. في سبيل الخروج

مع على .. وفي سبيل الوفاء بوعداها له .

وذهبت إلى الاسطبل فوجدت عبد الحميد ينتظر بالجوادين
ووجدت جواداً آخر ينتظر في الطريقة بين الاسطبلات
وقد شدّ عليه أحد السروج ، فتساءلت في دهشة :

— لمن هذا ؟

— لسيدى علام .

— أقدم أمرك بشده ؟

— أجل .

— من تلقاء نفسه ؟ أم عرف أنى سأركب ؟

— بل عرف أنك ستركبن . . لقد أبصرنى أعد
السرجين . . فسألنى عن أمرهما فقلت له : أحدهما لك . .
فقال ، والآخر ، فقلت : أظنه لعلى بك .

وبدت على ، أنجى ، سيما القلق والضيق وتمتمت قائلة :

— لم قلت له هذا ؟

وأطرق عبد الحميد رأسه وبدأ عليه أسف شديد وأجاب :

— أنا متأسف جداً . . لم أكن أظن أن هذا يسوؤك .

وأعادت ، أنجى ، الالبتسامة إلى شفيتها وقالت متضاحكة :

— لا داعى للأسف . . حصل خير . . هات الجواد .

واقترب بجوادها الأشقر ذى العنق الممدود والرأس

الصغير ، والمعرفة الذهبية المنهدلة والجسد الملفوف ، وركع

على إحدى ركبتيه وشبك أصابع كفيه معداً منها درجة
كدرجات السلم ، ورفعت « أنجى » ، قدمها فركزت بها على
كفه ووثبت بالساق الأخرى فاستقرت على ظهر الحصان
وربتت عنقه فى رفق ومنحته بضعة ألفاظ تدليل ثم قالت
لعبد الحميد :

— هات الجواد الآخر واتبعنى .

وقبل أن يسحب عبد الحميد الحصان صاح بسائس آخر :
— خذ بالك من عنتر حتى يأتى أفندينا الصغير . . وإذا
سأل على قل له إنى ذهبت مع سمو الأميرة .

ووصل إلى السوبة فوجدوا علياً يسير متمهلاً وقد ارتدى
بنطلون الركوب الكستور ، وقيصاً أبيض ولف القالشين
على ساقه لفة سوارى معكوسة محكمة ، وبدأ رأسه عارياً وقد
نما شعره فى مقدمة رأسه فاستطاع أن يفرقه فرقاً لا يكاد
يبين . . وبدأ فى جبينه خط يفصل بياض الجبين عن سمار
الوجه أحدثه طول ارتدائه للطربوش فى شمس الطواير .

وأقبل « على » ، يحيى « أنجى » ، فى لطفة وشوق . . وسلم
على عبد الحميد سلام صديق ، وحاول عبد الحميد أن يساعده
على امتطاء الجواد بالارتسكاز على ركبتيه — كما تعود أن

يفعل مع سادته - ولكن د على ، تسأول منه الأسراع
وقال مازحاً :

- لا تفسدنى يا عبد الحميد .. لم يعوّدنا معلم السوارى
أن يساعدنا على الركوب أحد .. لقد علمنا أن نركب
وحدنا .. هكذا .

وقصرّ على الأسراع ورمى بالزيادة إلى الناحية الأخرى
من عنق الحصان كما تعلم ، ثم وضع قدمه اليسرى فى الركاب
وقفز بالأخرى فاستقر على ظهر الحصان واضعاً قدمه فى
الركاب الآخر .

وبدا د على ، فوق الحصان منبسط الكتفين ، بارز
الصدر ، مرفوع الهامة ، جالساً فوق جواده فى اعتداد
وثقة ويسر ، وقال لأنجى :

- هيا بنا .

ونظر إليه عبد الحميد وهو يسير بجوار أنجى وهز
رأسه وتمتم فى إعجاب :

- ابن الجنائى ١١ والله خير منك يا ابن الأمير ،
يا أصفر الوجه ، يا هزيل الجسد .

واتجه الراكبان إلى الباب الخلفى ، وقال د على ، وهو
يرمق أنجى فى إعجاب :

— كنت أخشى ألا تتمكنين من الحضور فقد علمت
بنياً عودة أفندينا وعلام .

— من أنباك ؟

— والدتي ووالدي .

— لم أشأ أن أحنث بوعدى .. وأحسست بنفسى
لهفة إلى رؤيتك والخروج معك ووجدت المتعة تستحق
المغامرة فأقدمت عليها ، آملة أن نستطيع الخروج والعودة
فى هذا الوقت المبكر دون أن يرانا أحدا .. وإن كان أملى
قد خاب لأن علام قد عرف أننا سنركب وطلب أن يعدوا
له هو الآخر جواداً .

وبدت الدهشة والقلق على وجه د على ، وتسامل وهما
يعبران البوابة :

— متى ؟

— لقد رأيت الجواد معداً له الآن .. وإن كنت
أعتقد أنه لم يستيقظ بعد .

ولم تكذب تنهى من قولها حتى سمعا وقع حوافر تقترب
ثم بدا علام يندفع بجواده نحوهما ، وتوقف د على ، وتمهلت
د أنجى ، حتى بلغهما صائحاً فى لهجته الساخرة :

— يبدو أنكما على عجل .. لماذا لم تتكرما بانتظارى ؟

ثم وجه القول إلى علي :

— كيف حالك يا حضرة الضابط !! لماذا لم ترد
البذلة ذات الشريط الأحمر ؟ ما هذا الذي تلفه على ساقك ؟
ثم أطلق قهقهة عالية .

وحاول د علي ، أن يسيطر على أعصابه وألا يدع
الغضب يستبد به فقال في هدوء :
— صباح الخير .

واستمر علام في قهقهته وتصاعد الدم إلى وجهه د أنجى ،
وصاحت غاضبة :

— الرجال المهذبون يردون التحية .. إنه يقول لك
صباح الخير ؟

وأجاب علام في لهجته الساخرة :

— طبعاً .. ومن أدري منك بما يفعله الرجال
المهذبون .. ما دمت في رفقتهم ؟

وعاد يلقي علي د علي ، وحصانه نظرات فاحصة ثم بدا
عليه فجأة كأنما اكتشف أمراً خطيراً ، وقفز من فوق
جواده واقترب من جواد علي وهو يقول د مطلقاً ، بفمه
في أسف :

— ما هذا ؟ ! إن الشريحة تكاد تقطع بطن الحصان ،

لقد حذرت هذا الحيوان عبد الحميد دائماً من هذا .. كان
يجب عليك أن ترقب ذلك بنفسك .

وفي خلال حديثه كانت يده تعمل في فك الشريحة (التي
تشد السرج بيطن الحصان) .. ثم انتقل إلى رأس الحصان
دون أن يترك لعل فرصة الاعتراض ، وأردف في لهجته
السريعة وهو يمسك باللجام :

— واللجام أيضاً .. إنه يكاد يمزق فمه .. لا بد أن
أؤدب هذا الغبي ..

ثم فك العروة التي تشد الأسراع في اللجام .
وقبل أن يلاحظ أحد ما فعل ، تراجع عن الحصان ثم قال
وهو يرفع يده بالسوط :

— أظنك تعلمت الركوب جيداً .. وتعرف كيف
تمسك بنفسك .. هيا أرنا .

ثم هوى بالسوط فجأة على مؤخرة الحصان .. فانطلق
الحصان مرتاعاً من الضربة المفاجئة ومرق من البوابة ثم
انحرف في الطريق المجاور للترعة .

وكانت العملية التي قام بها علاء سريعة ومفاجئة وغير
متوقعة .. ووقف ينظر إلى الحصان المنطلق براكه وإلى
أخته المشدوكة الصارخة في فزع .. وانطلقت من صدره

عاصفة من القهقهة وهو يشير بأصبعه إلى « على » ويكرر صائحاً :

— أرنا شطارتك . . يا حضرة الضابط . . إن الركوب ليس لأبناء الجنائية حتى ولو أضخوا ضباطاً .

وأفاقت « أنجي » من ذهول المفاجأة واندفعت بجوادها وراء الجواد الجامح ومضت لحظة بعلى أفقدته فيها روعة المفاجأة السيطرة على نفسه وعلى أعصابه ، وتملكه نوع من الذعر أضاع كل ثقته بنفسه وأنساه كل مانع له من الركوب وأحس بنفسه على ظهر الجواد كريشة في مهب الريح .

وانتهت صدمة المفاجأة وبدأ « على » يتمالك نفسه ويسيطر على أعصابه ، وأحس بالجواد يندفع اندفاع مجنون والريح تنفذ إلى خياشيمه فتزيده اندفاعاً ، وأخذت أوراق الشجر المدلاة على الطريق تصدم وجهه على وعدل جلسته على السرج وثبت نفسه فوقه وأخذ يلم الأسراع المدلاة على عنق الحصان . وكان يعلم أن خير طريقة لإيقاف الجواد الجامح هو أن يدور به في دائرة تضيق ويبدأ رويداً حتى يقف . . وأن يجذب اللجام جذباً خفيفاً متقطعاً ويلعب به في فمه ولا يشده بعنف مستمر حتى لا يزيد في اندفاعه . . ولم يكن عمل الدائرة بالشئ المستطاع ، فقد كان السور على يمينه والترعة على

يساره . . ولم تسكن هناك وسيلة سوى أن يحاول جذب
الأسراع جذباً متقطعاً المرة بعد المرة .

وجذب الأسراع الجذبة الأولى . . والأخيرة . . إذ لم
يسكد يجذبها حتى سحب طرفها من اللجام بعد أن فكها أعلاء ،
ووجد د على ، الأسراع قد شدت في يده بعد أن فقدت صلتها
بفم الحصان . . وفقد هو بذلك كل سيطرة له عليه وأضحى
الحصان في انطلاقه حراً من كل سيطرة وقيد .

وتسرّب الخوف إلى نفس د على ، . . وزاد إحساسه
بالخطورة ترجح السرج أسفله وعدم استقراره تحت
ضغط ركبتيه .

وامتدح الحصان في الانطلاق ، ود على ، يكاد يوازن
نفسه بين اللجام المخلوع والسرج المفكوك ، حتى وصل
الحصان بمحاذاة الكوبرى وبدأت في مواجهته عربة تحمل
كوماً من الخضروات فانحرف فجأة إلى الكوبرى ، وحاول
د على ، أن يطبق بركبته بكل ما استطاع من قوة ولكن
انحرف الحصان المفاجيء قذف به على الأرض والسرج
بين ركبتيه والأسراع في يده .

ولم تصب الوقعة د على ، بسوء . . بل استطاع النهوض
قبل أن تصل إليه د أنجي ، وتهبط إلى جواره وقد تلاحقت
أنفاسها وشحب وجهها .

وحاول هو أن يسرى عنها . . فرسم على شفثيه ابتسامة
باهتة وقال وهو يجاهد في التقاط أنفاسه :

— أنا متأسف جداً . . لأنى سبيت لك هذا الإزعاج
إنى سأحاول أن آتى بالحصان وأذهب به إلى الاسطبل .
وأجابت وهى تتفحصه فى لطفة :

— دعك من الحصان . . ألم يصبك أنت شيء ؟
— لا . . لا . . لا شيء أبداً .

— لقد كدت أجن وأنا أعدو وراءك ، لست أدرى
كيف أقدم هذا المجنون على فعلته هذه . . أنا آسفة جداً .
— ليس هناك داع للأسف . . لقد كنت أستطيع
أن أوقف الحصان لولا أن اللجام قد فك من فمه . .
وفقدت سيطرتى عليه . . إنى أحس بالحنج لسقطتى هذه . .
ولكن الانحراف كان مفاجئاً ، والسرّج كان مفكوكاً .
— لم تحنجل . . وقد وقعت باللجام والسرّج ؟ ! إنك
فعلت أقصى ما يفعله راكب . . إن السبب هو هذا الجنون
الذى ارتكبه أخى . . الحمد لله إنه لم يصبك سوء .

— المهم الآن هو إحضار الحصان .

— لا . . لا . . أظن أن من الخير أن نعود سريعاً قبل
أن يتسكأ كآ حوانا الناس ، وسيتكفل عبد الحميد بإحضار
الحصان .

وعاد الاثنان إلى الاسطبل ، وسارت د أنجي ، بجوار حصانها ، وحمل د على ، بقايا حصانه من سرج ولجام ، وقد حاول جهده أن يكبت آلام الواقعة ، واستقبلهما عبد الحميد في دهشة فأمرته د أنجي ، بأن يتسلم السرج واللجام ثم يذهب لإحضار الحصان الشارد .

وافترق الاثنان وشدت د أنجي ، على يده وودعته بنظرة ملؤها الأسف والاعتذار قائلة :

— الحمد لله على سلامتك ، سنحاول الركوب في فرصة أخرى . . سأنتظرك في الخميس القادم .

وعاد د على ، إلى البيت وملء نفسه الخيبة والتذلل والضيق واليأس ، ولم يكن يعرف بعد ما أصاب الحصان ، ولكن يأسه كان مبعثه الاحساس المفرط بسوء الحظ الذي يأخذ بخناقهم ويمسك بتلابيبه والخشية مما يمكن أن يخلفه الحادث من عواقب والخجل من نفسه لتلك السقطة التي سقطها أمامها ، والشعور بالهزيمة أمام أخيها الذي استطاع للمرة الثانية أن يغلبه على أمره .

وآوى إلى حجرته ، وأبدل ملابسه في صمت ، وأخذ في إعداد حقيبته للعودة إلى المدرسة وهو يحس أنه لم يعد هناك ما يستوجب بقاءه . . وإن من الخير أن يستفيد بوضع ساعات يستذكرها في المدرسة .

وكان يشعر وهو يعد الحقيبة بالقلق على الحصان الشارد المنطلق ويدعو الله أن يتمكن عبد الحميد من إعادته سليماً حتى لا تصل أنباء الحادثة إلى الأمير فتؤيد ما يمكن أن يدلى به علاء من وشايات وتهم .

ولكن الحصان المنطلق لم يكن في حاجة إلى أن يعيده أحد . . فقد اندفع في عدوه كأن به مساً من جنون ، منحرفاً بعد عبوره الكوبرى إلى الجانب الآخر من الطريق ، وظل يعدو في دعر شديد حتى ظهرت في منعطف الطريق فجأة إحدى سيارات اللورى المقبلة من الاتجاه الآخر ، وفوجئ السائق بالحصان يندفع أمامه ، فلم يستطع أن يوقف العربى أو ينحرف بها عن طريق الحصان فضربه ضربة ألقته نافقاً في مساعته .

وكان علاء أول من اكتشف الحادثة . . فقد وقف يرقب الحصان بعد أن ضربه بكرى باجه ، وأبصر من بعيد وقوعه على ، وعودته حاملاً السرج ، وأطلق ضحكة شامته حمقاء ثم انطلق في أثر الحصان .

وأبصر علاء مصرع الحصان ، ورغم أن منظر الحادث المفاجئ أذهله وروعه إلا أن ميله الخبيث إلى الأذى وإلى رؤية الدماء المسفوكة ، وتوقعه لما يمكن أن يحدثه مصرع

الحصان من عواقب وخيمة على ، وأنجى ، وابن البستانى قد دفع فى نفسه إحساساً بالنشوة .

وفى عودته أبصر عبد الحميد مقبلاً على ظهر أحد الجياد باحثاً عن الحصان الهارب .

ونظر إليه علام وقال فى سخرية :

— على مهالك يا عبد الحميد . . مالك مستعجل هكذا .

— إن أحد الخيل قد انطلق . . وأريد استرجاعه .

— لا داعى للتعجل . . فهو ينتظرك فى منعطف الطريق .

— رأيته واقفاً هناك ؟

— بل رأيته راقدآ . . البقية فى حياتك . . لقد

صدمه لورى أرداه قتيلاً . . عسى أن يعجبك . . ويعجب

وأنجى ، هانم ، حتى تستمر فى إهداء الخيل إلى أبناء الجنائزية .

هيا . . إن جثته ملقاة هناك على قارعة الطريق . . اذهب

واستمع برويتها ، وسأتكفل أنا بإبلاغ النبأ السار إلى أبى . .

إن شاء الله سيخرب بيتك وبيته حتى لا تعودا مرة ثانية

إلى النسلية بخيله .

ولم يكذب انتهى من قوله حتى لكز حصانه عائداً إلى القصر ،

وترك حصانه فى الاسطبل ، وذهب لى يسرّ إلى أبيه بالخبر .

ووجد أباه يغتسل فى الحمام ، وكان يعرف مدى حرصه

على الخيل . . وجزعه من أن يصاب أحدها بأبسط الاصابات .

فلم يمهله حتى يعود إلى حجرتة . . بل ذهب إلى الحمام وقال
له بسهولة كأنه يلتقي إليه تحية الصباح :
— لقد مات عنتر .

وأضاع صوت اندفاع المياه من الصنبور وانهماكه في
الاجتسال . صوت علام فلم يبلغ مسامعه . وعاد علام يكرر
بصوت أعلى :

— أقول إن عنتر قد مات .

والتفت الأب مذهولا وكف عن الاجتسال ورفع
حاجبيه وفغر فاه في دهشة وصاح بابه :
— من الذى مات ؟

— عنتر . . الحصان عنتر .

— كيف ؟

وكانت « أنجي » ، فى حجرتها قد أخذت تبدل ملابسها
فوصلت إلى أذنيها صيحة الأب متسائلا عن عنتر ، وأرهفت
السمع فى خشية وقلق ، وسمعت صوت أخيها يجيب :

— لقد صدمه أحد اللوريات وهو يعدو فى الطريق .

— ومن الذى أطلقه من الاسطبل ؟ أين كان السائس ؟

— إن السائس هو الذى أخرجه بعد أن أعده للركوب .

— ركوب من ؟

— على بك . .

وانفجر الأمير وهو يجد علام يجيبه يرود إجاباته
القصيرة المتقطعة وصاح به :
— على بك من ؟

— على بك الضابط .. ابن الجنائى . صديق أنجى مانم .
إنها هى التى أمرت بإعداد الحصان له ، وهى التى اصطحبته معها .
وأحسست ، أنجى ، كأن عود ثقاب ألقى على صفيحة
بترول ، أو كأن عاصفة قد هبت فجأة فلم تبق ولم تذر .
وبعد لحظة كانت تقف أمام أبيها وهو يهدر صائحاً بكلمات
ثائرة غير مفهومة ، وأخيراً أمكنها أن تفهم من قوله :

— ابنتى أنا تركب مع ابن الجنائى !! كان يجب أن أحطم
رأسك قبل أن تفعلى هذا .. ولكنى سأعلمك كيف تتصرفين
كإبنة أمير لا كابنة رعاى .. وسأعرف كيف أؤدبهم .. وأريهم
أن هذا الحصان الذى قتل بعشرة منهم .. أجل . سأقتل هذا
الحيوان الذى تسبب فى قتله هو وأباه وكل عائلته .

وأرسل الأمير الشاثر فى طلب عبد الواحد وهو مستمر
فى ثورته وهياجه ، وانسحبت أنجى إلى حجرتها وانكفأت
على فراشها تنتحب مرتجفة وهى تشعر أن سداً منيعاً يوشك
أن يقام بينها وبين د على .

وكان د على ، قد أتم إعداد حقيبته ودهشت أمه عندما
رأته يستعد للعودة إلى المدرسة . وأسرعت تعد له الإفطار

وأحث عليه أن يجلس ليتناول .

وازدد د علي ، بضع لقمات حتى يطمئن أمه ويقنعها أنه لم يخرج على دلم بطنه ، ثم تناول حقييته وهم بالخروج وقد عزم أن يطمئن على عودة الحصان قبل أن يرحل إلى المدرسة . . ولكنه لم يكمد يجتاز الباب حتى فوجئ بأبيه مقبلا عليه مطأطأ الرأس ، شارد الذهن ، وقد بدا عليه وجوم شديد ، وبهت د علي ، من منظره وسأله وهو يحس برجفة في جسده :
— مابك يا أبي ؟

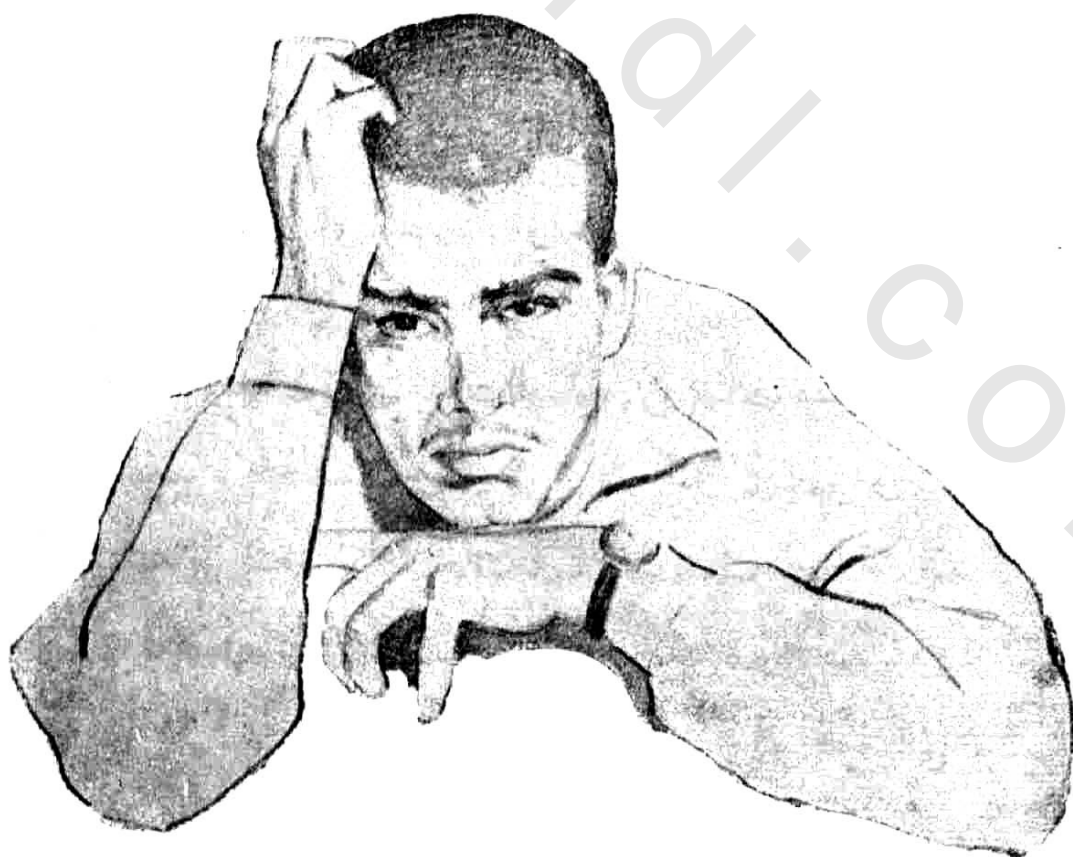
ورفع الأب رأسه ونظر إلى ابنه نظرة حزينة يائسة ثم أطلق من صدره زفرة حارة وأجاب :
— لقد فصلت .

وعاد علي يسأل في صوت لا يكاد يسمع :
— ولله ؟

وفي لهجة عابئة أجاب الأب :

— لأجل الحصان الذي قتلته .. كنت أظنك أعقل من هذا .. ولكن مشاعرك قد أطاشت صوابك وعلقتك بمن لا يمكن أن يحسوا لك بغير الاحتقار .. أرجوك يا علي .. اسحق هذا الشعور الأحمق اليائس الذي يدفع بك إلى التهلكة .. ليس من أجل نفسي .. بل من أجل مستقبلك الذي أرققت في سبيله ماء وجهي .

رشتگان



بعلى بعد ذلك فترة من أسوأ فترات حياته
مرت تعاونت عليه خلالها كل مسببات الشقاء
وبواعث الحزن والفشل واليأس ، بلا قبس من عزاء ولا
بارقة من أمل .

وفرض على نفسه الحبس فى المدرسة بعد أن وجد فيها
مفرأ من الزوبعة التى خلفها وراءه فى البلدة ، وبعد أن اعتقد
أن لقاءه أنجى ، أضحي أمراً مستحيلاً .

وانطوى فى غمرة حزنه محاولاً التعلل بالاستذكار وهو
يحملق فى الأوراق أمامه دون أن يعي منها شيئاً . . وأسطر
التاريخ تراقص أمامه محاولة أن تجتذب ذهنه ليتتبع معركة
بئر السبع وهجوم اللبى فى غزا ومطاردة الأتراك وعبور نهر
العوجة . ولكن ذهنه كان شاردأ فى أشياء لا صلة لها
البته باللبنى أو المطاردة أو غير ذلك من دروس التكتيك
والطبوغرافيا .

وبدأت الامتحانات العملية . . وبدأت معها مظاهر الفشل
وسوء الحظ . . وكان للوهم أثر كبير فى نفوس الممتحنين
عندما يضعون الدرجات فى الامتحانات العملية . فقد كانوا
يحكمون على الطالب بأقدميته ومظهره وسمعته وفملوته ،
أكثر مما يحكمون عليه بنتائج العملية الواقعية التى يبديها

في الامتحان إذ كانت أذهانهم تكاد تعد للدرجة بمجرد
مثول الطالب أمامهم وقبل أن يؤدي شيئاً منها .

وأنجب ما في الأمر أن أول الفرقة المتوسطة (التي ضمت
إلى الفرقة النهائية والذي كان ترتيبه الحادى عشر فى أول
امتحان فلم يستطع أن يقفز مع العشر الأوائل) بدأ للمعلمين
عندما ضمت الفرقتان كأنه أول فرقة . وبدأ يحتل فى أذهانهم
مركز الأول ، فأخذ تقديرهم له يزداد ودرجاتهم تتضخم
لمجرد إحساسهم أن هذا أول فرقته . وفى الوقت نفسه نفذت
إلى رؤوسهم سلسلة التقصيرات التى منى بها ، على ، فى مختلف
الامتحانات والمباريات التى بدأ بها موسم الامتحانات فهبط
تقديرهم له ، ولم تعد أذهانهم معدة لوضعه فى مرتبة عالية
لا تبصر العين إلا حسناتها ومزاياها . . وهبط مستوى
الدرجات الذى يضعونه فيه إلى المرتبة الثانية حتى قبل أن
يبدأ الامتحان .

وهكذا أخذت روحه المعنوية فى الهبوط كلما تعاقب
عليه الفشل . . وزاد من انحطاط معنويته طول انطوائه فى
المدرسة وانقطاع كل سبل الترفيه وتقييد نظام العيش
والمناظر المحيطة به . فما من شك هناك أنه ليس أقتل لروح
الطالب المعنوية من طول الحبس وكثرة الانطواء وفرط
التكرار الممل الكئيب .

وزاره « حسين » المرة بعد المرة محاولاً أن يخرج به من عزله ، ولكنه كان يتعلل بالحاجة إلى الاستذكار وبقرب الامتحان وضرورة الاستعداد للمعركة النهائية التي ستوقف عليها أقدميته وسفره إلى الخارج .

وحاول صلاح وسليمان أن يشداه من غمرة يأسه ولكنه أحاط نفسه بسياج منيع من العناد والإصرار والزهد في كل شيء إلا الاستذكار .

وقال له صلاح في أحد أيام الخميس على مائدة الصف ضباط وقد انتهى الطعام وانصرف الطلبة :

— يا على دعك من هذه المذاكرة . . إنها هي السبب في كل ما أصابك من فشل حتى الآن . إنك تفوسقت في أول امتحان لأنك خضته بطريقة خاطفة لم تسنح لك فيها فرصة استذكار . . فلماذا ترهق نفسك هكذا ؟ يا أخى لعن الله البعثة ولعن الله الأقدمية . . إنك مثلى إنسان عاقل ، ذكى ، فلماذا تحاول أن تحشر نفسك في زمرة السخفاء من المتفوقين الذين لا سلاح لهم في الحياة إلا الصم . . قم يا أخى قم . . والله لن أدعك تقضى على نفسك وتنحط إلى درك الأوائل الأغبياء . . هات هذه الأوراق .

وخطف صلاح منه أوراق التاريخ وكتاب هندسة الميدان .

وقفز د على ، ورائه صائحاً :

— كف عن هذا المزاح يا صلاح .. إنك خلىّ البال
لأن الطيران أنقذك من الاستذكار .. ولو كنت ستخوض
غمار الامتحان لما كان لديك لحظة تقضيها لتسدى إلى
نصائحك .. ولما تركت المذاكرة لحظة واحدة .. هات
الكتب أرجوك .

وتدخل سليمان قائلاً :

— لا تعطه الكتب يا صلاح .. إني واثق أنك تنظر
في صفحاتها دون وعى .. إنك فى حالة إجهاد وضيق
لا يمكن أن تفهم منها شيئاً .. إني أرقبك منذ ثلاثة أيام
وأنت متوقف عند الصفحة الخامسة عشرة من مذكرات
التاريخ وقد كادت الصفحة تبلى من فرط ما أمسكت بها يدك ،
ومع ذلك فإنك لا تتجاوزها .. أفتريد أن تفهمنى أنك
منذ ثلاثة أيام وأنت لا تذكر غير موقعة بير السبع ؟
لا تكن عنيداً يا على .. إن هذه الطريقة التى تكبت بها
أحزانك .. ستزيد من غلوائها .. اخرج ونفس عن
كربك وفرّج عن نفسك ...

وأجاب د على ، محاولاً التجلد والاستخفاف :

— ليس بى ما يستدعى التفريح والتنفيس .. إني غير
متضايق من البقاء فى المدرسة .

— إنك من فرط ضيقك لم تعد تحس بضيق .
وأردف صلاح :

— ستخرج اليوم بالإكراه .

— لن أخرج ولن أذهب إلى البيت .

— لا ضرورة للذهاب إلى البيت . . سنخرج للتمشى
في البلد ، وسنذهب إلى سينما ثم نأكل سندوتش في الأمر يمكن
ونعود سوياً للمبيت في المدرسة . . قم بنا .
— لا .. لا .. أنا متعب من سهر المذاكرة ليلة أمس ،
وأريد أن أنام .

— حسن . . لنتم حتى الخامسة . . إننا لن نخرج
قبل السادسة .

وفي الخامسة والنصف ارتدى صلاح ملابسه وذهب
إلى عنبره على ، يستحمه ، فلم يجد له أثراً وألغى الفراش مرتباً
والدولاب مغلقاً . . وانطلق يبحث عنه في كل مكان . . في
المكتبة والنادي والفرق والميس حتى يئس من العثور عليه
وأخيراً ذهب إلى سليمان وكان يعمل جاوياً نوبتجياً وقد
ارتدى القايش والسونكي ووقف في الطرقة السفلى يعد
كشوفات التمام .

وتسأل سليمان :

- ألم تخرجاً بعد ؟
- إني لا أجد علياً .. أتظنه خرج وحده ؟
- غير معقول .. أبحث عنه جيداً ؟
- في كل مكان .. في المكتبة .. والنادي .. والمليس ..
- وعند الحلاق .. لم أترك مكاناً إلا فتشته .. يجب ألا نتركه هكذا في غمرة يأسه ، لا بد أن نجعله يسرى عن نفسه قليلاً .
- اسمع يا صلاح .. أنا أعرف أين هو .. أعرف البقعة التي تعود أن يلجأ إليها ليخلو إلى نفسه ويحاول المذاكرة .. أتعرف ميدان الثلاثين ياردة ، ؟ إنك تجده تحت إحدى أشجار السرو الضخمة التي تفصل الميدان عن ملعب الكرة .. أو تجده في المشتل القريب الكائن على يسار مدخل المدرسة تحت عنبر الصنف الرابع .
- وهمّ صلاح بالذهاب إلى المشتل عندما لمح أحد طلبة مدرسة البوليس يجتاز بوابة المدرسة مقبلاً عليه وعرف فيه حسيناً أخاه على ، فتلقاه مرحباً . وسأله حسين :
- أين على ؟
- إني أبحث عنه .
- أليس موجوداً في المدرسة ؟
- أعتقد ذلك .. وإن كنت حاولت العثور عليه عبثاً .

لقد اتفقنا على أن نخرج سوياً للذهاب إلى السينما والعشاء في الأمريكين . . إنه في حالة سيئة من اليأس والانهيار . . فقد لازمه النحس أخيراً في كل شيء . . حتى الملاكمة التي حصل فيها في العام الماضي على خمسين درجة . . قد ضاع أمله فيها هذا العام . إذ أصيب بشرخ في إبهامه الأيسر خلال التمرين مما اضطر المستشفى إلى تجبيس إصبعه ومنعه من دخول المباراة .

— ولكن ألا نستطيع أن نجده؟
— بل لا بد أن نجده وأن نخرج به لنبعده عن ذلك الجو اليأس المتشائم الذي يطبق على أنفاسه .
وتحت إحدى أشجار السرو الضخمة الكائنة في أقصى ملعب الكرة والمتهدلة أغصانها على سور السجن الحربي ودروة ضرب النار . كان يستقر ، على ، فوق بعض شكاثر الرمل وقد أسند رأسه على الشجرة ومدد ساقيه وفرد يسراه بكتاب الطبوغرافيا الأحمر وقد وضع سبابته بين الصفحات ليحدد الصفحة التي وقف عندها .

وكانت الشمس تتهاوى وراء ظهره خلف جدران السجن ، مرسله أشعتها الحمراء الآخذة في الشحوب والانقراض على أطراف الأشجار المحيطة بمدرسة التربية

البدينية وأورطة الأساس ، وعلى الأسقف الجالون المتناثرة هنا وهناك . وكأن الأشعة المجررة أذيا لها صيحات استغاثة من الشمس الهابطة لا تلبث أن تبدد في ذلك الفراغ البعيد . وأحس ، على ، كأن نفسه قد أطبقت عليها جدران السجن الكائنة وراءه بل كأن كل ما حوله قد أضحي سجناء وحشاً مظلماً . وأن هتافات الرجاء التي كانت تنبعث من قلبه ما تلبث حتى تبدد كتلك الأشعة المنقرضة ويعقبها الصمت الثقيل والظلمة المطبقة . وأغمض عينيه وأطلق تهيدة يائسة . . كل شيء حوله يبعث على اليأس حتى منتهى الأمل قد أضحي منتهى اليأس .

ماذا يمكن أن يأمل منها ويرجو من حبا ؟ ! أكل ما يرجوه هيام دائم . . وأحلام مستمرة ؟ ! أهذا هو ما يمكن أن يعلق به حياته ويجعله منتهى أمله ؟ ! إن مجرد محاولته الركوب معها قد أدت إلى تلك الكارثة . . ومن السخف أن يحاول أن ينسب ما حدث إلى مجرد سوء الحظ . . فإن سوء الحظ لم يفعل أكثر من أن عجّل بالنتيجة ، ولو لم تحدث الفارقة أمس لحدثت اليوم أو غداً .

إن حياتنا لا تتشكل حسب مشاعرنا وأهواءنا . . إن هناك قيوداً مادية تحتم سيرنا في اتجاهات لا تملك مشاعرنا تغييرها . . رغم أننا في نشوتنا وهيامنا نجزم لأنفسنا أنه يكفي

أن نشعر وأن يبادلنا الطرف الآخر الشعور حتى يهون كل أمر ويضحى غير ذلك من الماديات المفروضة علينا تفاهات لا تدخل في حساب رسمنا لمستقبلنا ولا تؤثر على تنفيذ مشروعات أماننا وخطط أحلامنا .

ولقد أرضاه وملاً بالغبطة نفسه ، أن يبادل الشعور ، وأخذ العهد والميثاق على أنه أقصى مطمعه في هذه الدنيا . وبعد . . . إنه يجلس الآن في عجز ويأس . . . وينظر إلى المستقبل في عجز أشد ويأس أعظم .

لقد ظن أنه يكفي لكي يصعد من القرار ليجاورها في القمة أن يدخل المدرسة ويخرج منها ضابطاً . . . فيصبح نداً لها . . . وأهلاً لمشاركتها حياة واحدة .

ولسكنه يحس الآن أنه مازال يقف وراء أسوار هائلة وسدود منيعة . . . وإن أمتن أوثقة المشاعر وأشد أربطة الأحاسيس أعجز من أن تشد أحدهما للآخر لتجتاز به تلك الأسوار العالية من التقاليد والفوارق .

وهو لا يعيش في القرون الوسطى حتى يستطيع أن يختطفها من قصر أبيها . . . ويفر بها على جواد . . . إنما هو يعيش في مصر . . . البلد الطيبة الهادئة . . . الذي ينزل كل ما بها في مجراه الهادئ لا يجيد عنه ولا يفور ولا يشور .

والأسياد سيظلون أسياداً ، والعبيد عبيداً .. والسباج القائم
بين هذا وذاك سيظل قائماً بلا أمل في زواله أو رجاء
في تحطيه .

هو في مصر .. بلد السكينة والاستكانة .. لا أمل له
في فورة قلب الأوضاع وتجعل على الإناء أسفله وأسفله
عاليه .. ولا في عاصفة تطيح بالسدود والفوارق .. وتحطم
قلاع الكبرياء والعجرفة والارستقراطية .

وتذكر تمرّد سليمان ونورته .. وأحس بأنه قد بدأ يلتقي
به في تفكيره .. من زاوية مخصوصة .. ومن ناحية معينة .
ولكن حتى هذا التفكير .. لا يعدو أن يكون أوهاماً
لا يزيد الأمل فيها عن أوهام الاختطاف على جواد ولا يغير
من الوضع الجامد الصلد الذي يحيط بها كقالب من حديد
يضفي على كل منهما شكلاً مخصوصاً لا تستطيع المشاعر أو
الإرادة والرغبة أن تغير تكوينه أو تبدل هيئته .

وملأت المرارة نفسه ، وحاول أن يستعين على إزالتها
أو تخفيفها باجتراح هنيهات اللقاء الحلوة وتذكر المناجاة العذبة
ولكن طول اليأس أفقده القدرة على الاجترار والتذكر
وغلبت عليه مرارة التفكير .. ودفعته إلى تصيد الهموم
والأحزان . فسأل نفسه في مرارة : أما كان عليها أن تذكره؟

إنه لا يستطيع أن يكتب إليها .. فلماذا لا تكتب هي إليه؟
ألم تزجها غيبته؟ أم ترى الفرقة قد أطفأت ما بها؟! وأنها
اقتنعت أن ما بينهما لم يكن سوى نزوة عابرة في القلب ،
أزالتها صوت العقل وحكمة التقاليد؟!

وتذكر مناقشته لحسين ونصيحته له بأن يتجنب الطريق
الوعر الشائك الذى يخوض فيه . وقوله له :

« الطريق الوعر الشائك هو الذى تسير فيه أنت .. أنا
لا أشد نفسى إلا بمتعة ليلة .. ولكنك توثق نفسك بهوى
عمر .. أنا إن تخلت عنى لفظتها ، وأنت إن تخلت عنك
حطمتك وبددتك هباء .. إني أمد يدي إلى ما تستطيع أن
تصل إليه ، أما أنت فتمد يدك إلى النجوم والسحب .. أنا
أمسك بمن فى طريقى ، أما أنت فتسير فى طريق وترجو
ما فى الطريق الآخر .. وطريقك سفلى والطريق الآخر
علوى .. والطريقان .. بأوضاع حياتنا الراهنة .. التى
لا أمل لنا فى تغييرها ، يسيران مستقيمين متوازيين ..
أحدهما فى الأرض والآخر فى السماء .. والطريقان
المستقيمان المتوازيان كما تعلم لا يلتقيان أبداً .

وردد لنفسه فى مرارة .. أجل .. لا يلتقيان أبداً .
وأحس وهو يهمس لنفسه بالحديث اليأس بحفيف

أقدام تطأ الحشائش ، وفتح عينيه وأدار رأسه فإذا بحسين
يقترّب منه وقد سار صلاح بجواره .

وهتف صلاح مازحاً :

— ماشاء الله .. تركنى أدوخ عليك فى المدرسة كلها
وأنت محتل هنا بكتاب الطبوغرافيا .. قم .. وكفى حاملة
فى الكتب والمحاضرات .. إن هذا هو الذى سيودى
بك .. قم .

ونهض د على ، فى تناقل وأقبل يحيى أخاه فى شىء من
الدهشة قائلاً :

— أهلاً .. حسين .. ماذا أحضرك ؟

— ألم أوحشك ؟! لقد حضرت لأراك .. وأخرجك
من ذلك السجن الذى سجنّت فيه نفسك .. هيا بنا .

— إلى أين ؟

— لا تسأل إلى أين .. سأخرج بك .. ولو على أسنة
الرماح .

وسار الثلاثة عابرين ملعب الكرة متجهين إلى بناء
المدرسة ، وصعد الأخوان إلى نادى الطلبة وتخلّف صلاح
قائلاً :

— سألق بكما حالاً .. عليك به يا حسين .. لا تدعه
حتى يرتدى ملابسه .

وجلس الأخوان في أحد أركان النادي على كرسيين
أسيوطيين متقابلين . وكان الصمت قد ساد بينهما طيلة
الطريق وقطع ، على ، الصمت متسائلا :

— كيف حالكم جميعاً ؟

— على مايرام ..

— وأبي ؟

— بخير .. إنه يعجب من انقطاعك عن الذهاب إلى
البيت .. ويتساءل هل أغضبك منه شيء .. لقد قال لي إنه
لم يقصد لومك على ما فعلت .. ولا قصد الإساءة إليك ..
ولكنه فقط خشي عليك من الاندفاع في طريق شائك وعر
لن ينتهي بك .. وأنت تسير فيه بهذا الاندفاع والحركة ..
إلا إلى مأساة أو كارثة .. ألم أقل لك أنا نفسي هذا ؟
أتذكر ؟ .

وأطلق ، على ، تهيدة ضيق ، ثم أجاب بعد لحظة صمت :
— لا داعي الآن لكل هذا .. فأنا لا أخرج لأنني
أريد الاستذكار .. إن الامتحان قد قرب . ويومى الخميس
والجمعة هما الفرصة الوحيدة التي يمكن استغلالها . ولا أريد
أن أضيع الوقت في الذهاب والإياب . وأنت تعرف أن
المذاكرة في البيت أمر متعذر .

— على .. هذا الكلام لا يقال لى .. إنك تعرف
قدرتك على فهم ما بنفسى .. وتعرف أن لى نفس القدرة
على فهم ما بنفسك .. أنا لا أستطيع خداعك وأنت
لا تستطيع خداعى .. دع الأمور تجري بأيسر من هذا ..
لا تغلق نفسك فى هذا القالب الحديدى .. وتفرض عليها
إحساساً معيناً نأبى الفكاك منه .. لا تشيد حياتك على
أمنية .. بغيرها تصبح فى عداد العدم .. إنك تسجن نفسك
يائساً حزيناً محموماً لأنك حصرت كل تفكيرك فى مخلوقة
واحدة .. متعذرة المنال .. بل لا يمكن بحال أن تكون
لك ، وأنت تدرك هذا لو فكرت فيه بذهنك لا بقلبك . وقد
بت تحس أن الحياة بغيرها قفر يباب .. حطم أسوار سجنك
وانطلق خارجه تجد الحياة مازالت بخير .. وتجد بها من النعم
المتعددة ما تغنى كل منها عن الأخرى . إذا استعصت هذه ..
أغثك عنها تلك ، ستخرج معى الآن . وسأريك أن الدنيا ..
التي أظلمت من حولك مازالت تضيء حول الناس .. سأريك
أن هناك وسائل أخرى للاستمتاع والتنعم .. قم وارثد
ملابسك .

— الوقت متأخر ، وأنا مجهد .
— الوقت ليس متأخراً .. وأنت مجهد من فرط

التكرار والملل والحبس الذى تعيش فيه .. لقد أقسمت أن
أخرج بك .. لن أدعك بأى حال .. وأؤكد لك أنك
ستعود إلى المدرسة وقد ذهبت عنك هذه الغمة وبت أهذا
نفساً وأوفر نشاطاً، وأقدر على الاستذكار الذى أنت
حريص عليه .. قم يا على .. هيا بنا .

وجذبه من يده .. وسار الاثنان إلى العنبر .
إن أخاه على حق فى كل ما قال .. وهو يشعر أنه
لو استمر مقيداً نفسه بين هذه الجدران القائمة لا تبصر
عيناه إلا سطوراً من سخف الدراسة .. لقضى عليه اليأس ..
أو أصابته جنة .

وانتهى د على ، من ارتداء ملابسه وقد أحس بالعبء
الجامئ عليه قد أخذ يخف .. وجلاميد الحزن واليأس قد
بدأت تتفتت . إن مجرد إلقاء الكاكي عن جسده
وارتداء بدلة الفسحة ، بعث فى نفسه شعاعاً باهتاً من الأمل
فى احتمال رؤيتها .. احتمالاً - مهما ضعف - فهو .. مع إقبال
الحظ وسنوح الصدف .. جائز الحدوث .. وهو خير من
الاستحالة التى فرضها على قدرة الحظ ومحاولات الصدف ..
ببقائه اليأس بين جدران المدرسة .

وغادر ثلاثهم المدرسة . وكانت الساعة قد بلغت

السابعة مساء . وشوارع القاهرة مزدحمة بالمارة والمتسكعين
وبالباعة المتجولين ، وواجهات المحال التجارية تشع بالأضواء
الملونة والمعروضات الأخاذة .

ووقف الثلاثة برهة على ناصيتي عماد الدين وفؤاد الأول
حيث نهاية خط المترو ، وحيث يتكأ كأ حشد من الواقفين
المتطلعين ، كأنهم فى سوق أو فى معرض لا يكاد عابر الطريق
يجد طريقه بينهم . وفى هذا الحشد الرابض على الناصية أمام
محل الأمريكين اندس عدد كبير من أصحاب الأشرطة
الحمراء والستر الكحلية والسوداء ذات الياقات المغلقة العالية
يعرضون أجسادهم المصلوبة وقاماتهم المشوكة ويستعرضون
الخليط النسائي الهابط من عربات المترو والصاعد إليها ، أو
المنتظر على محطة الترام ما بين بنات المدارس وعاملات
المحلات . وبين كلا الفريقين العارض والمستعرض يجرى
تيار لا ينقطع من النظرات العابرة التى تتراوح بين التجهم
والتطلع والابتسام . وتتواتر الوجوه الهابطة فتذهب فى
طريقها ويتحرك الترام بالمنتظرات . . وتحل على
الرصيف وجوه جديدة فتتلفها الأعين المراقبة بنفس
النظرات كأن الوجوه لم تتغير ، وكأنها مكلفة بأداء واجب
لا مناص من تأديته .

ووقف الفرسان الثلاثة وسط الحشد وقد تملكك
النشوة صلاح وحسين وأخذت أعينهما تترجح في مقتلتهما
بين محطة الترام والمترو والوجوه الرائحة الغادية .. وخفف
الضجيج والأنوار والوجوه المحتشدة والشغور الباسمة
اللاغطة الكثير من أحزان د علي ، وسرت نشوة صاحبيه
إلى نفسه ، وأخذ يتطلع بعينيه تطلعا غير مترجح ولا حائر
بل تطلع متلهف باحث فاحص كأنما يوشك أن يبصر في
تلك الوجوه وجهاً معيناً ويرى بين البسمات العابرة بسمه
مخصوصة .. ويسمع بين اللغظ الدائر نبرات عزيزة
وهمسات حبيبة .

وأحس د علي ، بعد فترة من الوقت ، شيئاً من الحرج
وهو يقف بين المنسكعين على قارعة الطريق يحملق في
الوجوه الغادية الرائحة . وقال لحسين متسائلاً :

— أمتنظل واقفين هكذا على قارعة الطريق ؟ لقد
كنت دائماً أعيب على الطلبة هذه الوقفة ، بل أذكر أني
وقعت عقاباً على بعض الطلبة لأنني رأيتهم يغازلون على قارعة
الطريق ، تماماً كما يبدو علينا أننا نفعل الآن .

وأجابه صلاح ضاحكاً :

— ألا يعجبك كل هذا السيل من الوجوه الحلوة ؟ !

انظر إلى هذه الواقفة على محطة المترو . . هذه الفتاة العارية
الذراعين . . الواسعة العينين . . إنها تنظر إليك .

وألقي د على ، نظرة إلى حيث تقف الفتاة فوجد الفتاة
تبتسم . . فزاد إحساسه بالخرج وأجاب :

— لا يجدر بنا أن نقف هذا الموقف .

وتسأل صلاح :

— إلى أين تريد بنا أن تذهب ؟

— إلى أى مكان غير هذا .

وتدخل حسين قائلاً :

— هيا بنا ندخل الأميريكن . . إني أحس بجوع
وأريد أن أتناول بعض السندويشات .

ودخل الثلاثة سائرين بين المناضد المكتظة بالجالسين
وعكست مرآيا المحل صورهم في كل ناحية فأصلح كل منهم
هندامه وألقى نظرة رضاء على شكله ، وصعدوا السلم الخشبي
إلى الدور الثانى المنخفض السقف المطل على الدور الأول .

وطلب حسين زجاجة بيرة وبعض السندويشات
وشاركه صلاح فيما طلب ، واكتفى د على ، بكوب من
الآيس كريم بالصودا . . أخذ يقلبه بالمعلقة الطويلة حتى

اختلطت الصودا بالجلال بالشربات الأحمر وأخذ يرشفه
بأنبوبة القش الرفيعة .

وجرى بين الثلاثة حديث مرح لطيف، واستطاع حسين
وصلاح بخفة دمهما، وحلو نكاتهما، أن يرفعا عن كاهل
«على» جزءاً كبيراً مما تبقى من أحزانه الجاثمة .. عاونهما
في ذلك المرح الشائع في جو المكان وبضعة الوجوه الحلوة
المحيطة بهم .

وانتصفت الساعة الثامنة فقال حسين وهو يهم بالنهوض :
— هيا بنا .

وتسامل على :

— إلى أين ؟

— إلى الصلاة .. إن العمل يبدأ في التاسعة .

وأجاب «على» معترضاً :

— سأعود أنا إلى المدرسة .

ونظر إليه حسين في دهشة قائلا :

— إلى المدرسة ؟

ثم جذبه من يده في غيظ وأردف :

— هيا .. ولا تكن سخيلاً .

السحر والراجية



أقبل الثلاثة على صلاة نعيمه محمد ، الكائنة في
شارع عماد الدين . . وكان مدخل الصلاة يبدأ

ببضع درجات رخامية تفضى إلى باب انسدت عليه ستارة
من القطيفة الخضراء وقد وقف عليه إبراهيم المفترى ،
وهو حيوان ضخيم ، ضيق الجبين ، عريض المنكبين ، أغم
القفا ، قد ارتدى بنطلوناً من الفانلة وسترة إنجليزية من
القماش الكاروهات أسفلها قميص أزرق أخرج يافته المفتوحة
فوق ياقة الجاكتة ، وأمسك في يمينه عصا قصيرة غليظة ،
وأخذ يصيح بين آونة وأخرى صيحات تهديد ناهراً بها
الباعة والصبية ومظهر أسطوته وبطشه . . محر كما خلاها من
تقاطيع وجهه الغليظ الحشن المليء بالندوب والتعاريج كل
ما استطاع تحريكه زيادة في إظهار القوة والجبروت .

وعلى أول الدرج وقف د على أبوستة ، وهو حيوان
آخر ، وإن كان يبدو في مظهره نقيض الحيوان الأول لنحافته
وهزاله وقد ارتدى جلباباً ود طاقية شبيكة ، وجزمة كاوتش
كانت بيضاء وقد د كعبها مستعملاً إياها كشبشب ، وخرج
من ثقب في مقدمها إصبعه السادس الذى كنى من أجله
د بأبى ستة ، وأمسك بيديه كومة من الإعلانات الحمراء كتب

عليها اسم الصالة وبرنامج العرض . . وعدة صور للطريرين والمنولوجست والراقصات المشتركين فيه . . ومن بينهم راقصة مصر الاولى ، والمنولوجست الخفيفة والمنولوجست السوري ، والمطربة العراقية والثاني الراقص .

وكان د أبو ستة ، مغمض العينين ، مفتوح الفم ، مرفوع العقيرة بالصياح والضجيج . . معلناً عن البرنامج بفمه كما يعلن بيده . . وفوقه قد استقر إعلان في الحائط بالخط العريض والصور الملونة ، وفوق المدخل قد كتب اسم الصالة المسماة باسم صاحبها باللبات الكهربائية التي أخذت تطفئ وتضيء .

وكان شباك التذاكر قد استقر في يمين المدخل . . وكان المفروض أن يقصد الداخل إليه لقطع التذاكر قبل أن يتجه إلى الباب . . وكان المفروض أيضاً أن د ابراهيم المفترى ، لا يظهر افتراءه على أتمه إلا على من يحاول الدخول إلى الباب رأساً دون أن يعرج على شباك التذاكر . ومع كل هذه المفروضات اتجه د حسين ، يتقدم صاحبيه في ثقة واعتداد إلى الباب الذي وقف عنده الحيوان المفترس المعقد الأسارير ، الجائر بالصياح والزئير . . والذي لم يكده يرى حسين يتقدم صاحبيه حتى انفرجت أساريره وانقلب

زئيره إلى تر حيب لين واستقبال هاش باش ، وأزاح الستار
ودفع الباب قائلاً :

— أهلاً وسهلاً حسين بك .. الصالة نورّت .

— كيف الحال يا أبو خليل ؟

— رضا .. نحمدّه .

— والست كيف حالها ؟

— الحمد لله .

— هل أتت ؟

— طبعاً .. من الساعة الثامنة .. تجدها في حجرتها

أو في البار .

واجتاز الثلاثة الباب ، ود على ، مأخوذ بمظاهر الألفة

التي يستقبل بها أخوه .. من الجرسونات والأرتيستات
وبعض الزبائن .

ولم يكن المكان من الداخل بالاتساع الذي يتصوره

د على ، بل كان أشبه بصالة رحبة في أحد المنازل الكبيرة .

يقوم على يسار الداخل مسرح أسدلت عليه ستارة من

القطيفة الحمراء قد طرز عليها بالقصب اسم صاحبة الصالة ..

وأمام المسرح عدة صفوف من المقاعد وضعت وراءها

بضعة مناضد صفت حولها الكراسي الخيزران ، وفي

الأجناب ، ألواج ، حجزت عن الصلاة بحاجز من الخشب ..
وعلى يمين الصلاة وضع البار بمرآته الكبيرة التي غطت الجدار
والأرفف الزجاجية التي صفت عليها زجاجات الجون هيج
والديوارس ، والهوايت هورس .. وأمام المرأة وضع
البنك الخشبي المغطى بالرخام والفاصل بين « ستاورو » عامل
البار وبضعة الزبائن الذين اعتلوا صهوة المقاعد العالية
وانكأوا بمرافقهم على الرخام وأخذوا يسوغون رشقات
الويسكي بقطع الخيار والجنبرى وسلطة الطحينة .

وعندما توسط الثلاثة الصلاة بدت نعيمة محمد (أونعات
أو نعايم أو سلسلة أسماء أخرى اشتهرت بها) مقبلة من باب
صغير مجاور للبار ومفض إلى ممر ضيق يؤدي إلى حجرات
الآرتيستات ومتصل من الناحية الأخرى بالمسرح .

وبدت « نعيمة » في إقبالها على كثير من الإغراء تعاون
في إظهاره جمال لم تعف آثاره ، ومكياج متقن ، وثوب
مشدود على الجسد مبرز للردفين .. مطبق على النهدين ..
كاشف لما بينهما من مجرى زاد الإطباق من عمقه فبدا كأنه
أخدود في لحم الصدر .

وأقبلت ربة الصلاة تخطر في مشيتها خطرات أستاذة في
السير وفي الحركة .. تعرف كيف تستفيد من كل خطرة

بهزة في الردف أو رجة في الصدر وبدأت عليها بشاشة طبيعية
عندما وقع بصرها على حسين ، وافتر ثغرها عن ابتسامة
عريضة أبدت أسناناً نصف بيضاء وأزاحت الحسنة الصناعية
المرسومة بالكحل على طرف فمها إلى أعلى ، وقالت مرحبة
بعد أن جذبت نفساً من سيجارة بين أصابعها وأطلقتها
ليضيف إلى هواء الصلاة مزيداً من دخان :

— أهلاً .. أهلاً .. إزيك يا سونة . نورّت الصلاة .
ومدّ حسين يده فشددت على يدها الممدودة مرحباً وقال
معرفةً إياها بصاحبيه :

— على أخى .. وصلاح صديقي .. وألست نعيمة أشهر
من نار على علم طبعاً .

وأجابت « نعيمة » ، مرحبة في لهجة لا تخلو من الدهشة :
— أخوك ؟ .. أهلاً .. وسهلاً ... الشبه واضح
جداً .. ولكنه يبدو أهدأ منك كثيراً .. إنك عفريت .
— أنا !! .. ياما في الحبس مظالم .. إني طيب جداً .
— أنت ؟! آه منك ! إن الشقاوة تكاد تقفز من عينيك .
ورنت ببصرها إلى صلاح وبدأت كأنما تحاول أن
تذكر شيئاً ثم قالت :

— هذا الوجه ليس غريباً عليّ ، لا بد أننا التقينا من قبل .

وضحك صلاح قائلاً :

— أجل .. لقد التقينا فعلاً .. أما زلت تذكرين ؟ .

— إن ذاكرتي لا تنسى أبداً .. التقينا مرة في القطار
الذاهب إلى المنصورة .

— أجل .. ومرة أخرى .. في بيت سنية قشطة في
الأسكندرية .

— أجل .. أجل .. صحيح .

ثم قلبت البصر بين الثلاثة وقالت مستدركة :

— ولكن مالكم تقفون هكذا ؟ .

وأجاب حسين :

— سنجلس في أحد الألواح . إني قد دعوت صديقي .

— بل أنا دعوتكم أنتم الثلاثة .. أنت ضيفي الدائم ..

وضيوفك ضيو في . تفضلوا .

ثم صفقت بيديها منادية أحد الجرسونات أمرة إياه
بقولها :

— سل البهوات عما يطلبون .. وابق تحت أمرهم .

ثم وجهت القول إليهم مردفة :

— عن إذنكم لحظة .. حتى أرى البنات .. إن سنية ،

مريضة ولا بد أن أجهز غيرها لتشغل نمرتها .

واتجه الثلاثة إلى اللوج الأول .. وبنفس « على ، شعور
خليط من الحرج والابتهاج .. الحرج من ذلك الترحيب
باعتباره مظهر أمشينا يحاط به أخوه ويديه أمام الناس كأنه
أرئيس أو شريك في الصالة .. والابتهاج بنفس الترحيب
باعتباره مظهراً للتميز على بقية المتفرجين يدفع في نفسه
كبرياء وغروراً لا يستطيع كبشر الترفع عنه أو التخلص من
الإحساس به .

واستقر بهم المقام في اللوج .. ومضت فترة قبل أن
يستطيع « على ، أن يتمالك نفسه .. ويطمئن إلى أن الأضواء
لم تعد مسلطة عليهم وأن الأنظار التي لفتها دخولهم
الثلاثة بملابسهم الرسمية وترحيب « نعيمة ، بهم قد تحولت
عنهم .. وأخذ بدوره يصوب بصره في هدوء من مكانه
ليفحص به على مهل وفي تودة الخليط الصاخب المحيط به .
ولم تكن النمر قد بدأت ، وكانت تتجاوب في الصالة
ضحكات ونكات ونداءات تتعالى عن طنين الكلام العادي
الذي بدا من فرط استمراره وطبيعته كأنه صمت .

وأقبل الجرسون بكأس من الويسكي وزجاجة بيرة
وبعض أطباق « المزة » ، وقال صلاح لعل وهو يفرغ زجاجة
البيرة في كوبه :

— ستشاركنى هذه الزجاجة ؟

— ان أشار كما سوى المزة .

وصاح حسين بالجرسون وهو يقذف فى فمه بقطعتين
من الجنبرى :

— إسمع يا محمد .. قل د لسفروت ، أن يعدلى طبق

سلطة حمص مخصوص .. وهات طبق جنبرى آخر .

وكان صلاح وحسين ، منذ أن دخلا الصالة ، يتصرفان
ويضحكان ويتحدثان ويتبادلان الإشارات والمغازلات فى
طرب وفى غير كلفة كأنما يجلسان فى بيتهما وسط أهليهما
وعشيرتهما ، بينما لم يستطع د على ، أن يتحرر من إسار
الخرج والحياء .. أو يحطم قيد التكلف والإحساس بالغربة
والضياع فى هذا المجتمع الصاخب الماجن .

واستمر د على ، يوجه شعاع البصر المراقب فى جلسته ..
وهو يحس بشيء من الراحة ، فقد كان دور المتفرج المراقب
يلانم طبيعته أكثر من دور الواقع تحت المراقبة المعروض
للشاهدة .

وتنقل بصره بين خليط عجيب من الناس لا يذكر أن
مكاناً غير هذا يقدر على أن يضم مثله .. كان يرى فى
الصف الأول شلة أغلب ظنه أنها من طلبة الجامعة .. قد

أخذوا يتبادلون النكات والسخافات بطريقة استعراضية تجعل الناظر إليهم يوقن أنهم يتعمدون لفت الأنظار أكثر مما يرغبون الضحك في حد ذاته ، وأنهم يعتبرون أن دورهم في الصلاة أكثر من مجرد مشاهدين عاديين . . فهم يودون لو استطاعوا مشاركة أصحاب العرض والفن في أدوارهم .
وبجوار هؤلاء أستاذ معمم يبدو أنه « عمدة » ، غليظ الرقبة ، ضخيم الرأس ، قد سلط بصره على ستارة المسرح كأنما يود أن يستشف ما وراءها . . أو كأن هناك شيئاً مخصوصاً يتعجل رؤيته ، وبجواره جلس عجوز أصلع ، أكرش ، مهدل الشوارب ، قد انهمك في قذف ما بكيس في يده إلى فتحة فمه ثم الاندفاع في مضغه بطريقة آلية سريعة كأنما هو مكلف بمضغ كمية معلومة في وقت محدود .

واستمر الخليط يتتابع على ناظره . . من مشاهدين وأرتستات ، بوجوهن المصبوغة وأجسادهن شبه العارية ، وقد استشعر نوعاً من التسلية والطرب وهو يسلط شعاع بصره يستكشف به الناس دون أن يشعر به أحد . . واستمر يتنقل به من المقاعد إلى الألواج المقابلة ، إلى المناضد ، إلى الباعة حتى استقر فجأة على عيين مصوبتين إليه ترقبان بصره المتحرك بين الناس وقد بدت فيهما نظرة بها شئ من التوصل

الحقن ، والرجاء المستتر ، وأحس نجاة أن بصره المتحرر قد قيد إلى هاتين العينين وكأنهما فيخ قد أعد له وظل فاتحاً فكبه حتى انزلق بينهما .

ولم يشأ الفرار واستمر يحدق برهة في العينين ، وكانتا عينين متسعيتين طويلتي الأهداب يعلوهما حاجبان أسودان ثقيلان لم تعبث بهما يد الترجيع ولا أعاد رسمهما قلم الخطوط وجبين أسمر ضيق هبطت منابت الشعر فغطت أعلاه وشعر أسود ثقل قد رفع إلى أعلا وطوى في حلقة كبيرة في مؤخرة الرأس ، وأسفل العينين أنف نصف دقيق ونصف مستقيم ، بمنتصف قصبته عقلة صغيرة لا تكاد تبين وفي أسفله بعض الفرطحة التي لا تعيبه ، وأسفل طاقى الأنف فم لا تنطبق عليه الأوصاف المثلى للجمال ولكنه يكون مع بقية الوجه شيئاً لطيفاً يستريح الإنسان إلى النظر إليه .

ونقله على ، بصره من العينين المتشبهتين به ، ولكن لم يطل به البعد عنهما حتى عاد مرة أخرى . . وفي هذه المرة مسهما ببصره مساً سريعاً ثم هبط فاحصاً الجسد .

كان الجسد على خلاف سواء من الأجساد المعروضة في الصالة . . لم يكن به امتلاء ولا اكتناز ، ولا فتنة صارخة ولا أنوثة متفجرة . . ولم يكن بالجسد عيب ولكن العيب

كان وجوده في الصلاة مجرداً من وسائل الإغراء بلا صدر نافر، ولا ردف مكتنز ولا ذراع ملفوف أو ساق ممتلئة، بل قوام مشوق معتدل في نحول وضمور لا يلفت النظر العرييد فيه بروز مغر أو نتوء مشير... وكأنما أدركت صاحبه افتقارها إلى مواهب الإغراء وأدوات الإثارة فكفت نفسها مؤنة العرض، وقنعت من الثياب المفتوحة الصدر الكاشفة عن الكتفين والذراعين والإبطين ببلوزة بسيطة حمراء مستديرة الياقة يصل كمها إلى المرفق ولا يكشف إلا عن الساعد الأسمر الرقيق، وجيب أسود فضفاض ذو ثنيات أشبه بثنيات سروال الاسكوتش.

بوجه عام كانت صاحبه بوجهها الأسمر الخالي من الأصباغ، وشعرها الأسود المعقوص على قمة رأسها وجسدها النحيل الرقيق، وثيابها البسيطة... تكون شيئاً غير ذي قيمة ولا موضوع في الصلاة... شيئاً لا يتلهف عليه روادها أو يجدون به ما يغري بالإقبال.

والذي جعلها غير ذات موضوع في الصلاة... هو نفسه ما جعلها ذات موضوع في نفس «على»،... فقد كان بقلبه الحساس وشعوره المرهف... نفور من اللحوم المعروضة والأجساد المكشوفة العارية... كان أكثر إحساساً بقيمة

الإنسان ، وكان يستشعر من نظره إلى الأجساد المعروضة
نوعاً من الهوان البشرى والإذلال الآدمى .. وكان يحس
غضاضة وحرماً من كل ما يحيط به .

وفي وسط هذا الجو المشحون بالمجون والفجور .. وجد
« على » صاحبنا أشبه بالناسك بين الفجار .. والعابد بين
الكفار ، وأحس أنها لا بد وأن تكون مختلفة في التفكير
والتكوين عن بقية صاحباتها العابثات المبتذلات .. وتساءل
في نفسه عما إذا كانت تستطيع بجسدها الرقيق وسماتها البريئة
الطيبة أن تؤدي ما يؤدين وتفعل ما يفعلن .

ولمح حسين تحول نظر « على » ، وثباته على ناحية معينة
فحوّل بصره ليرى ذلك الشيء الذى جذب اهتمامه ، والتقى
بصره بالعينين السوداوين ، فابتسم وأشار محيياً ، فأجابته
بابتسامة وإشارة ، ورغب « على » ، فى أن يستفسر عنها ..
ولكن إحساسه بالخرج منعه عن السؤال وكفاه حسين الذى
يستطيع أن يفهم بسهولة ما برأسه مؤنة السؤال فقال موضحاً :
— هذه كريمة .. كريمة الولد .

— ولد ! !

— أجل .. . إنهم يدعونها كذلك لنحوها وضمورها
جسدها .. . إنها بذت غلبانة .. طيبة .. ولكنها كما تقول
أنت نعيمة .. لحنة .. وليست على شيء من « اللححة » ..

لقد كانت على وشك أن تطردها . . لأنها كعدمها . . لا فائدة منها لا على المسرح ولا في الصلاة ، فليس هناك أمل منها في أن تكون راقصة لها قيمة . . بجسدها النحيل الذي لا يوجد به شيء يهتز أو يترجح . . ولا تنفع في الصلاة في الفتح . . فهي لا تجيد الإثارة والإغراء وقد تمر عليها الليلة بأكملها لا يفتح لها أحد الزبائن زجاجة واحدة . . وقد رأفت الست بحالها فأبقتها على أن تكتفي بنفسية الفتح . . وأن تساعد في أدوار الكومبارس نظير استبقائها في الصلاة .

وكان « علي » يسمع من أخيه حديث ثقة خبير . . وهو خالي الذهن تماماً من أسرار الصالات بما فيها من فتح ونصب ، ورغم أن حديث حسين عن « كريمة » . . لم يكن به شيء من المديح أو التقدير . . فقد استراح « علي » إليه . . وأحس أنه ينطبق كثيراً على الأثر التي تركته صورتها في ذهنه . . واغتنب لأنها « لحمة » ، وأنها « كعدمها » في المسرح والصلاة . وقبل أن يلقي عليها نظرة أخرى أطفئت الأنوار ورفعت الستارة .

وبدأ العرض بمنولوجست أسمر خفيف الدم أخذ يلقي منولوجاً عن « زوج الاثنين » ، بمصاحبة البيانو ثم تبعه بآخر عن « الحماة » ، وثالث عن « عاقبة البصبصة » ، واستعادته النظارة

عدة مرات وهو يختنق ثم يعود مرة أخرى ،

وأسدل الستار ومضت فترة قصيرة قبل أن تبدأ الوصلة
الغنائية الأولى ثم رفع الستار عن المطربة القديمة ، فتحية
صبرى ، وقد جلست بحسدها السمين تتوسط تختها ، وانساب
شعرها المفروق من الجنب المائل على جبينها وأغرقت عينها
بالكحل ، ورسم خال كبير على الأرضية الحمراء التي فرشت
فوق خديها وبدأت سنة ذهبية تلمع من خلال خطى شفقتها
المرسومين بالاحمر وهي تبتمس بحبيبة على تحيات الجماهير .

وكان تحتها يتكون من خليط عجيب متناقض من البشر
فعلى اليمين جلس ، قانونجى ، ضرير قد أكل الجدرى وجهه
ووضع القانون على ساقيه وأخذ يجرى أصابعه على أسلاكه
محاو لا ضبطه ، وبجواره عازف ، كان ، طويل أعجف نحيل
تهدل شعره حتى غطى قفاه ووصل إلى كتفيه ، ذو وجه
مضغوط من الجانبين يبدو كأنه قطاع وجه ، وأنفه طويل
كالمنقار ، ربط عنقه برباط أسود منفوش ، ورفع الكمان
مسنداً عليها ذقنه رافعاً معها أحد كتفيه غير ملق بالآلة إلى
شئ مما حوله . . وعلى يمينه عازف الناي . . وقد جلس
فى استكانة ومذلة كأنه متسول يطلب إحساناً .

وعلى اليسار جلس الجناح الآخر من التخت . . مبتدئاً

بعازف العود الذى يبدو نشازاً وسط خليط العجائز الذى
يتكون منه التخت بشعره الأصفر الناعم المسبب ، ووجهه
الابيض النضر المتورد الخدين ، الأحمر الشفتين ، الذى
يتوفر فيه من الأنوثة أكثر مما بوجه الأنثى التى بجواره ..
والمعروف أن الصبي عازف العود يقوم بدور عشيق
المطربة إلى جانب عزف العود .. وبجواره ، قزم ، تدلت
ساقاه من مقعده وأخذت فى الاهتزاز والترجح دون أن
تبلغا الأرض وقد ارتدى رديجوتاً أسود باعتبار ما كان ..
وأخضر زيتى باعتبار ما هو كائن .. واستقر رأسه الصغير
الذى اختفى نصفه تحت طربوش فضفاض .. والنصف
الآخر داخل ياقة القميص المنسعة وأمسك بالطبلة على
حجره ، وأخذ يوزع الطرقات والابتسامات على الجماهير .
وبجوار القزم .. وفى أقصى الطرف الأيسر .. استقرت
هيئة ، الرق .. وكلية هيئة ليست فيها مبالغة فى وصف
الرجل .. فهو وحده يكون هيئة كاملة .. قائمة مميزة مستقلة
بذاتها عن بقية التخت .. بفخامتها وضخامتها .. واعتدادها
وهبتها .

هذه الهيئة هى ، محمود دنجل ، .. وهو ليس أبرز ما فى
التخت فحسب .. بل أبرز ما فى الصالة .. بل أبرز ما فى القطر ..

إذا كان هناك من يقدر ويفهم .

جلس ، دنجل ، بجسده الضخم الطويل العريض الممتلئ ،
عابس الوجه ، مقطب الجبين ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ..
ولا ترمش له عين أو تتحرك من وجهه عضلة .. غير ملق
بالإلى الالتفات المتعالية من أرجاء الصالة بتحيته والنداء عليه
« دنجل .. إزيك يا دنجل ، .. والرجل يبدو كأنما لا صلة
له بالتخت أو بالمرح أو بالصالة بل كأنه تمامًا رئيس وزارة
أو رئيس دولة .. يفتح منشأة كبرى أو يشهد احتفالاً بمولد
النبي .. بجلسته الوقورة وسماته الجادة العابسة ونظراته الرزينة ..
وكل ما به .. عدا شيئاً واحداً .. يخرج عن كل تلك الهيبة
والوقار ، ويربطه بالسست «فتحية صبرى» ، وبالشكيلة العجيبة
في تختها .. وهو الرق الذى أمسك به بين كفيه .

وتبدأ الوصلة .. وينهمك الكل فى الأداء .. مترنحة
أجسادهم مهتزة أو صاهم .. إلا « دنجل » .. فهو فى مباشرة
عمله لا يخرج عن وقاره ورزاقته .. ولا يزيد كل ما يفعله
على أن يرفع الرق الصغير بيده ويطرقة بأصبعه بضع
طرقات .. ويهزه بضع هزات .. بين حين وآخر .. وهذا
هو كل ما تفعله الهيبة الضخمة الموقرة الكبرى من جلائل
الأعمال .

وجلس د على ، يرقب الرجل ويستمع إلى الغناء ..
وقد سرى عن نفسه وأحس بالكثير من الطرب والمرح ،
وبين لحظة وأخرى يحس برغبة خفية تدفعه إلى أن يحول
بصره ليطوف به باحثاً في الظلمة عن وجه أسمر نحيل وعينين
سوداوتين طويلتي الأهداب تتسلل منهما نظرة رجاء خفي
واستعطاف مستتر .

وقبل أن يجد د على ، الوجه الرقيق .. سمع صوتاً
أرق .. يهتف في شبه همس :
— إزيك يا حسين .

وأجاب أخوه وهو يتلفت نحو صاحبة الصوت :
— أهلاً .. كريمة .. تفضلي .
ثم وقف نصف وقفة وقدم لها مقعداً خالياً .. وجلست
د كريمة ، بينه وبين أخيه قائلة :

— لا بد وأن يكون هذا أخوك ؟

— كيف عرفت ؟

— الشبه واضح .

وضحك حسين وأجاب :

— عجيب أن يشعر الناس كلهم بهذا الشبه إلا أنا وهو .
ووجهت الفتاة سؤالها إلى د على ، وقد بدت عليها

مظاهر الاهتمام به :

— أهذه أول مرة تحضر إلى هنا؟ .

ورد صلاح ضاحكا بالنيابة عن علي :

— هذه أول وآخر مرة .

وسألت دكريمة ، في شيء من الدهشة :

— إلى هذا الحد؟ ألا تعجبك؟

وأجاب حسين :

— ليس له في الطيب نصيب .

ونظرت دكريمة ، إلى علي وقد بدت في عينيها النظرة

الرقية الذائبة المتوسلة وتساءلت قائلة :

— لماذا لا تتكلم؟

ورد علي ، ضاحكا :

— إني لا أجد فرصة للكلام .. أنت تسألين وهما

يجيبان .. كيف أتكلم؟ .

وهمّ حسين بالكلام ممسكا بذراع كريمة ولكنها دفعته

بمرفقها ناهرة إياه في مزاح وقالت :

— لقد أتيت للجلوس معه .. إنه ضيفي الليلة .

ومرت في تلك اللحظة الراقصة كوكب بكتفيها العاريين

وإبطيها المكشوفين وصدرها يتقدمها ليفسح لها الطريق ..

وردفاها اللذان يتبادلان الصعود والهبوط مترجحان
ككفتي ميزان .

« وإذا حضر الماء .. بطل التيمم ، .. وإذا كانت كريمة
في عرف حسين تيمماً يمكن أن تغني إذا غاب الماء .. فإن
« كوكب ، في نظره بحراً زائحاً رجراجاً يبطل كل تيمم .
وترك حسين التيمم لعل .. ومد يده فأمسك بذراع
« كوكب ، وجذبها إلى اللوح قائلاً :

— يا سيدي .. سلامات .. بنمسي ..

ونظرت كوكب إلى حسين وهتفت مرحبة :

— أهلاً .. سونه ..

ثم استقرت على المقعد الخالي بين صلاح وحسين .
وأحست « كريمة ، بشيء من القلق خشية أن يجذب
الصيد الجديد « علياً ، كما جذب صاحبيه ، ورفعت إلى وجهه
عينها الواسعتين وبهما النظرة الراجية المتوسلة .

ولم يملك « علي ، إلا أن يجيبها من عينيه برد حنون
وابتسامة رقيقة .



هانیچ



وصللة الغناء ، وبدأ اسكتش راقص تقوم به

انثرت دكوكب ، مع بعض الراقصات المساعدات

بينهن كريمة ، وغادرت الاثنتان اللوج قبل انتهاء الغناء
لارتداء ملابس الرقص والاستعداد للظهور .

وظهرت دكوكب ، وقد تجردت من ملابسها إلا غشاء

رقيقاً من التل تدلت منه خيوط من الخرز والترتر وأخذت

تهتز وتتلوى ، وتنحنى وتنثنى ، محاولة الكشف عن أقصى

ما يمكن كشفه . . وجعلت تؤرجح صدرها وردفيها على

نغمات الموسيقى ، معبرة بعينها وشففتها وكل سماتها عن أقصى

إحساسات غريزة الآثى ، ملهبة حواس المشاهدين ، مثيرة

دماءهم حارة في عروقهم ، ود على ، يرقبها وبنفسه خليط من

الإحساس بالرغبة والإحساس بالرائاء والخرج والضيق حتى

ظهرت ثلة من الراقصات المساعدات ، يحطن بها منشدات

مهتزات ، بينهن دكريمة ، لا يستر جسدها أكثر مما يستر

جسد دكوكب ، وغيرها من الراقصات .

وزاد إحساسه بالضيق والرائاء عندما أبصر دكريمة ،

تهز ساقيها ويديها ، وقد بدت نخافتها النسبية بجوار

امتلاء أجساد غيرها من الراقصات ، وتمنى لو استطاع

أن يحضر ملامة فيغطي بها جسدها ويحملها من فوق خشبة المسرح ويضعها في مكان أمين مستور .

وانتهى الاسكتش وأسرت كريمة بإبدال ملابسها ..
وقد بدت عليها عجلة ظاهرة وسألها كوكب في سخرية :

— على مهلك يا ست كريمة .. إن الصيد لن يفر ، لقد جاء نقبك على شوته .

— ليس لأحد بي شأن .

— أنصحك فقط ، بدل أن تضيعي وقتك مع تلميذ يطلب لك شوب ييرة أو كوب ماء ، ابجئي عن زبون «سقع» يفتح لك شيئاً تأكلين به عيشاً .

— لا أريد نصيحة من أحد .

— أنت وشأنك .. ولكن احذري من أن تمدى حبالك إلى حسين .. فأنت تعرفين من اختصاص من هو ؟
وتعرفين أن الست نعيمة لا اتسامح كثيراً في اختصاصاتها .

— ليس لي بحسين شأن .

— إني أحذرك فقط ، وذنبك على جنبك .. أنت تعرفين جيداً أنها لم تعدك في المرة الأخيرة إلا بشق الأنفس .
واندفعت كريمة في الممر المؤدى إلى الصالة نافرة غضبي ،
وقد تلاحقت أنفاسها وتوترت أعصابها ، وعند ما أوشكت

أن تدخل الصالة توقفت برهة ، لكي تهدىء من روعها . .
وتكبت مظاهر الانفعال البادية على وجهها ، ولتحاول إقناع
نفسها بنصيحة كوكب . . وعدم تضييع وقتها مع التلاميذ
والانصراف إلى ما هو أجدى وأنفع .

ولكنها لم تكذب تدافع من باب الصالة ، حتى صوّبت
بصرها ناحية د على ، والتقى بصره ببصرها ، كأنما كان
يرقب مقدمها ، وعلت وجهها بسمة ، فرد البسمة ، ووجدت
نفسها تسير نحوه بلا إرادة ، وقد تملكها إحساس بنشوة
ممتعة . وفي الطريق إليه اعترضتها دعوة من عمدة ريفي منتفخ
الأوداج والجيوب ، قد أفرط في الشراب حتى كاد يتهاوى
من فوق مقعده ، ولم تكذب تمر به ، حتى جذبها من يدها
داعياً إياها إلى الجلوس . . وكانت هذه الدعوة هي خير
ما ترجوه كريمة من ليلتها . . ولكنها أحست منها في ذلك
الحين ضيقاً شديداً . . وتخلصت من الرجل بسرعة متلفطة
حولها خشية أن ترى صاحبة الصالة فرارها منه ، ولكن لم
يكن هناك سوى كوكب التي بدت في الباب ووقفت تضرب
كفاً بكف قائلة في دهشة :

— لقد جنت البنت . . إنها لا تجد ما تأكله ، وترفض
النعمة بقدمها . . لقد تركت الفرصة تفلت من يديها . . إن

الرجل ما كان يدعوها ، لولا إفراطه في السكر ، وفقدانه
الوعي والإدراك .. دبور زن على خراب عشه ، أنا مالى .
وكان المسرح مشغولا في ذلك الوقت بإسكتش فيكاهى
خليط من الغناء والتهريج .. وجلست كريمة بجوار د على ،
وابتسمت قائلة :

— أَعْجَبِكَ رَقْصِي ؟

— بَل .. أَعْجَبْتَنِي أَنْتِ بَلَا رَقْص .

— وَمَاذَا لَمْ يَعْجَبِكَ فِي رَقْصِي ؟

— أَنَا لَا أَعْجَبُ بِالرَّقْصِ بِصِفَةِ عَامَةٍ ، إِنَّهُ يَشِيرُ فِي نَفْسِي
شعوراً بالشفقة والعطف على الراقصات ، وَأَنْتِ فِي نَظَرِي
خَيْرٌ مِنْ مَجْرَدِ رَاقِصَةٍ .. لَقَدْ تَمَلَّكْتَنِي رَغْبَةٌ وَأَنَا أَشَاهِدُكَ
عَارِيَةً عَلَى الْمَسْرَحِ أَنْ أَذْهَبَ وَأَلْفُكَ بِمَلَامَةٍ وَأَحْمَلُكَ بِعِيدَاءِ .
— أَحَقَّأَ تَمَلَّكْتِكَ هَذِهِ الرَغْبَةُ ؟

— أَجَل .

— وَلِمَاذَا لَمْ تَفْعَلْهَا ؟

— لِعَشْرَةِ أَسْبَابٍ .. تَمَاماً كَأَسْبَابِ الْقَائِدِ التُّرْكِيِّ الَّذِي
لَمْ يَضْرِبْ تَحِيَّةَ لِلْأَسْطُولِ الْإِنْجِلِيزِيِّ .. فَلَمَّا حَاكَمُوهُ وَسَأَلُوهُ
عَنْ سَبَبِ عَدَمِ تَأْدِيَةِ التَّحِيَّةِ قَالَ إِنَّ لَدَيْهِ عَشْرَةَ أَسْبَابٍ :

أولها أنه لا يوجد لديه دجبه خانه ، فلم تحاول المحكمة سماع بقية الأسباب وبرأته .

— والسبب الأول عندك ؟

— إنه لم يكن لدى ملاءة .

— براءة .. لاداعي لبقية الأسباب .

وضحك الاثنان ، ومضت برهة استغرق كل منهما في تفكيره ثم قطعت دكريمة ، الصمت قائلة :

— لست أدري أى شيء جذبني إليك عندما وقع بصرى عليك تعبر باب الصلاة .. لقد أحسست كأن بيننا صداقة قديمة . لم يكن وجهك غريباً عليّ ، وتمنيت لو استطعت أن أجلس إليك وأتحدث معك ، وعندما جلست إليك .. أحسست أنى وجدت شيئاً كنت أبحث عنه .

وأحس د على ، من حديث الفتاة المخلص الذائب ومن عينيها المتوسلتين المستعطفتين كأن خطراً يوشك أن يحقق به .. إن حديثها ونظراتها تبدو كأنها بداية عشق ، وهو لا يستطيع أن يحزم هل يمكن أن يحدث العشق هكذا من أول لقاء وأول نظرة .. عن نفسه هو لا يحس بأكثر من عطف واستلطاف .. ربما كان مبعثه اختلاف الفتاة

عن بيتها وتميزها بمظهرها الخاص عن الجو الذي رآها فيه .
ولو رآها في غير هذا المكان لما استطاعت أن تلفت نظره .
أجل .. إن إحساسه لا يمكن أن يزيد عن هذا ..
أولا لأن المخلوقة ذاتها لا يمكن أن تثير في نفسه أكثر من
هذا .. وثانياً لأنه هو نفسه لا يملك من مشاعره أكثر من
هذا ، ولا يتسع قلبه المليء المحتل المغتصب لواحد سوى
محتلة وغاصبة ، والمقارنة بين الطرفين عبث وسخرية ..
بل هي شيء لا يمكن أن يخطر له ببال .. إذ يبدو أن مجرد
التفكير فيها إهانة لا يغتفرها لنفسه ، وسلطان الغائب
المثووس من لقاءه أقوى في نفسه من كل سلطان وحب
أملاً لقلبه من كل حب .

وهو بهذا الشعور الذي لا يزيد على مجرد عطف
واستطاف لا يستطيع أن يقابل هذا الحديث الذائب الحار
الذي يتذر بحب على وشك الانبثاق ، ثم .. أكثر من هذا
وذاك .. إنه ليس الشخص الذي يستطيع أن ينشئ علاقات
في مثل هذا الوسط ، والمخلوقة مهما كانت لطيفة ومميزة عن
سواها .. لا تزيد عن راقصة ، ويتحتم على كل من له علاقة بها
أن يكون أحد زبائن الصالة وروادها .. لا .. لا ..
إن كل هذا يبدو كالكابوس الثقيل يطبق على أنفاسه .

وهمست به تستدعيه من شروده ، وانظر إلى عينيها
فوجدتها تبتسم في رقة وتقول له :

— إنك كثير الشرود .. أين ذهبت ؟

— لم أذهب بعيداً .

— لبتك تبقى معي ؟

— إني معك الآن .

— الآن وبعد الآن .. ألن تأتي معه ؟

وأشارت بعينيها إلى أخيه الذي انهمك في مشاهدة
المسرح ، وتساءل د على ، :

— إلى أين ؟

— إلى البيت ، إنه يعود بعد كل سهرة مع الست نعيمة
وسأخلي نفسي من كل موعد وسأعود معكما وأكون لك
وحدك .

وإذا كان مجرد التلميح بالحديث الناعم والنظرات
المتوسلة قد أشعرا علياً بخطر يوشك أن يحل به .. فقد
جعلته الدعوة الصريحة يحفل كأن إنساناً قد دفعه فجأة
في ظهره ليلقي به إلى هاوية .. ولم يملك إلا أن يتراجع
بعنف ليتقي خطر الدفعة . وبدأ على وجهه التجهم والشرود

وأطرق برأسه ، وأحست دكريمة ، بغريزتها الأثر الذى تركته فى نفسه ، وتملكها الندم على اندفاعها وتمتعت فى أسف :

— إني آسفة . . إذا كنت قد ضايقتك . . كل ما أرجو هو ألا أفارقك بسرعة . . إني أريد أن أطيل لقاءك ما استطعت .

وكان ، على ، أرق من أن يصد الطائر المهيض المتوسل ، وأسمى من أن يجرح مشاعره . . فهمس فى لهجة رقيقة حنون :

— أنا والآسف لأنى قد خدعتك من حيث لا أقصد ، وخذلتك من حيث لا أريد . . إني فى الواقع شخص لا يلائمك فى شىء . . إني أختلف كل الاختلاف عما تبغين . . إن مجيئى هنا محض صدفة ، ولا أظن هناك ما يبرر لقاءنا بعد ذلك ، ولا يمكن أن يكون بين أحدهما والآخر إلا ما بين مسافرين فى قطارين يسيران فى اتجاه مضاد لا يكاد يبصر أحدهما الآخر حتى يختفى . . لقد تركت فى نفسى أثراً طيباً ، وأرجو أن أكون قد تركت فى نفسك نفس الأثر . . حتى بعد أن قلت ما قلت .

ولم تجب دكريمة ، ، فقد ازدردت ريقها كأن في حلقها
غصة وازدردت طبقة لامعة بدت في الظلمة تترقرق في عينيها ،
وتحجب النظرات المتوسلة التي تفيض منها .

ومد د على ، يده فربت ظاهر يدها المستندة على ركبتيها
وتساءل هامساً :

— أفد ضايقتك قولي ؟

وكست وجهها ابتسامة رقيقة وهزت رأسها ببطء
وأجابت في صوت به رنة أسي :

— أنت تضايقتني ؟ .. إني لا أذكر أني أحسست منذ
عشرات السنين بما أحسست به هذا المساء من سعادة ...
ولكني دائماً .. بيني وبين السعادة .. تنافر شديد .. لا تكاد
تلم بي إلا كلبح البرق .. ليس الذنب ذنبك إنما هو ذنبي أنا ،
هكذا حظي في الحياة .. دائماً تعرض عليّ ما لا أريد ..
وتحرمني من كل ما أريد .

وضحك د على ، في شيء من المرارة وأجاب :

— كلنا كذلك .. تلك هي طبيعة الحياة .

وانتهى الاسكتش الفكاهي ، ودوت الأكف بالتصفيق
وأسدلت الستارة ، وأضيئت الأنوار .

وأقبل أحد الجرسونات فهمس في أذن كريمة بضعة
كلمات أجابته عليها بقولها :

— حاضر .. قل لها سأأتى حالا .

وسأل حسين مستفسراً :

— ماذا يقول ؟

— لا شيء .. إنه يقول إن الست تطلبني .

ونهمض ، على ، واقفاً فتسأله حسين في دهشة :

— إلى أين ؟

— سأعود إلى المدرسة .

— تعود !! إن الساعة لم تبلغ الحادية عشرة ، ومازلنا

في أول السهرة ؟

— إني لا أستطيع السهر بعد الحادية عشرة ، وأشعر

بالنوم يثقل أجفاني ، والنعب يدب في مفاصلي .

— انتظر على الأقل حتى ينتهى البرنامج .

— لا .. لا .. لا بد أن أعود الآن .

وسأل ، على ، صاحبه :

— أتتوى البقاء يا صلاح ؟

— أجل .. سأبقى حتى أتم السهرة .. لست أرى

مبرراً للعودة .

ومد د علي ، يده مصافحاً كريمة فاستبقت يده قائلة :

— سأوصلك حتى الباب .

— لا داعي للتعـب . . إذهبي أنت إلى الست نعيمة حتى

لا تتأخرين عليها .

— بل لا بد من توصيلك . . إنك ضيفي الليلة .

ومد يده مودعاً أخاه وصاحبه وسأله حسين :

— ألا تنوى الذهاب إلى البيت غداً ؟ ! إن أبي يريد

أن يراك .

وصمت د علي ، برهة ثم أجاب :

— سأذهب . . وأنت ؟

— سأذهب أنا أيضاً .

— إذا نلتقي هناك غداً ؟

ثم مدرأسه وأسر في أذنه :

— لا تذكر لقامنا . . فالمفروض أني لم أخرج من

المدرسة إلا يوم الجمعة .

وهزّ د علي ، رأسه هزة موافقة ، ثم غادر اللوج متجهاً

إلى الباب ، وقد سارت كريمة بجواره وسأله قائلة :

— لماذا انصرفت مبكراً ؟

— أتسمى الحادية عشرة مبكراً ؟

- ألم يكن يمكنك الانتظار أكثر من هذا؟
- بل لم يكن من أخير الانتظار أكثر من هذا؟
- خير لمن؟
- لك ولى .
- لى أنا؟ لماذا .
- إن الست قد طلبتك؟
- كنت سأذهب إليها ثم أعود؟
- ولهذا قت .. لكى لا تعودين .
- ولماذا تريدنى ألا أعود؟
- لأنى لا أستطيع أن أحجزك طول الليلة دون أن أطلب لك شيئاً .. وأدعك تهجرين عمك وزبائنك الذين تحصلين منهم على رزقك .
- لقد كنت أفضل الجلوس معك على كل شىء .
- وتصادف مرورهما فى تلك اللحظة على منضدة العمدة المخمور الذى لم يكديراها حتى صاح بها مشيراً إليها بسبابته :
- أنا أريد هذا . أريد هذا الولد المسلوع ، . يا ناس مزاجى هكذا .. يا حضرة الضابط .. تاخذ خلوى رجل كام وتتركها ؟ أموت فى عود القصب .. يا خلوى .. أموت فى عصا عيص النقارية .

وأحس د على ، أن الدم قد تصاعد إلى وجهه ، وغلى في عروقه ، وتوقف في مكانه وهمّ بأن يتجه إلى الرجل المخمور ولكن كريمة جذبته بلطف من ذراعه قائلة :

— لا تلق إليه بالاً .. إنه سكران لا يعى ما يقول ..
هيا بنا .

ووصلا إلى الباب ، وتوقف د على ، ومد يده مصافحاً كريمة :

— تصبحين على خير .

— وأنت من أهله .

ولم تغلت يده ، بل استبقته في يدها كأنما تكره أن تتركه وصممت مطرقة برأسها برهة ثم رفعت إليه عينيها المتوسلتين وهمست قائلة :

— عدنى أن تعود ثانية ، ولو مرة واحدة ؟

— سأعود !

— كنت واثقة من ذلك .. فلا أظن ما بيننا يمكن أن ينتهى بمثل هذه السرعة الخاطفة .. إذا كان لقاؤنا اليوم لقاء راكبي قطارين متضادين في الاتجاه .. فغداً قد يغير أحدنا قطاره ويلحق بالآخر .

ولم يكن قول على د سأعود ، إلا مجرد إنهاء حديث ..

والكنهه عندما رأى تعلق الفتاة بقوله ، كره أن تأخذ عليه
وعداً تقيده به . . . وتقيم عليه صلة موهومة . . . وبدأ عليه
تجهمهم ثم عن أفكاره ، فابتسمت كريمة وأردفت في مرارة :
— لا تضق بقولي . . . إنه مجرد عزاء أعمل به النفس . .
عد أو لا تعد ، فذلك شأنك وحدك . . لا يستطيع أحد أن
يجبرك عليه .

ومرة أخرى أحس د علي ، بعطف شديد يتملكه
نحو الطير المهيض ، ولم يملك إلا أن يقول جازماً وهو
يضغط على يدها :

— بل سأعود . . سأعود لكي أراك .

وغادر د علي ، المكان ، وسار في طريق عماد الدين
الذي خف ضجيجيه وهدأت حركته ، وتضاءلت أنواره ،
حتى وصل إلى شارع الملكة نازلي ، ووقف ينتظر أتوبيس
(١٠) وهو يرقب أرض الطريق اللامعة ، تجري فوقها
عربات التنظيم برشاشاتها وفرشاتها الكبيرة الراحفة في
مؤخرتها ، والكناسون يتبعون العربات بمكانسهم الطويلة ،
يزيحون بها المياه والقاذورات إلى جانب الأرصفة ، وبين
آونة وأخرى يعبر به ناكسي منطلق أو عربة مارة .

وركب الأتوبيس ، وجلس بجوار النافذة ، وأزاح

زجاجها واستقبل هواء الليل الرطب ، وأخذ منه أنفاساً
طويلة ، كأنما يستعين بها على طرد غبار أثارته في نفسه
دوامة طارئة .

ونام ، على ، ليلته وبقايا الدوامة تطن في رأسه وتدور
في صدره ، لقد كانت كريمة أشبه بطائر شارد اقتحم نافذة
حجرته ، وأخذ يطوف بها متخبطاً مصطدماً بزجاج النوافذ
والأبواب .

ولم يحاول ، على ، أن يعترف لها بأى مكان في نفسه
ولا في تفكيره ، ومع ذلك فقد كان لا يكاد يتناساها ويغفل
عنها حتى توقظه منها ما يشبه لطمة جناح الطائر المتخبط في
زجاج النافذة . . ويفتح عينيه فيبصر بالعينين السوداوتين
بأهدابهما الطويلة ونظراتهما المستعطفة المتوسلة الراجية . .
ويكاد يسمع من حفيف الشجر . . . لا تضق بقولى إنه
مجرد عزاء أعلل به نفسى . . . أو لا تعد . . ذلك
شأنك أنت وحدك . . لا يستطيع أحد أن يجبرك عليه ، .
أجل ! ! إنه شأنه وحده ، ولن يعود ، فليس ثمة سبب
واحد يمكن أن يربط بين أحدهما والآخر .

واستيقظ في الصباح وقد عزم على الخروج من المدرسة
والذهاب إلى البلدة ، وقد أحس بانطلاق تام من قيود
الحزن والضيق واليأس التي كانت تطبق على نفسه ، ووجد

نفسه يستقبل نسيم الصباح الرطب وشدو أطيّاره المزققة
وحفيف أوراقه المهتزة المترنحة بإحساس مرهف سببه مجرد
تفكيره في أنه عائد إلى ناحية «أنجي» . . وأنه سيمر على
أسوار قصرها ، ويعبر مكان اللقيا على التربة ورام كوم
الغاب ، وأن احتمال رؤيتها في عربة عابرة ، أو على ظهر
جواد قدبات قريباً ميسوراً .

وارتدى ملابسه ، وخرج يهز عصاه في الطريقة وهو
يصفر بقمه ، وفي منتصف الطريقة التقى بسليمان خارجاً من
عنبره ، وقد ارتدى لبس النوبتجية وأمسك بأوراق النمام
في يده ، وهتف به سليمان ضاحكاً وهو يراه يسير نشطاً
في ملابس الفسحة ، وقد انهمك في الصغير :

— ما شاء الله .. أمن حبس مطبق إلى انطلاق تام ؟
إلى أين تذهب في هذه الساعة المبكرة ؟ ألم تكفك مهرة
الأمس ؟

— لقد عدت في الحادية عشرة ومرت عليك في العنبر
فوجدتك نائماً .

— ولماذا عدت مبكراً ؟
— لأنني أكره السهر ، وأكره جوّه .
— وإلى أين أنت ذاهب ؟

— إلى البيت .

— إلى البيت فقط ؟

— أعتقد ذلك .

— ألم يطرأ جديد على المسألة ؟

— أبداً .. ولكنى أجد أن طول الغيبة عن البيت شيء

لامبرر له ، وأنا إن أغيب كثيراً ، سأرى والدى وأعود
بسرعة .

— حتى إذا لقيتها ؟

— لا أظن اللقاء مستطاعاً .

— ولم لا ؟ إن اليوم يبدو من بدايته يوماً

مفترجاً .. أنظر !

وأشار سليمان إلى شجرتين ضخمتين من البانسيانس

قائمتين بجوار المدخل في فناء المدرسة .

وردد على ، متسائلاً :

— أنظر ماذا ؟

— شجر الترقى .

— ماذا به ؟

— لقد بدأ في الازدهار .

وكان الطلبة يسمون الشجرتين « شجر الترقى » ، فقد كان

موسم أزهارهما الخمر النارية يحل دائماً في يوليو وهو موعد الترقى ، وكان الطلبة يتفاملون دائماً بهذه الأزهار ، ويرون فيها بشيراً للترقى ، ويرقبونها في لهفة خشية ألا تزهر فيكون فألاً سيناً بعدم حدوث الترقية .

وضحك ، على ، قائلاً :

— على أية حال إن الترقى واقع أكيد .. سواء أزهرت الشجرة أم لم تزهر .

— ليس هناك في هذه الدنيا شيء أكيد ، ولا تقل إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، قل إن شاء الله دائماً ، واستبشر خيراً بالشجرة المزدهرة .. إنها قال طيب .

وغادر ، على ، المدرسة .. سائراً في الطريق وعيناه ترنوان إلى كل عربة ، وجلس في الأوتوبيس بجوار إحدى النوافذ اليمنى المظلة على ناحية المدرسة ، وأحس برجفة في قلبه وهو يقترب من بنائها ، وأخذ يتطلع بعينيه إلى الفناء متوهماً إياها وراء كل ثوب بنى .

وأخيراً وصل إلى البيت وفي نفسه إحساس بالحيرة من جفوة الصدف والضيق بإصرار الحظ على ألا يهبه لقاء بعد أن تعذر اللقاء إلا عن طريقه .

وأقبل على الباب فطارقه ، وبعد لحظة فتحت بهية ،

ووقفت أمامه تلقاه بغير دهشة ولا ابتهاج ولا ترحاب
نما كان يتوقع أن تلقاه به ، كأنما كانت تنتظر مجيئه ،
أو كأنه لم يغب طوال المدة الماضية . . أو كأنه خرج منذ
هنية وعاد ثانية . . أو كأن بنفسها منه شيئاً ، أو . . .

وراعه منها ومن البيت سكون مريب ، وأدهشه
استمرار وقوفها بالباب المفتوح كأنما تنتظر شخصاً آخر .
فلما طال بها الانتظار دون أن يبدو أحد . . سأله :

— ألم يأت حسين ؟

وهز «على» رأسه في دهشة قائلا :

— وأنى لى أن أعرف . . لقد أتيت وحدى من

المدرسة ، وربما يأتى بعد قليل .

— أتيت وحدك ؟ ألم يمر بك الشيخ معوض ؟ !

— الشيخ معوض ؟. الشيخ معوض الفقى ؟ !. يمر على

أنا ؟ !. لماذا ؟ !

— ليستدعيك أنت وحسين .

— لماذا ؟ ! ماذا حدث ؟ !

وأغلقت «بهي» الباب وهمست قائلة :

— لا تصح هكذا ، حتى لا تقلقه .

— أقلق من ؟

— أباك .

— ماذا به ؟

— لقد أصيب ليلة أمس بخيوبة ، وسقط في حجرته
بلا وعى ، وقد استدعينا الطبيب في منتصف الليلة . . فقال
إنه مصاب بضغط في الدم ، و . . .

ولم يستمع د على ، إلى بقية حديثها واندفع إلى الحجرة
وهو يحس كأن يداً قاسية تعصر قلبه ، وفي الحجرة المظلمة
المغلقة النوافذ أبصر أباه راقداً على فراشه مغمض العينين ،
وقد جلست بجواره أمه ووضعت رأسها بين كفيها ، ولم تكذب
تحس بوقع أقدامه حتى أقبلت عليه تضمه إلى صدرها
وعيناها تهميان بسيل من الدموع وهي تتمتم :

— الحمد لله . . الحمد لله على كل حال . . لقد نزلت
النقطة على نصف وجهه وذراعه ، وأكد لنا الطبيب أنها
مستشفى بإذن الله .

وأحس المريض الراقد بالحركة والصوت ففتح عينيه
وأبصر بابنه فأشار إليه بذراعه السلام وهتف به بلسان
ملتوى .

وانحنى د على ، فوقه يقبله في لطفة ، وضمه الأب بيده
القادرة بأقصى ما يستطيع من حنو وحب .

وفي المساء عاد علي ، إلى المدرسة . . وعبر الفناء
فوقع بصره على الشجرتين المزهرتين اللتين بدت أزهارهما
حمرًا نارية في مصباح كهربائي ينعكس عليهما من عمود
بالطريقة . .

وخيل إليه أنه يسمع في حفيفهما صوت ساخر يردد
« إنه يوم مفترج . . إنه فآل حسن ، .



« تم الجزء الأول »

« ويليه الجزء الثاني »

فهرست الجزء الأول

الإهداء ٥	١٦ — عودة وسؤال ... ٢٤١
المقدمة ٧	١٧ — تحدى ٢٥٧
١ — ماء الوجه ٩	١٨ — عبء ثقیل ٢٧٥
٢ — الفراشة الطائرة ... ٢٣	١٩ — تدبیر مفاجیء ... ٢٩٣
٣ — العبيد والآلهة ... ٣٩	٢٠ — طریق شائك ٣١١
٤ — كبرياء ضائعة ... ٥٣	٢١ — تهنة ٣٢٩
٥ — سد منيع ٧١	٢٢ — ریح الرجاء ٣٤٥
٦ — يقظة الموءودة ... ٨٥	٢٣ — خطايا البشر ٣٥٩
٧ — خطاب توصية ... ٩٩	٢٤ — إذا استحق أن يحيا ٣٧٧
٨ — كلام لين ١١٣	٢٥ — هزيمة مشرفة ٣٩٥
٩ — الدرج يتناقص ... ١٢٩	٢٦ — حديث القمر ... ٤١٣
١٠ — لقاء مفاجيء ... ١٤٣	٢٧ — أريدك كما أنت ... ٤٣٣
١١ — وسيلة وغاية ... ١٥٧	٢٨ — جواد جاح ٤٥٣
١٢ — محض صدقة ١٧٣	٢٩ — لا يلتقيان ٤٧٣
١٣ — توافه الأمور ... ١٨٩	٣٠ — السمرام الراجية ... ٤٩٣
١٤ — الليلة الأخيرة ... ٢٠٧	٣١ — عد ثانية ٥١٣

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

١٥ — إحساس بالظلم ... ٢٢٥

تطلب جميع مطبوعاتنا

من وكلائنا

- دار المعارف اسكندرية ت ٢٣٥٨٨
- المكتب التجارى بيروت ت ٢٤٥٠٣
- دار اليقظة العربية دمشق ت ١٢٢٦٤
- دار الكتاب بالدار البيضاء مراکش ت ٧٧-٩٠٠
- مكتبة النهضة الجزائر ت ٣٩٨-٩٩
- مكتبة النهضة السودانية الخرطوم ت
- دار كردفان الأبيض ت ٢٨٤
- المكتبة الأدبية تونس
- مكتبة الثقافة جدة
- مكتبة عرابي الحجاز